كل رجال الوزير

إنجازات وإخفاقات رؤساء قطاعات وزارة الثقافة

حرف

الدستور الثقافى

إصدار إلكترونى يصدر عن مؤسسة «الدستور» للطباعة والنشر

العدد 32

المحرر العام: محمد الباز

الأربعاء
14 أغسطس 2024
9 صفر 1446
8 مسرى 1740

عودة الأسير

عندما تغنى محمود درويش بمصر

النيلُ ينسى
والعائدون إليكِ منذ الفجر لم يَصِلُوا
هناك حمامتان بعيدتان
ورحلةٌ أخرى
وموتٌ يشتهى الأسرى
وذاكرتى قويَّه
والآن، ألفظُ قبل روحى
كلَّ أرقام النخيل
وكلَّ أسماء الشوارع والأزقَّة سابقًا أو لا حقًا
وجميعَ مَنْ ماتوا بداء الحب والبلهارسيا
والبندقيَّهْ
ما دَلّنى أحدٌ عليكِ
وأنتِ مصرُ
قد عانقتنى نَخْلةٌ
فتزوَّجَتنى
شَكَّلَتنى
أنجَبَتْنى الحبَّ والوطن المعذّبَ والهويَّهْ
ما دلّنى أحَدٌ عليكِ
وجدتُ مقبرةً... فنمتُ
سمعتُ أصواتًا.. فقمتُ
ورأيت حربًا... فاندفعتُ
وما عرفتُ الأبجديَّهْ
قالوا: اعترفْ
قلت: اعترفتْ
يا مصر.. كِسرى سباكِ ولا الفراعنةُ
اصطفوكِ أميرةً أو سَيِّدةْ
قالوا: اعترفْ
قلتُ: اعترفتْ
ونوازت الكلماتُ والعضلاتُ
كانوا يقلعون أظافرى
ويُقَشِّرون أناملى
ويبعثرون مفاصلى
ويفتِّشون اللحمَ عن أسرار مصرْ...
وتدفّقت مصرُ البعيدةُ من جراحى
فاقتربتْ
ورأيتُ مصر
وعرفتُ مصر
ما دلّنى أحدٌ خناجرهم تفتِّشنى فيخرج شكلُ
مصر
يا مصر.. لستِ خريطةً
قالوا: اعترفْ
قلت: اعترفتْ
واصلتُ يا مصر اعترافاتى
دمى غطّى وجوه الفاتحينَ
ولم يغطِّ دمى جبينَكِ، واعترفتُ
وحائط الإعدام يحملنى إليك إليكِ...
أنتِ الآن تقتربين.. أنت الآن تعترفينَ
فامتشقى دمى
والنيلُ ينسى
ليس من عاداته أن يُرجع الغرقى
وآلافُ العرائس مَنْ تقاضى أجرها؟
النيل ينسى
والقرى رفعتْ مآذنها وشكواها
وأخفتْ صدرها فى الطين...
والمدنُ- الجنودُ الغائبون- الاتحادُ الاشتراكىُّ-
المغني
راقصاتُ البطن- والسيّاحُ- والفقراءُ
سبحان الذى يعطى ويأخذُ
ليس من عادات هذا النيل أن يصغى إلى أحدِ
كأنَّ النيل تمثالٌ من الماء استراح إلى الأبد
ماذا يقول النيلُ
لو نطقتْ مياه النيلِ؟
يسكت مَرةً أخرى
وينسانى...
لتسكتْ جوقة الإنشاد حول جنازتى
وخذى عن الجثمان أعلامَ الوطن
يا مصر.. تحيا مصر.. تحيا مصر...
تحيا مصرُ
غطّى حفنة من رمل سيناء التى
ابتعدتْ عن العينين
والتجأتْ إلى الرئتين
وامتشقى دمى
وخذى عن الجثمان أعلام الوطن
سيناء ليس كفن
والنيلُ ينسى
ماذا يقول النيلُ، لو نطقتْ مياهُ النيلِ؟
يسكت مرةً أخرى
ولا يستقبل الأسرى
ليسكت هنا الشعراءُ والخطباءُ
والشّرطىُّ والصحفىُّ
إنّ جنازتى وصلت
وهذى فرصتى يا مصرُ.. أعطنى الأمان
يا مصر.. أعطنى الأمان
إنى حرستُك. كانت الأشياء آمرةً وآمنةً وكان
المطربُ
والسمىُّ يصنع من نسيج جلودنا وَتَرَ الكمان
ويُطْربُ المتفرِّجين
قد زيَّفوا يا مصر حنجرتى
وقامةَ نخلتى
والنيل ينسى
والعائدون إليك منذ الفجر لم يَصِلوا
ولستُ أقول يا مصر الوداع
شَبَّتْ خيول الفاتحين
زرعوا على فمك الكروم، فأينعتْ
قد طاردوكِ- وأنتِ مصر
وعذَّبوكِ- وأنت مصر
وحاصروكِ- وأنت مصر
هل أنت يا مصر؟
هل أنت... مصر؟

.. وأحمد الشهاوى يكتب: أوراق خاصة من حياة الشاعر الكبير

رسالة عمرها 52 عامًا من مصطفى محمود إلى أسامة الأزهرى

المنابر الإلكترونية

فلسفة الخروج من المساجد

الموت باسم الرب

كيف نقل الإيرانيون الحرب لساحات الأدب؟

مذكرات بيلوسى

امرأة هزت عرش ترامب

محمود الوروارى

الإعلامى والروائى والكاتب محمود الوروارى يتحدث، لـ«حرف»، عن مشواره الثرى والمتنوع ورؤيته تجاه العديد من القضايا الفكرية فى عالمنا العربى وواقعنا المصرى على وجه الخصوص.

صبحى موسى

الروائى المتألق صبحى موسى فى حوار خاص مع «حرف»، يتحدث فيه بشكل مفصل عن روايته الأحدث «كلاب تنبح خارج النافذة»، التى أعاد فيها تحليل وتفكيك ثورتىّ 25 يناير و30 يونيو.

د. منى حلمى

الكاتبة والشاعرة منى حلمى تحيى ذكرى يوسف إدريس مستعرضة جانبًا من ذكرياتها مع الكاتب الكبير، وذلك تحت عنوان «أديب ينبش جدار القبر حتى يواصل الكتابة».

عزمى عبدالوهاب

الشاعر والكاتب الكبير عزمى عبدالوهاب يختص «حرف» بواحدة من أجمل قصائده التى تحمل عنوان «القاتل يشرب القهوة فى مقهى ردىء» وهى قصيدة تتميز بتألق المفردات ونعومة الكلمات.

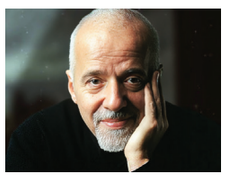

عندما تُريد شيئًا ما، يتآمر الكون كلّه لمساعدتك على تحقيقه.

باولو كويلو

رسالة عمرها 52 عامًا من مصطفى محمود إلى أسامة الأزهرى

مصطفى محمود

أسامة الأزهرى

المنابر الإلكترونية

محمد الباز

الخروج من المساجد

عندما خرجت من لقائى مع الدكتور أسامة الأزهرى كنت متفائلًا جدًا بما قاله.

يملك الأزهرى رؤية عصرية لما يجب أن يكون عليه الداعية.

يدرك خطورة الدور الذى يقوم به دعاة ووعاظ المساجد الذين يلتقون مع الناس وجهًا لوجه، ولذلك فإن الداعية التقليدى الذى نقابله فى مساجدنا لم يعد مناسبًا للمشاركة فى المهمة المقدسة بتجديد الفكر الدينى.

أعرف أن الدكتور أسامة لا يزال فى مرحلة بدر البذور فى الأرض، ويمتلك من الحكمة والصبر ما يجعله لا يتعجل الحصاد، بل ينتظر على ما يزرعه فى عقول وقلوب وأرواح رجاله فى المساجد، فلديه خطة تحويل الداعية من تقليدى يردد ما يقرأه فى الكتب، ما جد منها وما قدم، إلى مفكر يختلط بالمجتمع، يعرف مشاكله ويتعرف على أزماته ويحلل عثراته، ليخرج برؤية تشتبك مع هذه القضايا ولا ينعزل عنها.

التقطت من بين كلمات الدكتور أسامة تعبيره الدقيق جدًا والذى يصلح شعارًا للمرحلة المقبلة، فهو لا يسعى إلى تجديد الفكر الدينى، ولكنه يجتهد من أجل «تجديد الحياة».

«تجديد الحياة».

مهمة معقدة ومتشابكة تحتاج إلى مزيد من الجهد المخلص، ويستلزم أن نتصدى له بروح المفكرين وليس بروح الموظفين، وقد أدركت من اللحظة الأولى من جلوسى مع الدكتور أسامة أننى أمام وزير مفكر وليس وزيرًا موظفًا يؤدى مهمة إدارية تنتهى فور خروجه من مكتبه، فهو يحمل هموم الدعوة معه أينما حل أو رحل.

المشكلة التى يواجهها الدكتور أسامة الأزهرى ونواجهها معه، دون أن نقلل من خطرها، هى أن الدعاة الذين يتولون مهمة شرح الدين للناس لم يتم تأهيلهم التأهيل المناسب لما طرأ على الحياة من تغييرات، ولما لحق بالناس من تطور.

وستكون مفاجأة للدكتور الأزهرى عندما يقرأ معى ما كتبه الدكتور مصطفى محمود فى مجلة «صباح الخير» العدد الصادر فى ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٧٢، أى منذ ٥٢ عامًا كاملة.

ببساطة صاغ الدكتور مصطفى محمود عنوان مقاله فكان «أسلوب خطبة الجمعة».

وببساطة أكثر صاغ أفكاره ووضعها أمام من يهمه أو يشغله الأمر.

يقول مصطفى محمود: فى هذا الجزء الأخير من القرن العشرين، والأقمار الصناعية تدور فى الفضاء، والصواريخ تنتقل بالتلستار، والأخبار تطير بالتلكس، والأعمى يتحسس طريقه بعقل إلكترونى، والغواصة تشق ظلمة الأعماق بمحرك ذرى، وسط هذا الغمر الهائل من الوسائل العلمية والتحديات التى تبهر العقل نرى شيخ الجامع يخاطب الناس من على منبر القرون الخوالى، وكل ذخيرته فى الدعوة إلى الإسلام تهديد المؤمنين البسطاء الذين سعوا إليه بأن مصيرهم الحرق فى جهنم، وبأن من يلبس من زوجاتهم نصف كم سوف تشوى أذرعهن فى النار، ومن يتأخر فى صلاته ليؤديها قضاءً سوف يلقى به فى برميل من الزفت المغلى، ومن يدخر نقوده فى بنك سوف يرشق بالأسياخ المحمية، أما الذى ينظر إلى محرم فنصيبه أن تقلع عيناه وتوضع مكانهما جمرتان لا تنطفئان، ثم يؤيد كلامه بأحاديث نبوية مرعبة بإسناد طويل عن ابن عنبسة عن الهيثم بن عدى عن ابن أيوب الموصلى عن الكلبى عن التغلبى عن ابن إدريس عن ابن الحضرمى، وكل هؤلاء نعلم عنهم الآن أنهم كانوا وضاعين للحديث كذابين وأن أكوام الكتب الصفراء التى تركوها كانت زيفًا وتشويهًا، وأن نبينا وهو نبى الرحمة والشفاعة والمغفرة لم يقل شيئًا من تلك البشاعات.

ويوضح مصطفى محمود خطر ما يقوم به الدعاة، فبسبب ما يفعلونه تضيع عظمة الدين فى طوفان هذه النظرة الضيقة المتعصبة، بل قد يطلع علينا شيخ يشتم العلم ويشتتم كل من يفسر القرآن بالعلم، وينادى بالفصل بين الدين والعلم، ويقول بأن القرآن كتاب عقيدة وتشريعات أزلية ووصايا خلقية، ولا يصح ولا يجوز الربط بينه وبين معارف علمية زائلة فانية، بل قد نسمع من الشيوخ من يأمرنا بالتسليم الإيمانى فى قضايا الدين وينهانا عن الخوض بالجدل العقلى.

يضع مصطفى محمود القضية التى يسعى إلى تبنيها فى سياقها الصحيح، فمن يفعلون ذلك بالنسبة له ينسون أن جوهر ديننا هو العلم والعقل، وأن الله قال لنبيه: «وجادلهم بالتى هى أحسن»، وأن خواتيم أكثر الآيات.. «لعلهم يعقلون».. «لعلهم يفقهون».. «لعلهم يتدبرون»، وأن القرآن يشيد بـ«أولى العلم» و«أولى الألباب» الذين يتفكرون فى خلق السماوات والأرض، وأن الله يأمرنا: «قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق».

وهو أمر صريح بالسير والنظر وجمع الشواهد والبينات بحثًا عن بداية الخلق وأصله، مع أن القرآن يقول بأن أصل الخلق من طين، وكان يمكن الاكتفاء بهذا دون بحث إذا كان مراد الله منا هو التسليم الإيمانى الأعمى.

يصحح مصطفى محمود الصورة كما يرى ويعتقد.

فالإسلام فى جوهره أبعد ما يكون عن التسليم الأعمى، وهو أكثر الأديان حضًا على العلم والتفكر.. وأول كلمة فيه «اقرأ».

«اقرأ باسم ربك الذى خلق».. أمر صريح بالقراءة والتعلم.

جاء هذا الأمر قبل الأمر بالصلاة والصوم والزكاة.

وهى إشارة خطيرة بأهمية العلم وبأن الله لا يُعبد إلا بالعلم.

وتتوالى الآيات التى تؤكد ذلك، يرصدها مصطفى محمود:

«وقل رب زدنى علما».

«قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون».

«شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم».

وتتكرر كلمة العلم ومشتقاته فى القرآن ثمانمائة وخمسين مرة.

يخلص مصطفى محمود من ذلك إلى: هذا هو الإسلام، وهذه دعوته، وليست براميل الزفت والقطران ولا الشوى فى جهنم، وحينما كنا نفهمه على حقيقته خرج منا العلماء العظام أمثال ابن سينا فى الطب، وابن رشد فى الفلسفة، وابن الهيثم فى الرياضيات، وجابر بن حيان فى الكيمياء، وابن النفيس فى التشريح، وكان الإسلام عطاء ونورًا أفضاه على الدنيا.

شغلت مصطفى محمود قضية العقل إلى منتهاها.

يقول: الإسلام لا يخشى هجوم العقل بل يدعو إليه، وهذا يحتم على الدعوة العصرية للإسلام بأن ترد بالعقل والجدل والعلم، وليس بالشتم على المذاهب والتحديات الجديدة أمثال الفكر المادى والفكر الشيوعى، فديننا هو الدين الوحيد الذى حبب للمؤمن بالنص الصريح بأن يعمل على قدر طاقته ويأخذ على قدر حاجته.

ويعود مصطفى محمود إلى الآيات القرآنية التى تؤكد ذلك:

«لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها»

«يسألونك ماذا ينفقون.. قل العفو».. والعفو هو ما زاد عن الحاجة.

وهو الذى قال بنص صريح إن الأموال لا يصح أن تكون دولة بين الأغنياء وحكرًا لطبقة يستمتعون بثمارها وإنما يجب أن تفيض ثمارها على الكل، و فى تشريعه الاقتصادى يأتى الإسلام أكثر تفوقًا وإنسانية من المذاهب المادية، لأنه استمد سلطانه من ضمير المؤمن وليس من قهر السلطة وإكراه القوى البوليسية، وجاءت نصوصه الصريحة تؤكد عدم تأليه الحاكم».

القرآن يخبرنا بذلك.

«إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر».

«ما أنت عليهم بجبار».

«لا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله».

«إنما المؤمنون أخوة».

وينتقل مصطفى محمود إلى قضية أخرى مهمة وملحة، يقول: جعل الإسلام من حرية الفرد وكرامته وأمنه قيمًا تعدل فى وزنها وزن الإنسانية كلها، فقتل نفس واحدة بريئة هى فى القرآن مثل قتل الناس جميعًا لا يبررها مصانع تقام ولا إنجازات تنجز ولا صحارى تعمر.

«من قتل نفسًا بغير نفس أو فساد فى الأرض.. فكأنما قتل الناس جميعًا».

وجاء ضد كل عنصرية.

وكان صهيب الرومى وسلمان الفارسى وبلال الحبشى هم الإخوة الأوائل فى الإسلام وقد تعلموا من القرآن أن الله خلقهم جميعًا من نفس واحدة.

«اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفسٍ واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالًا كثيرًا ونساء».

«إن أكرمكم عند الله أتقاكم».

لا تمايز إلا على أساس التقوى والخلق، فالكل أبناء أب واحد.

أما قضية الاجتهاد فيدخل إليها مصطفى محمود بجرأة وشجاعة، يقول: الاجتهاد فى فهم القرآن على ضوء المعارف الجديدة أمر واجب فى الدعوة العصرية، فالقرآن موسوعة وليس، كما زعم البعض، كتاب عقيدة وأخلاق وتشريع فقط، والقرآن تعرض للفلك والكونيات والطب وعلم الأجنة ونشأة الخليقة والسياسة وعلم النفس بآيات نصوص صريحة محددة تحتاج إلى اجتهاد رجل العلم ولا علاقة لها بأخلاقيات ولا بتشريع.

قضية العقل شغلت مصطفى محمود إلى منتهاها

يوضح مصطفى محمود خطر ما يقوم به الدعاة فبسبب ما يفعلونه تضيع عظمة الدين فى ظل النظرة الضيقة

حرف

الدستور الثقافى

إصدار إلكترونى يصدر عن مؤسسة «الدستور» للطباعة والنشر

03

14 أغسطس 2024
9 صفر 1446
8 مسرى 1740

الأربعاء

المستشار الفنى: عيد رحيل

مدير التحرير: محمود الشهاوى
الإخراج الفنى: محمد جلال فراج
سكرتير التحرير: بيجاد سلامة
الديسك: كرم منصور
التصحيح: وائل فصيح
مدير الإنتاج: رائف درويش

«يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقًا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث».

ويسأل مصطفى محمود: ما هو ذلك الخلق المتتابع.. وما هى الظلمات الثلاث.

ويجيب: هذه أمور لا يستطيع أن يفتى فيها إلا عالم أجنة.

ويقول: بالمثل ما جاء عن السماوات السبع.. وعن السماء ذات الحبك «أى ذات الممرات»، وعن دحو الأرض.. «والأرض بعد ذلك دحاها» والدحو فى القاموس يعنى البسط ويعنى التكوير معًا، وعن الليل «يكور الليل على النهار.. ويكور النهار على الليل».

وعن زوجية الأشياء.

«من كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون».

إشارة إلى سالب وموجب. ومادة ومادة مضادة، وإلى الاستقطاب فى قطبين، وإلى الجزىء اليمينى والجزىء اليسارى الذى عرفناه فى الكيمياء، إلى آخر ما تحكى لنا العلوم الحديثة عن زوجية الأشياء.

وعن مبدأ الخلق.

«وجعلنا من الماء كل شىء حى».

«خلق كل دابة من ماء».

«ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين».

وعن نشأة الجنس من النطفة المنوية.

« وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى».

لم يقل من نطفة الأنثى.. بل من نطفة الرجل.

وهذه حقيقة علمية.

وعن النجوم والكواكب فى السماء.

«كل فى فلك يسبحون».

«كل يجرى لأجل مسمى».

لا يوجد جرم فلكى فى حالة سكون وإنما الكل يتحرك، والكل يجرى لأجل، وله ميلاد وموت كما أن للإنسان ميلادًا وموتًا، وهذه كلها علوم ومعارف علمية على وجه التحديد ولا علاقة لها بوصايا خلقية أو تشريعات أزلية ومفتاحها فى اجتهاد الميكروسكوب والتلسكوب وكيمياء الجزىء والذرة وعلوم الحياة وبحث العقل فى أرجاء الكون.

ولأن مصطفى محمود كان يعرف أن هناك من سيتخوف مما يقوله ويطرحه فى مقاله، فإنه يقول: وهذا الاجتهاد المصرى مطلوب ولا خوف على القرآن من اختلاف التفاسير، فهناك أكثر من ألف تفسير مختلف، ولم يضر هذا الاختلاف القرآن شيئًا وإنما كشف لنا عن خصوبته، فهذه الفجوة المصطنعة المفتعلة بين الدين والعلم لا وجود لها فى الإسلام، فالإسلام دين علم يزدهر بالعلم والجدل ويزداد نضارة بهجوم العقل عليه، لأنه حق ولا خوف على الحق من جرأة المجترئين، وهذا الانفصام المرضى فى العقلية الشرقية بين معارف العلم ومعارف الدين هو انفصام مفتعل روج له الاستعمار ليعزل البلاد المتخلفة عن روح العصر، ويعزل الدين ويحنطه فى داخل الكتب الصفراء ليسهل بعد ذلك طعنه والقضاء عليه كشىء قديم متحفى مهلهل عفا عليه الزمن.

وينتقل مصطفى محمود إلى مساحة أعتقد أنها كانت- ولا تزال- مهمة.

يقول: ونأتى بعد ذلك إلى أهم جانب فى الدعوة العصرية وهو القدرة على مخاطبة الشباب بأسلوبه وأدواته، إن الشباب يذهب إلى السينما والمسرح ويجلس أمام الراديو والتليفزيون ويستمع إلى الأغنية، فالدعوة العصرية يجب أن تدخل إليه من كل تلك القنوات، وعلى الدعاة أن يختاروا لدعوتهم القوالب العصرية الجديدة فيضعوا أهدافهم فى أشكال فيلمية ومسرحية ومسلسلات تليفزيونية وبرامج ترفيهية.

ليس هذا وفقط، بل على الدعوة العصرية- كما يرى مصطفى محمود- أن تتجنب الديباجات الكلاسيكية القديمة والعبارات المكررة المحفوظة، وأن تستخدم العبارة البسيطة المختصرة والنظرة الموضوعية والأسلوب العلمى الذى يقنع العقل، وأن تعمد إلى الاستدلالات الحسية البليغة من واقع الحياة.

وقبل أن يعترض أحد على ما يقوله، يذهب مصطفى محمود إلى: «إن الله لا يستحى أن يضرب مثلًا ما بعوضة فما فوقها».. فلماذا يستحى رجل الدين من استخدام السينما والتليفزيون والمسرح وقصص الحب ليقدم مفاهيمه؟ ولماذا يختار أمثلته وشواهده من عصر عثمان بن عفان ومعاوية وهو يعيش فى أكثر العصور خصوبة وثراءً؟ ولماذا يقتصر على منبر الجامع فى عصر تعددت فيه المنابر الإعلامية وأصبح فيه التليفزيون أخطر هذه المنابر جميعها؟ لماذا نترك هذا المنبر لأعدائنا يروجون فيه للإلحاد والانحلال ونسجن أنفسنا داخل قوقعة المسجد؟

ويوجه مصطفى محمود كلامه إلى الدعاة مباشرة، فعلى الدعاة العصريين أن يلموا إلمامًا تامًا بجميع الفلسفات الغربية والشرقية الإلحادية والمذاهب الاقتصادية والسياسية الجديدة وبوجوه قوتها وضعفها وبأساليب الرد عليها بالعلم والرأى الموضوعى، وليس بالسباب والشتم أو الدعاوى الإيمانية.

فهو يرى أن أسلوب خطبة الجمعة التقليدى لم يعد يجدى فى الدعوة فى عصر تيسرت فيه السبل والأدوات وتعددت المغريات التى تسابق رجل الدين إلى قلوب الشباب، وأعداء الدين أصبحوا حيتانًا بأسنان ذرية وعقول إلكترونية، وعلينا أن نتعلم السباحة فى مياههم ولا نسجن الدين فى درقة سلحفائية تنادى من على منبر مهجور وفى يدها سيف خشبى.

ويختم مصطفى محمود مقاله الذى أعتبره سابقًا لعصره بقوله: بل إن خطبة الجمعة ذاتها عليها أن تتزود بكل ما قلناه من علوم العصر وحيله وأساليبه لتستطيع أن تناقشه وتقوده، وبمثل ما يتكلم خطيب الجامع من ميكرفون، عليه بالمثل أن يتكلم مستخدمًا كل ما يهبه العصر من معارف وعلوم ودهاء.

انتهى مقال الدكتور مصطفى محمود الذى لا أتعامل معه هنا على أنه مجرد مقال منشور ضمن أرشيفنا الصحفى الزاخر بأفكار عصرية ما زلنا فى حاجة ملحة إليها، بل تعاملى معه يأتى على أنه رسالة موجهة من عمق التاريخ إلى الدكتور أسامة الأزهرى، وزير الأوقاف.

قبل أن أحدثكم أو أحدث وزير الأوقاف عن دلالات المقال، لا بد أن أثبت تحفظى على ما حاول مصطفى محمود تمريره عن تفسيره العلمى للقرآن بين سطور مقاله، فهذه مساحة لا أقره عليها، ولا يمكن الدفاع عنها، ولكنى ألتمس له العذر، لأنها قضية بنى عليها كثيرًا من شرعيته وأركان مجده.. فما يشغلنى هو فلسفته فى توجيه الدعاة، وهى فلسفة كانت ولا تزال مهمة.

وقد تسألنى لماذا جذب هذا المقال اهتمامى إلى درجة أن أعيد نشره مرة أخرى، وأضعه أمام الأزهرى وأطالبه بأن يقرأه جيدًا، وأن يتفاعل معه ويشتبك مع ما جاء معه من أفكار، بل إننى أطالبه أن يكتب لنا رؤيته حول ما قاله مصطفى محمود.

السبب أن الأفكار التى وردت فى المقال جميعها- إلا قليلًا- تناقشت فيها مع الدكتور أسامة — لم أكن قد قرأت المقال بعد- ووجدته متفاعلًا معها بدرجة كبيرة.

لقد لفت نظرى فيما قاله مصطفى محمود أنه يريد من الدعاة أن يستخدموا كل الأدوات الحديثة التى قدمتها الحضارة وأنعمت بها علينا التكنولوجيا فى توصيل الرسالة الدعوية، وساعتها كانت، كما حددها، المواد الفيلمية والمسلسلات التليفزيونية والبرامج الترفيهية.

يتحدث مصطفى محمود عن السينما والمسرح والتليفزيون والراديو، وهى الأدوات التكنولوجية المتاحة فى عصره، ولو كان يعيش بيننا، لطلب من الدعاة أن يستعينوا بمنصات السوشيال ميديا «الفيسبوك- التيك توك- الإنستجرام - اليوتيوب- وإكس» وغيرها من المنصات والتطبيقات، فالعبرة ليس بما نقول، ولكن العبرة الحقيقية هى بماذا وكيف نقول.

فلا قيمة على الإطلاق أن يستخدم الدعاة وسائط الاتصال الحديثة، ويكون المحتوى الذى يقدمونه تقليديًا، خارجًا من الكتب القديمة الصفراء التى لا تتصل ولا تتواصل مع العصر الذى نعيشه وقضاياه، بل لا بد أن يكون التجديد فى الخطاب والفكر قبل التجديد فى الأدوات التى يستخدمها الدعاة.

يمنح مصطفى محمود المساجد قيمتها وقدرها وتقديرها- كما أفعل ذلك، ويفعل الدكتور أسامة الأزهرى، ولكنه يرى، كما أرى الآن، ضرورة الخروج من ضيق المساجد إلى براح السوشيال ميديا، فهذا الفضاء الذى يمرح فيها كثيرون ويقولون ما لا يتفق مع روح الإسلام الحقيقية، لا بد أن يتم غزوه بشكل كامل.. والآن وليس غدًا.

لقد فتحت مع وزير الأوقاف ملف المنابر الإلكترونية.

التعبير خرجت به من سنوات، تحدثت عنه فى برامجى التليفزيونية وكتبت عنه فى مقالاتى، وطالبت بالانتباه لها، لأنها أكثر خطورة وتأثيرًا وانتشارًا وفاعلية.

لقد اجتهدت وزارة الأوقاف خلال السنوات الماضية عندما كان يتولى مسئوليتها الدكتور محمد مختار جمعة فى إحكام السيطرة على المنابر الخشبية فى المساجد، عملت على ألا يصعد إلى هذه المنابر من يحمل فكرًا يتعارض مع صحيح الإسلام ومصالح الدولة المصرية، وقد نجحت فى ذلك بدرجة كبيرة تجعلنا نشكر الدكتور مختار جمعة على جهوده.

هذه السيطرة الناجحة كان لها أثر جانبى لا يمكن أن نتجاهله أو نغض الطرف عنه، وهو أن كثيرين ممن تم إبعادهم عن المنابر الخشبية لجأوا إلى المنابر الإلكترونية وأصبح لهم ملايين المتابعين الذين يستمعون إليهم ويسيرون خلفهم، وهؤلاء لهم إتجاهاتهم وأجنداتهم وأولوياتهم التى لا يمكن أن نسلم بأنها بريئة مائة فى المائة أبدًا.

لا تشغلنى هذه القضية على المستوى النظرى فقط، فقد قمت بجولة خلال الأيام الماضية على «تيك توك» وهالنى ما رأيت، مئات الحسابات يتحدث من خلالها شباب مجهولون لا نعرف عنهم شيئًا فى الدين، يفسرون القرآن ويتحدثون فى قضايا فقهية ويقدمون فتاوى إلى المستمعين، فهل تعرف وزارة الأوقاف عن هؤلاء شيئًا... هل يتبعونها، أم أنهم لجأوا إلى هذه المنصة حتى يكونوا بعيدين عن حدود الوزارة وما تقوم به.

دعاة «التيك توك» لهم ملامحهم الخاصة فى الشكل والمضمون، شباب يرتدون الملابس العصرية، ويتحدثون بلغة قريبة من الناس، أحدهم يقدم أسلوبًا فى الدعوة يمكن أن نطلق عليه «الدعوة بالدعابة» أو «الدعوة بالفكاهة»، فالمعلومات والآراء الدينية التى يقدمها يضعها فى فاصل كوميدى يطعمه بكثير من القفشات والنكات، ويلقى إقبالًا كبيرًا على ما يقدمه.

لا أنكر إعجابى بطريقة هذا الداعية، وإن كنت لا أريد أن تتحول الدعوة إلى مجرد اسكتش فكاهى، لكن لا بد من الإشارة إلى ما يحدث ودراسته والاستفادة منه.

لقد حاولت مؤسسة الأزهر منذ سنوات تقديم جيل جديد من الدعاة.

درست ظاهرة الدعاة الجدد جيدًا، عرفت مواطن قوتهم، ودفعت بمجموعة من الشباب الذين يرتدون ملابس عصرية، ويتحدثون بلغة الشباب، ومنحتهم الفرصة للظهور فى البرامج الفضائية، بل إن المؤسسة الكبيرة كانت تعمد إلى فرض هؤلاء الشباب فرضًا على بعض البرامج، لكنهم فى النهاية لم ينجحوا ولم يقدموا شيئًا له قيمة إلى الدعوة، بل لم يستطيعوا أن يصلوا إلى الشباب، والسبب أن ما كانوا يقدمونه من محتوى لم يكن عصريًا فى معظمه، فقد ارتدوا زى العصر لكنهم تحدثوا بلسان عصور أخرى.

لقد دعا مصطفى محمود فى مقاله إلى أن يختلط الدعاة بالعلوم العصرية، كان يتحدث عن ذلك منذ أكثر من خمسين عامًا، وأعتقد أن أحدًا من وزراء الأوقاف السابقين لم يلتفت لا إلى مقاله ولا إلى دعوته، وأعتقد أننا لا نزال فى حاجة إلى فكرته.

فما الذى يعرفه الدعاة عن السياسة والاقتصاد وعلم النفس وعلم الاجتماع والفلسفة والعلاقات الدولية وعلوم الاتصال والطب والديانات الأخرى والمذاهب الفكرية المختلفة؟

بل ما الذى يعرفونه عن أصحاب الديانات الأخرى الذين يعيشون بيننا؟ وهل لديهم فكرة عن طريقة التعامل معهم والحديث عنهم؟ أم أنهم لا يزالون أسرى لما فعله دعاة سابقون، كانوا يستخدمون الدين لأغراض السياسة، وأورثونا كراهية متبادلة لا مكان لها فى صحيح الأديان جميعها، فالله محبة.. والدين محبة.

إننى ارى أهمية كبرى فى أن يخرج الدعاة من ضيق العلوم الشرعية إلى براح العلوم الإنسانية الأخرى قبل أن نطالبهم باستخدام وسائط التواصل الحديثة، فالتجديد لابد أن يبدأ بالروح والعقل والفكر قبل أن يجلس أحدهم ليتحدث فى فيديو يتم رفعه بعد ذلك على منصة من منصات السوشيال ميديا.

إننا نعانى حتى الآن من دعاة يعيشون فى الماضى، ويتحدثون بلغة الماضى، ويعالجون القضايا العصرية بعلاج الماضى، يعتقدون أنهم بذلك يخدمون الإسلام، رغم أنهم يلحقون به أكبر الضرر.

حتى الآن يصعد المنابر الخشبية من يروجون للخرافات ومن يستحضرون الماضى متجاهلين الحاضر وقضاياه، وهم مصدر نفور كبير، فكثيرون لا يذهبون إلى المساجد يوم الجمعة إلا لتأدية الصلاة فقط، يشعرون أن الاستماع إلى خطبة الجمعة ليس إلا تضييعًا للوقت وإهدارًا للعقل، وهو ما لابد من معالجته بشكل عاجل وسريع.

أما مشروع المنابر الإلكترونية فلا بد أن تكون هناك خطة لها بعدان.

البعد الأول على المدى القصير تقوم فيه الوزارة بالدفع بمن يملكون استعدادًا وتأهيلًا لاحتلال الفضاء الإلكترونى لمحاصرة المحتوى المتهافت الذى يقدمه دعاة المنصات المجهولون.

والبعد الثانى على المدى البعيد، حيث يجب أن تقوم الوزارة بإعداد أكبر عدد من الدعاة المؤهلين للتعامل من خلال المنابر الإلكترونية، فهى تحد كبير، وأعتقد أن الدكتور أسامة الأزهرى على قدر هذا التحدى، بل لديه من الأفكار والروح والعزيمة والإرادة والإدارة لينجزه.

لا نملك إلا الانتظار.. وتقديم ما نقدر عليه من دعم لإنجاح هذه التجربة التى أعتقد أنها ستكون إنقاذًا كاملًا للدعوة التى لا تزال فى حاجة إلى جهود مكثفة.

اللهم قد بلغت... اللهم فاشهد.

د. محمد الباز مع وزير الأوقاف

إننا نعانى حتى الآن من دعاة يعيشون فى الماضى ويتحدثون بلغة الماضى ويعالجون القضايا العصرية بعلاج الماضى

لقد دعا مصطفى محمود فى مقاله إلى أن يختلط الدعاة بالعلوم العصرية

عزمى عبدالوهاب

القاتل يشرب القهوة فى مقهى ردىء

فى ليلةٍ تخلو من الهواء
زحفَ الغبارُ نحو البيوت
كان المسرحُ مهيأ لجريمةٍ غامضة
هذا ما أردتُ أن أقوله
أنا الذى لم يقلْ ما يرى أو يريدُ،
رأيتُ البنات يدخلن
ويخرجن بزينةٍ أفسدها المطرُ الأسودُ
فى بيوت مشبوهة،
رأيتُ رجالًا يموتونَ قهرًا
وعلى المقاهى تُصنَعُ المأساةُ
فلم أصرخْ،
رأيتُ القاتلَ بصحبةِ عاهرةٍ فى المترو
فاكتفيتُ بالفرجةِ،
عرفتُ أطفالًا يسقطونَ فى حقولِ الكتان
دون أن تمتدَ إليهم يدٌ
غير يد الفقر الغليظة،
كانت الحياةُ قبرًا مفتوحًا
وكان المسرح مهيأ لجريمة غامضة
وأنا الشاهد والشهيد
رأيتُ القتيل يعانق قاتله
أمام كاميرات الشوارع الجانبية
فأدرتُ ظهرى،
رأيتُ القتيلَ يربت على كتفى قاتله
«فى الواقع كان يربت على روحه الذبيحة»
فانصرفتُ،
رأيتُ ما لا أريد:
أطلقَ القاتلُ رصاصتَه
فى الصدرِ
وبينما كانَ القتيلُ يسقطُ
كان القاتلُ يهذى:
قَتلْتَنى يا ذئبُ
نظرةُ الاحتقارِ فى عينيكَ داستْ على الزناد
قبلَ أن تمتد إليه يدى،
كان يهذى
عن أمه التى تجلسُ على عتبةِ البيتِ الريفى،
فى انتظار العيال الضائعين فى البلاد الباردة،
عن ولدٍ أصغر يتاجرُ فى الموت، ولا يربحُ أبدًا، عن
خوفٍ يختبئ وراء باب غرفةٍ مستأجرةٍ فى منزل
سيدةٍ كريهةٍ، وشوارع تتربصُ بالمارةِ، عن مهدئاتٍ
خارج الجدول، و«وكالة البلح» التى تمنحكَ
أجسادًا لنساءٍ لم يكنَّ هنا، عن بناتٍ يذهبن إلى
البارات بعد منتصف الليل، ويَعُدنَ بمزيدٍ من
الاضطرابِ النفسى.
يهذى ويضحكُ
يسألُ القتيلَ: لماذا لا تضحكُ؟
يبدو أنك لستَ سعيدًا!
هل صوَّبتُ رصاصتى فى العمق
هل سكنتْ ذلك المكانَ الردىء
المكانَ الذى ذبلتْ فيها باقةُ الورد الأخيرة
حين سقطتَ فى صحراء القلب..،
يصرخُ القاتلُ:
أنا المهووسُ بالعمقِ
كما علَّمتَنى أيها القتيلُ....
دَعوْتَنى للبحث عنه
لماذا تغضبُ الآنَ حين أجده؟
جَرِّبْ أن تبكى
أنا أعرفُ أنكَ عقدتَ مصالحةً مع الفرحِ
لكن جَرِّبْ فعلًا أن تخرقها
وَتَذَكَّرْ:
هنا مطعمُ أسماك وادى النيل، وسوقُ التوفيقية،
وبائعُ الخبز السخيف، والموظف الغبى فى
المجلس الأعلى للثقافة، ومركز الهناجر،
والجمعية العمومية لنادى الأهلى، والعرض
الخاص لفيلم «ورد مسموم» وحكايات «أحمد
فوزى» التى تشبه «ألف ليلة وليلة» وهناك
«مكاوى سعيد» يجلس على باب «زهرة البستان»
يهش النميمة التى تركها الأصحابُ على
المقاعد، أيها القتيلُ: هل تعرف؟ مكاوى سعيد
ماتَ، دونَ أن يمنحكَ تعويذةَ النجاةِ، لذلك
جاءت الرصاصةُ فى العمق.
يا مسكين!
أنت تتدحرجُ جثةً على سلالم المقهى، ردىء
التهوية، المقهى الذى كنتَ تكرهه، هل تذكرُ
مشروبَ الجمعةِ السرى الذى يشربه الشعراء؟
بالتأكيد تَذكرُ حفارى القبور الذين كتبوا
تاريخكَ، ثم مضوا تاركين معاطفَ الأسى فى
روايات عبدالحكيم قاسم، من «محاولة للخروج»
إلى «قدر الغرف المقبضة» تركوها لكَ وحدكَ.
أنتَ من صنعَ المأساةَ يا سيدى
هل تَذكرُ:
نيتشة: اكتبوا بدمكم، كازنتزاكيس: تقرير إلى
جريكو، جان جينيه: الجرح السرى ويوميات
لص، إميل سيوران: المياه كلها بلون الغرق،
نيكانور بارا: فى الإخلاص يكمن الخطر، أو
الفوشيا راقصة باليه، وهنا «أماديوس» و«باريس
منتصف الليل» ولحظات الانتظار فى ممر
الجريون، و«إديث بياف»: جوهرة اليتم المغروسة
فى وحل العالم، داليدا: المنتحرة فى سينما
«زاوية» بوسط القاهرة، موسيقى الجاز فى عدد
«إفريقيا الشابة» من «الأهرام العربى» غرفة
الخسارات البيضاء فى ركن صغير بالأهرام،
وهنا كان «حارس الفنار العجوز» يمشى، ويكره
الكلاب، فعاقبه الرب بكلبة جائعة قالت له: «من
فمى خذ الجوع» ثم تركته ينزف فى الطريق،
لتلعق الجراء من رئتيه.
يصرخ القاتل:
جرب أن تبكى يا صديقى
ستكون أفضل
مِنْ وَضْعِ الجثة الذى تبدو عليه
أو قل:
«يا من تذهب سوف تعود
يا من تنام سوف تنهض
يا من تمضى سوف تبعث
فالمجد لك»
هكذا تكتب كلامًا بلا معنى
وتفرح حين تكتب النساءُ
قصائدَ عن «حارس الفنار»
عن الخسارات التى تحدثُ
فى غرفة بعيدة عن أيدى الرب،
ماذا يضيرك لو تغنى؟
أنت لا تجيد الغناء.. نعم
ليس مهمًا
جرب أن تغنى:
«يا حى فوق كل حى وبعد كل حياه
قادر تصبَّر جريح الروح على بلواه»
أنت ميت منذ سنوات
ما الجديد إذن
ستقول:
«سرقْتَنى يا لص
ثم أطلقت الرصاصة
بتلك الطريقة التافهة،
لم يكن ذلك ما أبحث عنه
أردتُ ميتة أسطورية،
بعيدا عن الأصدقاء الخونة
والنساء الكذبة
والشوارع التى تختنق بالبكاء»
يا أيها القتيل
غدًا تأتى الطيور السوداء
لتنال حصتها من دمكَ
فاكتب
عن المسرح المهيأ لجريمة غامضة
عن أبطال يصعدون من حقول الكتان
إلى الخشبة
مجللين بالعار
ألم تكتب:
«منذ يومين لم أنم
لم أنم منذ يومين
كنت أتابع الحرب المشتعلة فى ثيابى
وحوارًا بين نافذة وعصفور يتيم
هارب بخوفه من قصف عشوائى،
وفى الساحة
كان إنسان يموت
لأن الحرب مشتعلة فى ثيابه»
متْ يا رجل
كما متَّ من قبل
لتكتبَ بالدم
آخر سطر فى تلك القصيدة
عن قاتل
يشرب القهوة
فى مقهى ردىء التهوية!

أهلى وجيرانى

صفى الدين محمود

مؤمن المحمدى

إن اعتقادى كان ولا يزال أن مصر بـ حاجة ماسة لـ آلاف وآلاف من صفى الدين محمود.

فيه تلات مستويات للكلام عن صفى، مستوى شخصى، ودا مش هـ أعرف أتكلم فيه، بس كل القريبين منه هـ يفهموا كلامى ويعرفوا أنا عايز أقول إيه.

فيه مستوى مهنى، كـ منتج وكـ مخرج منفذ أو كما أحب أن أسميه «الصانع»، ودا فيه كلام كتير، لكن أفضل تأجيله حاليًا، وأفرد المساحة دى لـ الحديث عن صفى الدين محمود من حيث العقلية.

الفكرة هنا هى القدرة على وضع كل حاجة فى مكانها، وكل شخص فى لقطته، ومعرفة حدود كل العناصر بـ ما فيها هو نفسه كـ عنصر من عناصر العمل، والتفكير طول الوقت فيما يشكل إضافة ويزق لـ قدام ويطلع لـ فوق.

مثلًا، صفى بدأ علاقته بـ السينما كـ مخرج مساعد مع مجدى أحمد على فى «أسرار البنات» ودا كان امتداد لـ عمله فى المسرح اللى بدأ مع بدايات التسعينيات، أى مخرج مساعد بـ يفكر فى إيه؟ بـ الظبط، فى اليوم اللى هـ يبقى فيه مخرج. مش بـ يفكر فى أنا ممكن أضيف إيه، وهـ أضيف إيه لما أعمل إيه؟ لأ، أنا مخرج مساعد، لازم «أترقى» وأبقى مخرج.

هو لأ ما فكرش كدا، لـ إنه شاف بـ وضوح إنه مساعد المخرج نوعين: نوع هو بـ الفعل مخرج بس بـ يساعد دلوقتى كـ نوع من التأهيل، ونوع متخصص أكتر فى صناعة العمل وتنفيذه، ودى مهمة مش أقل ولا أسهل من الإخراج، بل فى كثير من الأحيان يكون العكس، بـ معنى إنه لو فيه عمل مخرجه متوسط لكن صناعته جيدة يتفوق على عمل مخرجه عالى لكن فيه مشاكل فى صناعته.

من هنا، صفى من بعد مخرج مساعد، بقى مخرج مساعد أول، ثم مخرج منفذ، ومخرج منفذ لـ أفلام تقدر تقول بـ اطمئنان إنها عالمية، ثم جات الخطوة الطبيعية بتاعة الانتقال إلى الإخراج فـ رفضها تمامًا.

فى الأول كنت أظن الرفض مؤقتًا؛ لـ عدم توافر عروض مواتية، إنما لما يتعرض عليك تخرج فيلم لـ أحمد عز فى عز نجوميته، ثم لما تبقى إنت نفسك منتج، وسهل جدًا تقول أنا هـ أخرج الفيلم دا بـ نفسى أيًا كان نجوم العمل فـ هو دا الاختبار، وأنا كنت شاهد على رفضه التام لـ الخطوة دى، ليه؟ بـ بساطة لـ إنى مش مخرج! لـ ذلك على مستوى الصناعة هو أضاف إضافة كبيرة جدًا، ولسه قدام هـ يتعرف حجم الإضافة دى، وزى ما قلت لك دا له كلام مستقل.

دى قمة الموضوع، قيسها بقى على كل التفاصيل، وأنا كان لى شرف العمل معاه فى عدة أفلام زى حار جاف صيفًا وفوتو كوبى والأصليين، كما إنى كنت قريب ساعة إبراهيم الأبيض. طول الوقت فيه مئات التفاصيل حوالين اختيار العناصر، تقدير كل حاجة فى مكانها، وطبعًا كاست التمثيل، وإدارة الموارد، ومعرفة كل حاجة بـ تتعمل إزاى؟ وفين؟ وليه؟ ومين بـ يعملها.

فيه جملة تكاد تكون دستور لـ حياتى، وكل اللى يعرفونى حافظينها: كل حاجة وليها حاجة، الجملة دى أنا سمعتها من الأستاذ وحيد، فـ اتعلمتها منه نظرى، لكن على المستوى العملى أنا شفت تطبيق نموذجى ليها عند صفى الدين محمود.

لـ الأسف مفيش مساحة أكبر لـ الاستطراد فى الحديث، اللى لسه كمان له جوانب تانية كتير، إنما إجمالًا، لو ما عرفتش صفى فـ إنت فايتك كتيييير.

صفى بدأ علاقته بـ السينما كـ مخرج مساعد مع مجدى أحمد على فى «أسرار البنات»

كل رجال الوزير

إنجازات وإخفاقات رؤساء قطاعات وزارة الثقافة

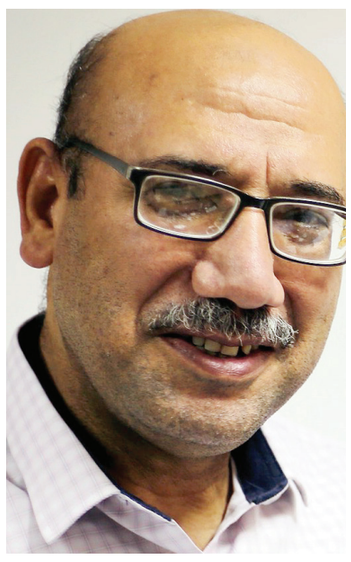

ليس سهلًا أن تكون مسئولا عن عقل شعب بأكمله، أن تمنحه القدرة على التفكير السليم وتعطيه المساحة والطاقة المعرفية لكى يحلم ويتأمل ويبدع، فيبنى بذلك وطنه ويصنع حاضره ومستقبله بشكل علمى سليم.

هذه ببساطة مسئولية وزارة الثقافة من أول الوزير مرورًا برؤساء القطاعات الرئيسية فيها، نزولًا إلى مديرى المديريات والوكلاء حتى صغار الموظفين والعاملين.

ولأن كل هؤلاء يشكلون عصب العمل فى الوزارة، فهم مسئولون بالتبعية عن تثقيف العقل المصرى، كمهمة عامة ورئيسية يبذلون كل طاقاتهم من أجل تحقيقها.

ولا شك أن «الثقافة» التى تولى حقيبتها الوزارية مؤخرًا، الفنان التشكيلى الدكتور أحمد هنو، تبذل جهودًا مكثفة فى إطار دورها المنوط بها فى تثقيف الشعب المصرى، لكنها فى الوقت ذاته تواجه الكثير من التحديات الكبيرة المتراكمة على مدار عقود، والتى يعد أبرز آثارها السلبية، ولادة أجيال لا تتمتع بالوعى المعرفى والثقافى الذى تمتعت به أجيال سابقة.

و«الثقافة» ككيان كبير لا تعمل إلا من خلال أذرعها المتمثلة فى القطاعات الرئيسية، والتى رغم تعددها وتشعبها، تتقاطع جميعها فى هدف واحد وهو تغذية عقل الإنسان المصرى بالجمال وبالقيمة والمعلومة، فتجعله مرهف الحس وصاحب ذوق رفيع وقادر على التفكير السليم والحكم على الأشياء بطرق علمية، وتكون بذلك مسئولة عن خلق أجيال مثقفة وواعية.

هذه القطاعات مشكلة من المجلس الأعلى للثقافة والهيئة العامة للكتاب والهيئة العامة لقصور الثقافة، وأكاديمية الفنون وصندوق التنمية الثقافية ودار الكتب والوثائق القومية، وقطاع شئون الإنتاج الثقافى ودار الأوبرا المصرية والجهاز القومى للتنسيق الحضارى والفنون التشكيلية، وغيرها، وهى كلها تتكامل لتشكل البنية الرئيسية لخطة عمل الوزارة.

ولأن «الثقافة» بشكل عام قضية مرتبطة بحاضر ومستقبل الشعب المصرى، عملت «حرف» على إجراء عملية تقييم شاملة لأداء رؤساء قطاعات الوزارة، باعتبارهم محور العمل والعمود الفقرى الذى يقوم عليه الكيان الكبير.

هيئة الكتاب

قرابة عامين مرا على تكليف الدكتور أحمد بهى الدين برئاسة الهيئة المصرية العامة للكتاب، بقرار من الدكتورة نيفين الكيلانى، وزيرة الثقافة السابقة، خلفًا للدكتور هيثم الحاج على، وبالتحديد فى منتصف أكتوبر ٢٠٢٢.

قبل توليه رئاسة الهيئة المصرية العامة للكتاب، شغل «بهى الدين» منصب نائب رئيسها لمدة اقتربت من 4 أعوام، ضرب خلالها مثالًا للتفانى والإخلاص فى العمل داخل المكان، على ضوء رؤية إدارية واعية.

جمال عاشور

أحمد بهى الدين

طفرة فى النشر والمعارض.. والصعيد ينتظر

كان أول تحدٍ أمام «بهى الدين» فى منصبه الجديد هو الدورة الـ٥٤ لمعرض القاهرة الدولى للكتاب، فى العام الماضى ٢٠٢٣، التى تمكن من إخراجها فى صورة تليق باسم ومكانة مصر الثقافية، ما لقى صدى كبيرًا وقتها، بعدما استقبل المعرض أكثر من ٣ ملايين زائر، مع مبيعات غير مسبوقة للناشرين.

وفى الدورة الماضية التى حملت رقم ٥٥، نجح رئيس هيئة الكتاب فى تطوير المعرض على مستوى الفعاليات والأنشطة الثقافية المقدمة، التى استضافت مجموعة من الأدباء والمفكرين من كل دول العالم، وهو ما أشاد به المهتمون بالثقافة محليًا وعالميًا، بالتزامن مع وصول عدد الزوار إلى ٤ ملايين زائر، فى رقم تاريخى لم يتحقق من قبل.

وعلى مستوى مشاركات الهيئة فى المعارض الدولية، مثلت هيئة الكتاب مصر فى العديد من هذه المعارض، منها معرض فرانكفورت الدولى للكتاب، ومعرضى الشارقة والجزائر، إضافة إلى معرض أبوظبى للكتاب فى دورته الماضية، التى حلت فيها مصر ضيف شرف، وقدمت الهيئة خلالها برنامجًا ثقافيًا وفنيًا معبرًا عن الحضارة المصرية وتاريخها الثقافى.

وبالنسبة للمعارض المحلية، نظمت هيئة الكتاب مجموعة من معارض الكتب فى مختلف محافظات الجمهورية، من بينها معارض بورسعيد ودمنهور ورأس البر وشرم الشيخ، إلى جانب معرض السويس الذى أقيم لأول مرة فى العام الماضى وحقق نجاحًا كبيرًا، فضلًا عن المشاركة فى معارض مع جهات مختلفة مثل معرضى مكتبة الإسكندرية والشيخ زايد.

وعلى مستوى النشر، عمل «بهى الدين» على استعادة دور الهيئة باعتبارها الناشر الأكبر فى مصر، من خلال تطوير مشروع النشر، والارتقاء بجودة الكتاب على مستوى الأغلفة والإخراج والتصميم، بهدف إصدار مؤلفات وأعمال إبداعية وفكرية تضيف إلى القارئ المصرى والعربى.

وأجرى «بهى الدين» تعديلات فى مناصب بعض رؤساء تحرير السلاسل والمجلات الصادرة عن هيئة الكتاب، إلى جانب إصدار مجموعة كبيرة من مؤلفات عميد الأدب العربى طه حسين وصلت إلى ١٧ عنوانًا.

كما أصدرت الهيئة فى عهد الدكتور أحمد بهى الدين بعض أعمال أحمد لطفى السيد ونعمان عاشور ويوسف جوهر وحافظ إبراهيم، ضمن سلسلة «أدباء القرن العشرين»، التى نجح فى إعادتها من بعد توقف.

وتمكن «بهى الدين» من إضافة مجموعة من السلاسل الجديدة لمشروع النشر فى هيئة الكتاب، منها «عقول» و«حكايات النصر»، إلى جانب «ديوان الشعر المصرى»، وهى السلسلة التى صدر منها ٤ أعمال هى: «ابن سناء الملك.. يا شقيق الروح من جسدى»، و«ابن النبيه.. أفديه إن حفظ الهوى أو ضيعا»، و«ابن نباته المصرى.. قامت قيامة قلبى»، و«البهاء زهير.. يا من لعبت به شمول».

ومن أبرز العناوين التى أصدرتها الهيئة فى بعض السلاسل الأخرى: «أبوالهول» و«فجر الضمير» لعالم المصريات سليم حسن، بجانب إعادة طباعة موسوعات «مصر القديمة» و«الأغانى» و«وصف مصر»، فضلًا عن العشرات من كتب الأطفال وإصدارات النشر العام.

وأعادت هيئة الكتاب إصدار عدة مجلات تعد جسرًا مهمًا بين القارئ العربى والثقافات الأخرى، وتسهم فى إثراء المعرفة العامة، وتعزز من قدرة القراء على مواكبة التطورات العالمية، وتتيح للقراء الإطلاع على أحدث ما توصلت إليه العقول العالمية فى مختلف المجالات، على رأسها مجلة «فصول» بعد توقف قرابة العامين.

وحققت الهيئة نجاحات كبيرة على مستوى الإيرادات، من مبيعات الكتب فى معرض القاهرة الدولى والمعارض المحلية الأخرى، ومنافذ البيع التابعة فى القاهرة وغيرها، إلى جانب المعارض الدولية.

وتعاقدت الهيئة على إصدار الأعمال الكاملة لمجموعة من الكتاب الكبار، من بينهم الناقد الأدبى الدكتور مصطفى ناصف، والمترجم والكاتب سليمان العطار، أستاذ الأدب الأندلسى.

ورغم نجاحاته الكبيرة سالفة الذكر، لم تخل مسيرة أحمد بهى الدين من بعض الإخفاقات، ومنها عدم تنظيم معارض للكتب فى محافظات الصعيد على غرار معارض المدن الساحلية، باستثناء معرض بالتعاون مع اتحاد الناشرين المصريين فى محافظة سوهاج، الأمر الذى يحتاج إلى نظرة منه لمعالجته، خاصة أن محافظات الوجه القبلى ينقصها الكثير من الاهتمام الثقافى والرعاية لمبدعيها، وتحتاج إلى فتح نوافذ ثقافية متعددة لهم.

كما عانت بعض الإصدارات من التأخير فى النشر، ليستغرق بعضها مدة تصل فى بعض الأحيان إلى أكثر من عام، وهو الأمر الذى يزعج الكثير من المؤلفين، وإن كانت هذه الأزمة ليست وليدة اليوم، بل هى معروفة فى هيئة الكتاب على مدار عشرات السنوات، وربما يكون السبب فى ذلك أن الهيئة أكبر وأهم دار نشر فى منطقة الشرق الأوسط، وتتلقى آلاف الأعمال سنويًا من مصر والوطن العربى لإصدارها.

كما عانت الهيئة فى عهد «بهى الدين» أزمة تتعلق بالتوزيع، وتتمثل فى أن إصداراتها لا تتوفر فى كل محافظات الجمهورية، بسبب عدم توفير منافذ بيع فى جميع الأقاليم، لكن مؤخرًا تم توقيع بروتوكول لفتح منافذ بيع للهيئة فى مكتبات مصر العامة بـ١٧ محافظة.

والدكتور أحمد بهى الدين فى الأساس هو أستاذ مساعد للدراسات الأدبية والنقدية بقسم اللغة العربية فى كلية الآداب جامعة حلوان، حصل على جائزة الدولة التشجيعية فى الفنون عام ٢٠١٥، وله العديد من المؤلفات، منها الغناء الدينى، وفنون الأدب الشعبى شرح وتبسيط، والسيرة الهلالية رواية من دلتا مصر، وصوت الراوى وميراث السرد، وغرس المعرفة ونبت الإبداع، وبناء القدرات الوطنية فى صون التراث الثقافى غير المادى، فضلًا عن كونه عضوًا فى لجان تحكيم بعض الجوائز الدولية.

أصدرت الهيئة فى عهده بعض الأعمال ضمن سلسلة «أدباء القرن العشرين» التى نجح فى إعادتها بعد توقفها

دار الكتب والوثائق القومية

فى 18 يناير 2023، أصدرت الدكتورة نيفين الكيلانى، وزيرة الثقافة السابقة، قرارًا بندب الدكتور أسامة طلعت، أستاذ الآثار الإسلامية رئيس قطاع الآثار الإسلامية والقبطية واليهودية بوزارة السياحة والآثار، للعمل رئيسًا للهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية.

أسامة طلعت

إهمال شديد فى ملف «الرقمنة».. والاكتفاء بالاحتفالات

قرار الوزيرة السابقة جاء رغم أن تخصص الدكتور أسامة طلعت الأساسى لا علاقة له بالمكتبات والتوثيق، فهو حاصل على ليسانس الآثار الإسلامية من كلية الآثار جامعة القاهرة عام ١٩٨٦، ثم ماجستير ودكتوراه الآثار الإسلامية، عامى ١٩٩٢ و١٩٩٨، من كلية الآثار جامعة القاهرة.

كذلك التدرج الوظيفى لـ«طلعت» بعيدًا عن المكتبات والتوثيق، بداية من تعيينه معيدًا فى قسم الآثار الإسلامية كلية الآثار جامعة القاهرة، ثم مدرسًا مساعدًا فمدرسًا فأستاذًا مساعدًا فأستاذًا، مرورًا بالعمل كرئيس لقطاع الآثار الإسلامية والقبطية واليهودية، بالتزامن مع تدريسه فى جامعات القاهرة وعين شمس والأزهر.

ولم يعمل «طلعت» فى قسم الوثائق والمكتبات سوى فى كلية الدراسات الإنسانية، قبل أن يعود لتدريس تخصصه الأساسى فى قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية بكلية الآداب جامعة الإسكندرية، وقسم الآثار الإسلامية بكلية الآداب جامعة المنصورة، وقسم الآثار بكلية الآداب جامعة عدن اليمنية.

وحتى مؤلفات الدكتور أسامة طلعت، التى تتجاوز الـ٢٠ مؤلفًا، بين كتب وبحوث بعدة لغات، نجد أنها فى تخصصه الأساسى الآثار، وليست فى المكتبات والوثائق، ومنها على سبيل المثال: «ملامح تخطيط المدخل المنكسر بين مصر والغرب الإسلامى فيما بين القرنين الخامس والسابع الهجريين».

كما أن الرسائل العلمية التى أشرف عليها، وتبلغ ٢٣ رسالة علمية ما بين ماجستير ودكتوراه، جاءت فى مختلف تخصصات وفنون الآثار الإسلامية، فى جامعات مصر والعالم، بعيدًا تمامًا عن تخصص الوثائق والمكتبات. ومنذ أن اجتمع مع وزيرة الثقافة السابقة، الدكتورة نيفين الكيلانى، عقب تكليفه برئاسة دار الكتب والوثائق، فى يناير ٢٠٢٣، أدلى «طلعت» بمجموعة من التصريحات، وعد فيها بأن تشهد الفترة المقبلة وضع خطة عاجلة لرفع كفاءة عدد من أقسام الدار التى تحتاج إلى التطوير والتحديث.

اقتصر أداء رئيس دار الكتب منذ توليه مهام عمله على إقامة الندوات والاحتفالات والفعاليات دون إحداث تغيير جوهرى

ووعد كذلك بالتوسع فى «رقمنة» الوثائق وحفظها بشكل يناسب أحدث وسائل الأرشفة العالمية، لتقديم خدمة مميزة للباحثين، وحماية وثائق ومخطوطات الدولة، بجانب العمل على رفع المستوى المهنى للعاملين فى مختلف أقسام الدار.

لكن المتتبع لهذه الوعود المهمة، يجد أنها لم تُنفذ بأى شكل، سوى باستكمال ما بدأته منصة «تراث مصر الرقمية»، التى تم تدشينها فى دار الكتب قبل مجيئه، بهدف مواكبة العصر والتماشى مع «الحكومة الرقمية»، فى إطار التكامل والتعاون بين وزارتى الثقافة والاتصالات وتكنولوجيا المعلومات، لإتاحة التراث والتاريخ المصرى بشكل رقمى.

وفى يونيو ٢٠٢٣، أعلن «طلعت» العمل على «رقمنة» ما يزيد على ٨٤٠٠ كتاب، وإتاحة وثائق وحفلات التراث والتاريخ المصرى، وفنون الأدب فى العصور الإسلامية، ضمن جهود منصة «تراث مصر الرقمية»، لكن ما وعد به رئيس دار الكتب من توسع فى «رقمنة» الوثائق لم يحدث، وهو ما تكرر مع وعد رفع المستوى المهنى للعاملين فى مختلف أقسام الدار.

ويحضرنى هنا واقعة شخصية جمعتنى بالدكتور أسامة طلعت، بعدما عرضت تصورًا خاصًا لعملية التحول الرقمى لدار الكتب والوثائق القومية على الدكتورة نيفين الكيلانى، وقت توليها وزارة الثقافة، فأحالته إلى رئيس الدار، وسرعان ما تلقيت منه اتصالًا هاتفيًا وعدنى فيه بتحديد موعد لمقابلته، بحضور المسئولة عن قسم التوثيق فى الدار، لمناقشة التصور، وهو ما لم يحدث منذ ٩ أشهر تقريبًا.

واقتصر أداء رئيس دار الكتب، منذ توليه مهام عمله، على إقامة الندوات والاحتفالات والفعاليات، دون إحداث تغيير جوهرى على ضوء الوعود سالفة الذكر، من بينها احتفال الدار بـ«اليوم العالمى للشباب»، ومشاركتها فى مبادرة «ثقافتنا فى إجازتنا»، وتنظيم احتفالية وندوة بمناسبة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

وأقامت الدار كذلك احتفالية بعنوان «ثورة ٣٠ يونيو.. الطريق إلى الوطن»، وعلى هامشه معرض مستنسخات، بجانب المشاركة فى مبادرة وزارة الثقافة موضوع الساعة»، من خلال عرض قاعة الإطلاع الرئيسية فى دار الكتب عددًا من أهم الكتب التى تتناول مناسبة ما، لتقديم وجبة دسمة للقراء، تتيح لهم معرفة كل ما يدور حول هذه المناسبة، مثل إتاحة أهم الكتب التى تدور حول ثورة ٢٣ يوليو، بالتزامن مع احتفال المصريين بذكراها قبل أقل من شهر.

هيئة قصور الثقافة

محمد عبدالحافظ ناصف

حل أزمة أرقام الإيداع.. واستمرار مشكلة الورق

هذه الخبرة استمدها «عبدالحافظ» من تولى منصب رئيس الهيئة العامة لقصور الثقافة، فى عام ٢٠١٤، قبل أن يتركها لتولى رئاسة المجلس القومى لثقافة الطفل، وهو المنصب الذى استمر فيه لمدة ٨ سنوات كاملة، قبل أن تعيده وزيرة الثقافة السابقة إلى «قصور الثقافة» كنائب لرئيس الهيئة.

ظل «عبدالحافظ» نائبًا لرئيس الهيئة العامة لقصور الثقافة، عمرو البسيونى، الذى كان منتدبًا لهذا المنصب لمدة عام واحد، بالإضافة إلى توليه رئاسة الإدارة المركزية للشئون المالية بالهيئة، وبعد انتهاء ندب «البسيونى»، كان من الطبيعى أن يتصعد «عبدالحافظ» لرئاسة الهيئة، بصفته نائب الرئيس، وهو ما لم يحدث، ليظل منصب رئيس «قصور الثقافة» شاغرًا إلى الآن.

وبعد أن انتهى ندب «البسيونى»، بارك المثقفون لـ«عبدالحافظ» على رئاسة الهيئة العامة لقصور الثقافة، لكنه كتب توضيحًا على صفحته الشخصية بموقع «فيسبوك»، أكد فيه عدم صدور أى قرار بذلك، وأن كل ما فى الأمر هو تفويضة بتسيير أعمال الهيئة لحين تعيين رئيس لها، بصفته نائب رئيس الهيئة.

ومنذ توليه مسئولية القائم بأعمال رئيس هيئة قصور الثقافة، إلى جانب الإدارة المالية بطبيعة الحال، بعد إنهاء ندب «البسيونى»، لم يدخر «عبدالحافظ» جهدًا فى السفر لتفقد أوضاع قصور الثقافة فى المحافظات على الأرض، والوقوف على عمليات التطوير والتجديد التى تجرى فى بعضها.

كان ينتقل شبه يوميًا من مكان إلى مكان، ويتفقد الكثير من قصور وبيوت الثقافة، لكى يقف على حالة الغالبية العظمى منها، خاصة أنه يعى تمامًا كل المشروعات التى طرحت فى عهد وزيرة الثقافة السابقة، الدكتورة نيفين الكيلانى.

ويواصل «عبدالحافظ» العمل بنفس الوتيرة فى عهد الدكتور أحمد فؤاد هنو، وزير الثقافة الحالى، خاصة أن الوزير الجديد لم يوقف أى مشروعات عملت عليها الوزيرة السابقة، سوى التفكير فى أنساق أخرى لقصور الثقافة وتطويرها على أكمل وجه، حتى تؤدى الدور الأساسى لوزارة الثقافة وهو بناء الإنسان.

ونجح القائم بأعمال رئيس الهيئة العامة لقصور الثقافة فى حل أزمة أرقام الإيداع، التى كانت صداعًا مزمنًا فى رأس إدارة النشر بالهيئة، ما أسهم فى نشر وإتاحة عدد كبير من الكتب، من بينها ٥٢ كتابًا من مؤلفات عميد الأدب العربى طه حسين، مع العمل حاليًا على مشروع لجمع كل ما كتب عن حرب أكتوبر.

لكن فى المقابل لا تزال هناك مشكلة تواجه النشر فى هيئة قصور الثقافة، تتعلق بارتفاع أسعار الورق بصورة كبيرة، إلى جانب انفصال إدارة النشر عن الهيئة، بعد أن تسلمت الأخيرة مقرها الجديد فى العاصمة الإدارية.

ففى ظل بعد المسافة بين أماكن إقامة المؤلفين والعاصمة الإدارية الجديدة، تقرر أن تكون إدارة النشر بالهيئة العامة لقصور الثقافة فى مقر مؤقت بقصر ثقافة الجيزة، تعمل فيه الإدارة بعيدًا عن مقر الهيئة فى العاصمة الإدارية الجديدة.

تحدٍ آخر يواجه محمد عبدالحافظ ناصف، تحدث عنه الدكتور أحمد فؤاد هنو، وزير الثقافة، فى المؤتمر الصحفى الذى عقده فى مدينة العلمين الجديدة، يوم الأحد الماضى، حين قال إن أبرز مشكلة تواجه قصور الثقافة هى عدم التنسيق فيما بينها.

لا تزال هناك مشكلة تواجه النشر فى هيئة قصور الثقافة تتعلق بارتفاع أسعار الورق بصورة كبيرة

وأضاف وزير الثقافة أن هناك الكثير من الفعاليات فى قصور الثقافة، لكنها ليست ملموسة على أرض الواقع، إلى جانب الحاجة إلى تطوير المحتوى المقدم، علاوة على تطوير الكفاءة البشرية نفسها فى كل قصر أو بيت للثقافة.

وعكست هذه التصريحات الإلمام الكبير لوزير الثقافة بمشاكل قصور الثقافة، وتنبئ بإمكانية إصدار قرارات عديدة بشأنها خلال الفترة المقبلة، تتعلق بتطوير هذه القصور، والوصول بموظفيها إلى درجة عالية من الكفاءة والمهارة.

أخيرًا، هناك الكثير من الأزمات التى تواجه قصور الثقافة فى مختلف محافظات الجمهورية، وأداء محمد عبدالحافظ ناصف خلال الفترة القصيرة التى تولى فيها مسئولية تسيير أعمال هيئة قصور الثقافة مبشر، لكن فى كل الأحوال تتبقى الرؤية العامة لتطوير هذه القصور، وفقًا لما أكده وزير الثقافة فى مؤتمر العلمين.

الأوبرا

لمياء زايد

تراجع الحفلات.. وهروب الفنانين والعازفين لخارج مصر

قرابة 10 أشهر مرت على تكليف الدكتورة لمياء زايد بمنصب رئيس دار الأوبرا، خلفًا للدكتور خالد داغر، بقرار من وزيرة الثقافة السابقة، الدكتورة نيفين الكيلانى، ورغم ذلك لم تحرك ساكنًا فى الدار، بل ازداد الأمر سوءًا وتراجعًا.

ظهر هذا السوء بوضوح فى تراجع دار الأوبرا فيما تنظمه من فعاليات وحفلات فنية لنجوم الغناء والطرب فى مصر والوطن العربى، لتقتصر الحفلات على بعض الفرق التابعة للدار، الأمر الذى أثار استياء جمهور المؤسسة العريقة.

وفشلت الدكتورة «لمياء» فى إعادة مسارح الأوبرا للتألق من جديد، وانشغلت فى الخلافات المالية والإدارية لموظفى وفنانى الدار، بالإضافة إلى عدة أزمات داخلية أخرى، رغم أنها فنانة فى الأساس، وأستاذة فى أكاديمية الفنون، فهى رئيس قسم تصميم وإخراج الباليه بالمعهد العالى للباليه التابع للأكاديمية، وشغلت منصب عميد المعهد فى الفترة من ٢٠١٥ إلى ٢٠١٨.

كما أنها شاركت فى عروض فرقة باليه أوبرا القاهرة كصولیست، ثم مدربة ومخرجة منفذة، ثم رئيسة بعثة فى عدة دول منها فرنسا وروسيا والولايات المتحدة وكندا وموسكو، مع حصولها على العديد من الأوسمة والجوائز، منها جائزة مهرجان كوريا للفن، وجائزة مهرجان الموسيقى العربية، وجائزة عام الصداقة بين مصر والصين.

ورغم هذه المسيرة، لم تقدم رئيس دار الأوبرا ما يشفع لها للاستمرار فى منصبها. وربما يكون السبب فى ذلك أن الدار كانت تعانى عدة أزمات قبل توليها المنصب، ولم تنجح فى حل أى منها، سواء الأزمات الخاصة بالفنانين، أو بالحفلات التى تقام على مسارح الأوبرا.

وشهد المهرجان الصيفى للأوبرا، فى عهد د. «لمياء»، تنظيم حفلات لا تليق بدار الأوبرا ومكانتها الفنية، بعد أن كان من المعتاد فى السنوات السابقة أن يشارك فى المهرجان نجوم كبار، بالإضافة إلى فرق غنائية شهيرة، مثل «مسار إجبارى» و«كايروكى» و«وسط البلد».

اتخذت رئيس دار الأوبرا قرارات أثارت العديد من الأزمات من بينها زيادات عشوائية فى أجور الفنانين

وجاء المهرجان هذا العام ضعيفًا ومتراجعًا بشكل كبير، ولم يضم سوى حفلات فرق الموسيقى العربية التابعة للأوبرا، ولم يتخط عدد هذه الحفلات أصابع اليدين، بينما وصل عددها فى دورات سابقة إلى ٥٠ حفلة، فى كل مسارح الأوبرا بالقاهرة والإسكندرية ودمنهور.

واتخذت رئيس دار الأوبرا قرارات أثارت العديد من الأزمات، من بينها زيادات عشوائية فى أجور الفنانين، بالمخالفة لتوجيهات رئيس مجلس الوزراء، التى نصت على عدم تحميل ميزانية الدولة أعباء إضافية، من دون الرجوع إلى وزارة المالية ومجلس الوزراء، الأمر الذى عاد بالسلب على ميزانية دار الأوبرا ككل.

ورغم هذه الزيادات، ترك فنانو وعازفو الأوبرا الحفلات فى الدار، لصالح السفر للمشاركة فى حفلات خارج مصر، دون إذن مسبق من الدار، وبدون الخصم من مستحقاتهم، أو اتخاذ أى إجراءات رادعة ضدهم.

وبحسب ما كشفته مصادر لـ«حرف»، تضم دار الأوبرا ١٠٩ صوليست، لا يعمل منهم سوى ٣٠، والباقى لا يذهب إلى الأوبرا من الأساس، ولا يعمل فى أى نشاط بها، ورغم ذلك يتقاضون مستحقاتهم المالية بانتظام، دون اتخاذ أى إجراءات ضدهم من قبل الدكتورة لمياء زايد، مشيرة فى الوقت ذاته إلى أزمات أخرى تتعلق بفنانى وفرق الدار، الذين لجأوا لاعتراضات متعددة أمام مكتب د. «لمياء» خلال الشهور الماضية.

كما أن رئيس دار الأوبرا لم تتخذ أى خطوة جديدة فى أزمة الدفاع المدنى، التى نوهت إليها محافظة القاهرة من قبل، فى خطاب رسمى أرسلته إلى الدار، وطالبت فيه بغلق الأوبرا ووقف نشاطها لعدم التزامها باشتراطات الحماية المدنية.

ورغم وصول هذا الخطاب، لم يتم استكمال منظومة الحماية المدنية حتى الآن، فطلمبات مياه الحريق لا تعمل، وطفايات الحريق غير صالحة للاستخدام، وخطة الإخلاء والطوارئ غير معتمدة، وجهاز السلامة والصحة المهنية، ولوحة التحكم الخاصة بنظام الحماية المدنية، غير مناسبين.

ترتبط بذلك الورش الواقعة فى ساحة الأوبرا، وهى عبارة عن مخازن لديكورات العديد من العروض الفنية والمسرحية، التى تم تقديمها على خشبة الأوبرا من قبل، وتعتبر قنبلة موقوتة، لكونها مواد قابلة للاشتعال.

المجلس الأعلى للثقافة

المجلس الأعلى للثقافة

منذ توليه الأمانة العامة للمجلس الأعلى للثقافة، فى أبريل 2019، وتجديد الثقة فيه أكثر من مرة، رغم بلوغه سن المعاش، حظيت رحلة الدكتور هشام عزمى مع هذا المنصب بالكثير من المنعطفات، بين إنجازات تستحق الإشادة، وإخفاقات تحتاج إلى تسليط الضوء ومحاولة تخطيها وتحويلها إلى نجاحات.

حسام الضمرانى

هشام عزمى

الحفاظ على «منح التفرغ».. وإخفاق فى «مؤتمر الرواية»

تولى الدكتور هشام عزمى منصب الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة، فى أبريل ٢٠١٩، فى عهد الدكتورة إيناس عبدالدايم، التى جددت الثقة فيه مرة أخرى، فى ٢٨ سبتمبر ٢٠٢٠، قبل أن تصدر الدكتورة نيفين الكيلانى، فى ٣٠ أغسطس ٢٠٢٢، قرارًا بتجديد الثقة فيه للمرة الثانية.

ويستمر «عزمى» فى منصبه حتى الأول من ديسمبر ٢٠٢٤، ليبت الدكتور أحمد فؤاد هنو، وزير الثقافة الحالى، بحلول هذا الموعد، فى أمر التجديد له كأمين عام للمجلس الأعلى للثقافة من عدمه، وهو الكيان الذى يحمل أهمية كبرى، لكونه يمثل العقل المخطط للسياسة الثقافية، من خلال لجانه البالغة ٢٤ لجنة، والتى تضم نخبة من المثقفين والمبدعين من مختلف الأجيال والاتجاهات، منذ أن تحول إلى مسماه الحالى، بدلًا من «المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب»، بموجب القانون رقم ١٥٠ لسنة ١٩٨٠.

يُحسب للدكتور هشام عزمى انتظام واستدامة منح التفرغ للمبدعين المتميزين، الذين ترقى أعمالهم الإبداعية إلى المستوى المطلوب، منذ توليه أمانة المجلس حتى يومنا الراهن، رغم التحديات الاقتصادية الصعبة التى تمر بها مصر؛ نتيجة لعدة أزمات عالمية.

ويحصل على منح التفرغ هذه متخصصون فى مجالات الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية والإنسانية، ويمنحها المجلس الأعلى للثقافة من خلال الإدارة المركزية للشئون الأدبية والمسابقات.

واستُحدثت فى عهد أمين «الأعلى للثقافة» جائزة جديدة تحت مسمى «جائزة الدولة للمبدع الصغير» فى الثقافة والآداب والفنون والإبداع والابتكار، عندما صدق الرئيس عبدالفتاح السيسى على إصدار القانون رقم ٢٠٤ لسنة ٢٠٢٠، ضمن الأهداف الاستراتيجية العامة للدولة، وعلى رأسها بناء الإنسان المصرى وترسيخ هويته.

وتُمنح جائزة الدولة للمبدع الصغير سنويًا، لمن يُقدم مُنتجًا فكريًا أو ماديًا مبتكرًا، ولم يتجاوز عمره ١٨ عامًا، فى مجالات الثقافة والفنون والإبداع والابتكار، وجرى استقبال الأعمال وإعلان الفائزين بها حتى دورتها الرابعة هذا العام.

وحرص الدكتور هشام عزمى على دمج جوائز الدولة لعامى ٢٠٢٠ و٢٠٢١، لحل أزمة «عام الفراغ» فى تسليم تلك الجوائز التى تعود إلى ٥٣ عامًا، وهى الأزمة الناتجة عن إلغاء تسليم الجوائز عام ١٩٦٧ بسبب «حرب الاستنزاف».

وفى إطار الاحتفاء بذكرى مرور ١٠ سنوات على ثورة «٣٠ يونيو»، أقام المجلس الأعلى للثقافة سلسلة من الندوات حول القضايا المرتبطة بالثورة، ودورها فى بناء الجمهورية الجديدة، خلال الفترة من ١٠ إلى ١٢ يوليو ٢٠٢٣، بمشاركة عدد كبير من المثقفين المصريين.

فى المقابل، شهد شهر مارس ٢٠٢٠ انتقادات لاذعة لتشكيل لجان المجلس الأعلى للثقافة، والتى رآها أغلب الكُتاب والشعراء آنذاك «غير مجدية»، وتعبر عن رغبة فى «تدجين» المبدعين ودفعهم بعيدًا عن أدوارهم الحقيقية، مشيرين إلى إمكانية لعبها أدوارًا مهمة، حال وجود برامج قوية تحكم عملها، وأسماء قادرة على ربطها بالمؤسسات الاجتماعية.

ومن أبرز الانتقادات الأخرى الموجهة إلى الدكتور هشام عزمى، خلال فترة توليه أمانة المجلس الأعلى للثقافة، الفشل فى إقامة الدورة الثامنة من ملتقى القاهرة الدولى للإبداع الروائى العربى «مؤتمر الرواية»، منذ دورته الأخيرة فى أبريل ٢٠١٩.

ورغم إعلان «الأعلى للثقافة»، فى سبتمبر ٢٠٢٢، إقامة الدورة الثامنة من الملتقى، فى الفترة من ٢٨ نوفمبر حتى ١ ديسمبر ٢٠٢٢، وحدد موضوعها بعنوان: «الرواية العربية.. ظواهر جديدة»، وقرر أن تحمل اسم مؤسس الملتقى المفكر الكبير الراحل جابر عصفور، لم يحدث ذلك حتى هذه اللحظة.

ومن ملتقى القاهرة الدولى للإبداع العربى إلى تشكيل لجان المجلس الأعلى للثقافة مرة أخرى، وتحديدًا فى دورتها الحالية، التى جرى الإعلان عنها فى ٢٠٢٣، وأثارت من جديد حالة جدل كبيرة، خاصة فيما يتعلق باختيار الدكتور يوسف نوفل مقررًا لـ«لجنة الشعر»، وهو فى الأساس ناقد قصة، ما تسبب فى طرح علامات استفهام وراء هذا الاختيار.

من المآخذ الأخرى على المجلس الأعلى للثقافة فى عهد الدكتور هشام عزمى توقف صدور «تقرير الحالة الثقافية»، عن «المرصد الثقافى»، منذ اجتماع وزيرة الثقافة السابقة، الدكتورة نيفين الكيلانى، مع اللجنة العليا الاستشارية للمرصد، فى مايو ٢٠٢٣.

وللدكتور هشام عزمى مسيرة مهنية وتعليمية كبيرة، بداية من حصوله على درجة البكالوريوس فى المكتبات والمعلومات من كلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٨٢، ثم الماجستير فى دراسات المعلومات من جامعة «لفبرا للتكنولوجيا» البريطانية عام ١٩٨٥، ثم دكتوراه الفلسفة فى علم المعلومات من جامعة القاهرة، وبإشراف مُشترك مع جامعة «وسكنسن- ميلووكى» بالولايات المتحدة الأمريكية. تدرج «عزمى» وظيفيًا فى جامعة القاهرة حتى عام ٢٠٠٤، ثم التحق بجامعة قطر كمدرس مساعد، قبل أن يتولى منصب عميد كلية الإعلام وفنون الاتصال بالجامعة الأمريكية بالإمارات، ومنها إلى جامعة الجزيرة الإماراتية، قبل أن يعود إلى كلية الآداب جامعة القاهرة، ثم يرأس دار الكتب والوثائق القومية، فى عام ٢٠١٨، وصولًا إلى توليه الأمانة العامة للمجلس الأعلى للثقافة، فى ٢٠١٩.

تشكيل المجلس فى عهده شهد تعيين «ناقد قصة» رئيسًا لـ«لجنة الشعر»

أكاديمية الفنون

فى ديسمبر 2021، أصدر الدكتور مصطفى مدبولى، رئيس مجلس الوزراء، قرارًا بتعيين الدكتورة غادة جبارة رئيسةً لأكاديمية الفنون، لمدة 4 أعوام، خلفًا للدكتور أشرف زكى، بترشيح من وزيرة الثقافة السابقة، إيناس عبدالدايم، بعد 3 أعوام من عملها نائبة لرئيس الأكاديمية.

غادة جبارة

افتتاح معاهد جديدة.. وإهمال المحتوى الرقمى

لم يكن وصول غادة جبارة إلى هذا المكان من فراغ، فعلى مدار عقود أثبتت كفاءة ودأبًا فى التعاطى مع ملفات الثقافة والفنون، منذ أن تخرجت فى قسم المونتاج بالمعهد العالى للسينما عام ١٩٩٠، قبل أن ترأس القسم بعد ذلك، وصولًا إلى منصب عميدة المعهد من ٢٠١٣ إلى ٢٠١٦.

وخلال رئاستها المعهد العالى للسينما، أقامت مهرجان أبوالهول السينمائى الدولى المُخصص لأفلام طلاب معاهد السينما حول العالم، الذى حقق نجاحًا واضحًا، مع السعى لعرض أفلام طلاب المعهد فى مهرجانات دولية ومحلية، منها «القاهرة السينمائى» و«دبى» و«كان» و«فينسيا».

وتواصل غادة جبارة، منذ توليها رئاسة أكاديمية الفنون، مساعيها للنهوض بالجامعة الأولى لتعليم الفنون المختلفة فى العالم العربى، والتى تأسست منذ أكثر من نصف قرن، سواء على صعيد التطوير الأفقى بتوسيع قاعدة معاهدها فى القاهرة والإسكندرية، أو التطوير الداخلى للمناهج والجودة التعليمية.

وتتمتع أكاديمية الفنون بأهمية استثنائية، من خلال العمل عبر معاهدها التسعة: «الفنون المسرحية، والسينما، والموسيقى العربية، والكونسرفتوار، والباليه، والنقد الفنى، والفنون الشعبية، وفنون الطفل، وترجمات الفنون والآداب»، على تأهيل الطلاب، سواء فى الدراسات الجامعية أو ما بعد الجامعية، للعمل فى مختلف قطاعات الفنون والآداب.

وتساهم الأكاديمية فى أنشطة ثقافية وعلمية ذات صلة بالفنون والآداب، وهو ما يسهم بدوره فى وصول الفن والثقافة إلى قطاعات وشرائح مختلفة، وتحسين جودة الصناعات الثقافية والفنية، التى تمثل أحد أبرز وجوه القوى الناعمة المصرية.

وفى إطار حرصها على تطوير جودة التعليم فى معاهد أكاديمية الفنون المختلفة وتوسيع قاعدتها، سعت غادة جبارة لإقامة شراكات مع جهات مختلفة، فوقعت بروتوكول تعاون مع أكاديمية المتحدة للإعلام، برئاسة الدكتورة إيناس عبدالدايم، بهدف التدريب المشترك للطلاب فى مشروعات التخرج، ومد مركز التدريب بالكوادر المؤهلة للتدريس.

وفى أوقات سابقة، وقعت بروتوكولات تعاون مع عدد من الجامعات، منها الجامعة البريطانية، وجامعة بدر، وأكاديمية السادات للعلوم الإدارية، لتعزيز الإفادة التعليمية المشتركة، وتبادل الخبرات والتنسيق فى مجال التعليم والبحوث والتطبيقات الفنية والمشروعات.

ومن الملفات التى تهتم بها رئيس أكاديمية الفنون بشكل أساسى الجودة التعليمية، بما يسهم فى تحسين جودة المناهج الدراسية فى معاهد الأكاديمية المختلفة، كى يكون لها دور فاعل ومؤثر فى الحياة الفنية والثقافية.

وتحرص كذلك على أن تضطلع أكاديمية الفنون بدورها فى تنشيط الحركة الفنية والثقافية، وهو ما اتضح من خلال عدة فعاليات مهمة، من بينها استضافة الأكاديمية، فى مايو الماضى، احتفال الجمعية المصرية لكتاب ونقاد السينما برئاسة الناقد السينمائى أمير أباظة، والذى شهد تكريم رؤساء مجلس إدارة الجمعية السابقين، ومجموعة من الفنانين والإعلاميين المعاصرين والراحلين.

وتهتم أيضًا بإقامة المؤتمرات العلمية، وآخرها مؤتمر «تأثير الذكاء الاصطناعى على الممارسة الفنية والبحث الأكاديمى.. ما بين تحديات المنافسة والإمكانيات المضافة»، الذى أقيم قبل شهور قليلة، وكذلك مشاركة الأكاديمية فى تنظيم الدورة الثالثة لمهرجان «الفيمتو آرت» الدولى للأفلام القصيرة، بمشاركة ٤٦ فيلمًا من ٦ دول.

ومن الإنجازات المهمة التى حققتها أكاديمية الفنون فى الفترة الأخيرة: افتتاح مبنى مسرح نهاد صليحة، الذى صار موقعًا لنشاط ثقافى مميز، ويشهد العديد من العروض المسرحية، إلى جانب إقامة الكثير من البرامج والورش التدريبية، بجانب افتتاح المعهد العالى لترجمات الفنون والآداب والوسائط الفنية، فى العام الماضى، ليصير المعهد التاسع والأحدث فى أكاديمية الفنون.

ومن الأحداث المهمة التى رعتها غادة جبارة خلال الفترة الماضية، افتتاح المكتبة المركزية فى أكاديمية الفنون، التى تعد من أكبر المكتبات الأكاديمية فى مصر، وتضم آلاف الكتب العربية والأجنبية والرسائل الجامعية والموسوعات والدوريات، بجانب افتتاح مكتبة المعهد العالى لفنون الطفل، بعد استكمال الكتب اللازمة لتخصصات المعهد.

وعلى الرغم من إعلان الانتهاء من تنفيذ أعمال «رقمنة» المحتوى الرقمى المتاح من أكاديمية الفنون، بإجمالى ١١٠ كتابًا، و١٧ عددًا من مجلة «الفن المعاصر»، و٤٨٩ صورة فوتوغرافية، و١٧١٠ رسائل علمية، لم تتم حتى الآن إتاحتها على منصة إلكترونية. وبصورة عامة، تحتاج الأكاديمية إلى عمل مكثف على منصاتها الإلكترونية المُعطلة لأسباب غير معروفة.

ويُنتظر فى الفترة المقبلة إتمام مشروع مستشفى أكاديمية الفنون، التى يُنتظر أن تكون من أكبر المستشفيات التى تستهدف خدمة المناطق المجاورة للأكاديمية، وأعضاء هيئة التدريس والعاملين والطلاب، إلى جانب كل النقابات الفنية.

كما يُنتظر العمل بصورة منتظمة على المهرجانات الفنية والسينمائية، التى تعتمد الشراكة بين مختلف المعاهد الفنية على مستوى العالم، ومساعدة طلاب الأكاديمية بمعاهدها المختلفة على تأسيس مشروعات فنية وأدبية احترافية، بما يسهم فى الاستفادة من مهاراتهم المكتسبة لدفع الحركة الثقافية والفنية.

يُنتظر إتمام مشروع مستشفى أكاديمية الفنون ليكون من أكبر المستشفيات التى تستهدف خدمة المناطق المجاورة للأكاديمية

ولید قانوش

إقامة 1164 فعالية متنوعة.. وتأخر فى تطوير متحف الجزيرة

وشهد قطاع الفنون التشكيلية، فى عهد الدكتور وليد قانوش، إقامة ١١٦٤ فعالية، تنوعت ما بين نشاط فنى وثقافى، وخدمت كل الشرائح العمرية والفئات من الأطفال والشباب والمرأة والكبار وذوى الهمم، واستفاد منها ٤٨ ألفًا و٦٤٤ مستفيدًا.

وفى إطار دعم المواهب وتفعيل استراتيجية وزارة الثقافة لرعاية المواهب الناشئة، نظم قطاع الفنون التشكيلية مسابقة «محمد ناجى للتصوير والرسم» لفئتى الأطفال والشباب، إلى جانب فئة خاصة لذوى الهمم، فضلًا عن مسابقة «رامتان» الأدبية للشباب.

وأطلق القطاع مبادرة «أنت مش لوحدك» للأطفال ذوى الحالات الخاصة، من المرضى والأيتام وذوى الهمم، وهى مبادرة شهرية دُشنت فى يناير ٢٠٢٣، إلى جانب إطلاق مشروع «بستان الإبداع» للأطفال، فى يوليو ٢٠٢٣.

ويستهدف «بستان الإبداع» تعزيز الجوانب الفنية والثقافية والمعرفية لدى الأطفال، وتضمن إجراء جولات فنية فى محافظات القاهرة والجيزة وبورسعيد والسويس والغربية، شهدت لقاءات مع الأطفال فى المدارس والنوادى، إلى جانب العاملين فى المصانع.

وضمن تعزيز التواصل الثقافى، استضاف القطاع معرض «التقاء الفنانين على طريق الحرير»، بالتعاون مع المركز الثقافى الصينى فى القاهرة، إلى جانب الملتقى الدولى لفنون الخط العربى فى دورته الثامنة، بالتعاون مع صندوق التنمية الثقافية.

أما فى مجال الاحتفاء برموز الأدب والفن، احتفى «الفنون التشكيلية» بأديب مصر الأول نجيب محفوظ، والتشكيلى المتفرد سعيد العدوى، بمناسبة مرور خمسين عامًا على رحيلهما.

واحتفل القطاع باليوبيل الذهبى لنصر أكتوبر عبر تنظيم معرض للأعمال النادرة لنخبة من أعمال تشكيليى مصر الكبار، الذين تناولوا أو تأثروا بتلك الحقبة الزمنية المهمة من تاريخ المحروسة.

وكان من أكبر الفعاليات التى نظمها قطاع الفنون التشكيلية، فى الفترة من ٢٠٢٣ إلى منتصف العام الجارى ٢٠٢٤، المعرض العام فى دورته الـ٤٤، ومعرض محمود سعيد، وصالون النحت، ومعرض جوائز مسابقة مؤسسة فاروق حسنى للثقافة والفنون، ومعرض «البدايات».

وتضمنت الأنشطة كذلك خلال الفترة ذاتها تنظيم معرض «مصر أد الدنيا» بالتعاون مع الهيئة العامة لقصور الثقافة، وعيد الكاريكاتير الثالث بالتعاون مع جمعية الكاريكاتير المصرى، والملتقى الثامن للكاريكاتير، ومعرض «سكتش»، ومعرض الفنان الراحل جميل شفيق.

كما نظم القطاع أكثر من ١٠٠ معرض فردى و٨٥ جماعيًا، وغيرها من الأنشطة الفنية فى مجال الحرف التراثية، وفعاليات أخرى ما بين ورش فنية وندوات وأمسيات شعرية وحفلات موسيقية ومسابقات فنية وعروض أفلام وعروض مسرحية وصالونات ثقافية.

ورغم ما تم تنفيذه من فعاليات خلال العام والنصف العام، منذ أن تولى وليد قانوش رئاسة القطاع، ورغم توجيهه أكثر من مرة بسرعة الانتهاء من تطوير متحف الجزيرة بساحة دار الأوبرا، لم تنته هذه الأعمال حتى الآن، وإن كانت أعمال تطوير مركز الفنون المعاصرة فى مدينة ١٥ مايو قد شارفت على الانتهاء.

وفيما يخص المعرض العام فى دورته الـ٤٤، التى عُقدت قبل أسابيع، استنكر قطاع عريض من الفنانين المشاركين فى المعرض وغيرهم، هيمنة القطاع

أطلق القطاع مبادرة «أنت مش لوحدك» للأطفال ذوى الحالات الخاصة من المرضى والأيتام وذوى الهمم

الخاص، من خلال الشركة الراعية.

واشترطت الشركة الراعية للمعرض، بل أرغمت الفنانين المشاركين على توقيع استمارة، تلزمهم بتسويق عمل الفنان، مقابل استقطاع ٢٥٪ لصالح الشركة، و٥٪ لصالح قطاع الفنون التشكيلية.

وتخرج «قانوش» فى كلية الفنون الجميلة جامعة الإسكندرية، قسم التصوير، وحصل على الماجستير والدكتوراه فى فلسفة الفنون الجميلة فى التصوير العام. انتدب للعمل مديرًا لمركز الحرية للإبداع فى الإسكندرية عام ٢٠١١، وشغل منصب رئيس قسم التصوير بكلية الفنون الجميلة جامعة الإسكندرية.

أقام العديد من المعارض الخاصة، إلى جانب مشاركته فى العديد من المعارض المحلية والعالمية، وحصل على العديد من الجوائز المحلية والدولية، منها جائزة التصوير الأولى بصالون الشباب الخامس عشر ٢٠٠٣، والجائزة الثانية فى مسابقة النقد الفنى الموازية لصالون الشباب الثامن عشر ٢٠٠٧، والجائزة التشجيعية فى التصوير ببينالى بورسعيد القومى.

كما حصل على الجائزة التشجيعية فى مسابقة المعرض الأول بالمجلس الأعلى للثقافة بدورته الثانية ٢٠٠٨، والجائزة التشجيعية فى مسابقة المعرض الأول بالمجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٩، وجائزة جامعة الإسكندرية للتشجيع العلمى ٢٠١٨.

قطاع الفنون التشكيلية

يجمع الدكتور وليد قانوش بين رئاسة قطاع الفنون التشكيلية، وتسيير أعمال صندوق التنمية الثقافية، ما خلق حالة من الارتباك فى القطاعين. وأصدرت وزيرة الثقافة السابقة، الدكتورة نيفين الكيلانى، فى ديسمبر 2022، قرارًا بتعيين «قانوش» رئيسًا لقطاع الفنون التشكيلية، ومنذ ذلك التاريخ، كان حصاد عمله مميزًا على صعيد الكم والكيف.

نضال ممدوح

ولید قانوش.. أيضًا

«بيت الشعر» بلا مدير من شهرين.. وغموض حول «الوديعة»

وإلى جانب أنشطة مراكزه الإبداعية، يتولى صندوق التنمية الثقافية إدارة وتنظيم ودعم العديد من المهرجانات الثقافية والفنية، فى مجالات السينما والمسرح والفنون التشكيلية، بما يعمل على دعم وتنمية وتطوير هذه الفنون، من بينها المهرجان القومى للسينما المصرية، والمهرجان القومى للمسرح المصرى، ومهرجان المسرح التجريبى، وسمبوزيوم النحت الدولى فى أسوان، ومهرجان سينما الطفل.

ويتبع صندوق التنمية الثقافية ما يزيد على ٥٢ مكتبة فى القرى والأقاليم بمختلف محافظات الجمهورية، فضلًا عن «متحف نجيب محفوظ» فى «تكية محمد أبوالدهب»، ومركز الحرف التقليدية فى الفسطاط، ومتحف أم كلثوم فى الملك الصالح، إلى جانب تنظيم العديد من المبادرات والمسابقات، من بينها مسابقة «الصوت الذهبى» لاكتشاف الموهوبين فى الغناء، التى عقدت أحدث دوراتها فى مايو الماضى. وقبل أكثر من عام، وتحديدًا فى يونيو ٢٠٢٣، أصدرت وزيرة الثقافة السابقة، الدكتورة نيفين الكيلانى، قرارًا بتولى الدكتور وليد قانوش مهمة تسيير أعمال قطاع صندوق التنمية الثقافية، بعد انتهاء ندب هانى أبوالحسن.

ويعد «بيت الشعر العربى» أبرز أزمات صندوق التنمية الثقافية فى الوقت الحالى، فمنذ وصول مديره الأسبق الشاعر السماح عبدالله إلى سن المعاش، تعاقب على إدارته أكثر من شاعر، بداية من تولى الشاعر سامح محجوب المنصب فى مارس ٢٠٢٣، بقرار من هانى أبوالحسن، رئيس الصندوق السابق.

وفى الشهر التالى لتوليه منصبه تعرض «محجوب» إلى هجوم شديد من الشعراء، على خلفية عقد أمسية للكاتب والروائى يوسف زيدان، وهو ما اعتبره الشعراء «دخيلًا على الحركة الشعرية». وكان النصيب الأكبر من الاعتراض للشاعرين حسن طلب ومحمود قرنى، اللذين اعتبرا اختيار «محجوب» فى غير محله.

وقال «طلب» و«قرنى» إن «محجوب» لم يراجع مجلس أمناء «بيت الشعر» فى أمر استضافة يوسف زيدان، الذى لا علاقة له من قريب أو بعيد بالشعر، بينما البيت مخصص للشعراء فقط، مشيرين إلى أن الأولى كان إتاحة هذه الفرصة لشعراء جدد، من أجل تقديم ما يكتبونه للجمهور.

وفى ديسمبر ٢٠٢٣، أُسندت إدارة «بيت الشعر العربى» إلى الشاعر عمر شهريار، الذى ما لبث هو الآخر أن تقدم باستقالته، فى ٧ يونيو ٢٠٢٤، على خلفية اعتراض الناقد الدكتور أحمد مجاهد، عضو مجلس أمناء بيت الشعر، على استضافة إحدى الشاعرات فى أمسية.

ومنذ ذلك التاريخ ظل «بيت الشعر العربى» بلا مدير حتى يومنا هذا، فى انتظار عودة الشاعر أحمد عبدالمعطى حجازى من المصيف، واجتماعه بوزير الثقافة؛ لبحث مَن تسند إليه الإدارة، وفق تصريحات الدكتور وليد قانوش، قبل أيام.

ولا تزال هناك مشكلة أخرى لم تُحل حتى هذه اللحظة من قبل مدير صندوق التنمية الثقافية، كشفتها الفنانة التشكيلية منى عمر، خلال مداخلة تليفونية فى إحدى القنوات الفضائية، فى ديسمبر ٢٠٢٢، حين أكدت فك وديعة الصندوق، ليتحول إلى «صندوق خاوٍ تمامًا»، بعد أن كان من أقوى وأغنى قطاعات وزارة الثقافة، مشددة على أن فك الوديعة قضى على فاعلية الصندوق وأنشطته المهمة، فضلًا عن معاناة قطاعات الثقافة كلها من هذه الخطوة الغريبة المثيرة للتساؤلات.

ظل «بيت الشعر العربى» بلا مدير فى انتظار عودة الشاعر أحمد عبدالمعطى حجازى من المصيف

صندوق التنمية الثقافية

عبر أكثر من 15 مركز إبداع تنضوى تحت لوائه، تمكن صندوق التنمية الثقافية، منذ تأسيسه عام 1989، من لعب دور فعال ومؤثر فى دعم وتنمية الحياة الثقافية، ومد جسور التحاور الخلاق بين المثقفين والفنانين، سواء بين بعضهم البعض أو مع الجمهور العريض، إلى جانب اكتشاف المواهب الشابة فى مختلف المحافظات ودعمها ووضعها على طريق التميز والإبداع.

نضال ممدوح

المركز القومى للترجمة

منذ توليها منصب مدير المركز القومى للترجمة، بقرار من وزيرة الثقافة السابقة، الدكتورة إيناس عبدالدايم، فى 17 أغسطس عام 2020، نجحت الدكتورة كرمة سامى فى تنفيذ العديد من المشروعات فى قطاع الترجمة، من أبرزها «الكتاب الصوتى»، والترجمة من العربية إلى لغات أخرى، وهو ما تجلى فى كتاب «رحلة العائلة المقدسة»، الذى أصدره المركز فى نسخة صوتية، وأخرى مترجمة للغة العربية، قبل أشهر.

نضال ممدوح

كرمة سامى

استحداث «الكتاب الصوتى».. واستمرار أزمتى النشر والتوزيع

وفى مجال الجوائز، استحدث المركز جوائز جديدة للترجمة، بعد أن كانت مقتصرة على ٣ جوائز فقط، لتكون هناك جائزة واحدة لجميع التخصصات، وجائزة للترجمة العلمية، وأخرى فى العلوم الإنسانية والاجتماعية والثقافة العلمية، و٣ جوائز للشباب بدلًا من جائزة واحدة.

هناك كذلك جائزة جابر عصفور للترجمة فى الآداب والدراسات النقدية، والتى تُمنح للأعمال المترجمة المتميزة فى مجالات الرواية والشعر والقصة القصيرة والنصوص المسرحية والسيرة الذاتية وأدب الرحلات، ودراسات عن الترجمة، والدراسات النقدية، على أن يُمنح الفائز بها مكافأة مالية قدرها ٥٠ ألف جنيه، ودرع تذكارية وشهادة تقدير.

وتتضمن الجوائز أيضًا جائزة جمال حمدان للترجمة فى مجال الدراسات الإنسانية والعلوم الاجتماعية، وهى جائزة تُمنح للأعمال المترجمة المتميزة فى مجالات الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع والاقتصاد والعلوم السياسية والتاريخ والجغرافيا والآثار وإدارة الأعمال، ويُمنح الفائز مكافأة مالية قدرها ٥٠ ألف جنيه، ودرع تذكارية وشهادة تقدير.

كما تتضمن جائزة سميرة موسى للترجمة فى مجال الثقافة العلمية وتبسيط العلوم، وهى جائزة تُمنح للأعمال المترجمة المتميزة فى مجالات الثقافة العلمية وتبسيط العلوم وفلسفة العلوم وتاريخ العلوم والتكنولوجيا، ويُمنح الفائز بها مكافأة مالية قدرها ٥٠ ألف جنيه، ودرع تذكارية وشهادة تقدير.

وفى عام ٢٠٢٢، أطلق المركز القومى للترجمة مسابقة «كشاف المترجمين»، لاكتشاف العناصر الشبابية المتميزة فى مجال الترجمة على مستوى الجمهورية، تلاها، مطلع العام الجارى، مسابقة «كشاف المترجمين بالجامعات المصرية».

وتزامن ذلك مع تدشين «سلسلة أصحاب الهمم»، فى إطار اهتمام الدولة بذوى الهمم، والتى صدر عنها عدة عناوين، من بينها: «كيف يتعلم مخ ذوى الاحتياجات الخاصة»، و«المتفرد.. رؤية مختلفة للتوحد»، و«تعليم الموسيقى للطلاب ذوى الاحتياجات الخاصة»، و«التقييم النفسى المعرفى للأشخاص الصم المكفوفين ولاديًا.. دليل إرشادى»، وغيرها.

فى المقابل، لا يزال تأخر إصدار الترجمات مثار غضب كثير من المترجمين، ممن تقدموا بأعمالهم إلى المركز، فضلًا عن ضعف منظومة توزيع إصداراته المختلفة، خاصة خارج القاهرة.

والدكتورة كرمة سامى فريد إسماعيل تخرجت فى كلية الألسن، فى مايو ١٩٨٧، بتقدير «جيد جدًا مع مرتبة الشرف»، اختيرت لمنحة «الفولبرايت» عام ١٩٨٩، وحصلت على درجة الماجستير بتقدير «ممتاز»، ثم نالت درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف الأولى، عن رسالة بعنوان «النماذج النسائية الأصلية فى مسرحيات آرنولد وسكر أحادية البطلة».

عملت د. «كرمة» رئيسًا لقسم اللغة الإنجليزية بكلية الألسن «٢٠٠٦- ٢٠٠٩»، ثم وكيل الدراسات العليا والبحوث «٢٠٠٨- ٢٠١٥»، إلى جانب عضوية مجلس إدارة «وحدة رفاعة للبحوث وتنمية المعلومات اللغوية والترجمة» ورئاسة شعبة اللغة الإنجليزية بها «٢٠٠٧- ٢٠١٢»، علاوة على مساعد منسق برنامج تنمية مهارات خريجى الجامعات بمعهد تكنولوجيا المعلومات فى الكلية «٢٠٠٧- ٢٠١٤».

وشغلت كذلك عضوية لجنة الترجمة الأدبية واللغوية بالمركز القومى للترجمة «٢٠١٢/ ٢٠١٣»، واللجنة العلمية لمؤتمر السياسة الثقافية للترجمة «٢٠١٥»، بالتعاون بين جامعة مانشستر وقسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب جامعة القاهرة، فضلًا عن عضوية لجنة مشاهدة مهرجان القاهرة الدولى للمسرح التجريبى والمعاصر فى دورتيه الـ٢٣ و٢٥.

فى عام 2022 أطلق المركز مسابقة «كشاف المترجمين» لاكتشاف العناصر الشبابية المتميزة فى مجال الترجمة

وخرج المركز القومى للترجمة إلى النور، فى عام ٢٠٠٦، بعد جهد سنوات للناقد الراحل الدكتور جابر عصفور، ليصبح أبرز المراكز المعنية بالترجمات من اللغات العالمية إلى العربية فى كل أنحاء المنطقة.

المركز تأسس كثمرة وتتويج لما قبله من مشروعات ترجمة، بداية من «مدرسة الألسن» مع رفاعة الطهطاوى، ولجنة التأليف والترجمة والنشر، لينطلق ساعيًا وراء أهداف أكبر وأشمل تتناسب مع المتغيرات المعرفية المعاصرة، من منطلق مجموعة مبادئ أساسية وضعها المشروع لنفسه.

واستطاع المركز القومى للترجمة أن يحقق من النتائج الإيجابية ما أكسبه المصداقية والاحترام فى عالم الثقافة العربية، باعتباره المحاولة العلمية الأكثر جدية واستمرارًا لتقليص الهوة بيننا وبين من سبقونا على هذا الطريق.

وتفرد المركز عن كل ما سبقه بميزات متعددة، أبرزها: الترجمة عن اللغات الأصلية، وتعدد اللغات المترجم عنها وصولًا إلى ٣٠ لغة، والتوازن بين المعارف المختلفة لسد النقص فى المكتبة العربية، وترجمة قدر لا بأس به من الأصول المعرفية، فضلًا عن الأعمال المعاصرة التى تصل للقارئ العربى بالثقافة العالمية فى تحولاتها المتسارعة.

التنسيق الحضارى

تولى المهندس محمد أبوسعدة رئاسة الجهاز القومى للتنسيق الحضارى التابع لوزارة الثقافة، فى ديسمبر 2015، بقرار ندب أصدره الكاتب الصحفى حلمى النمنم، وزير الثقافة آنذاك، بعدما شغل رئاسة قطاع صندوق التنمية الثقافية، وقطاع مكتب الوزير، وصندوق النوبة. ومنذ ذلك التاريخ، سعى إلى تطبيق رؤى جديدة، من خلال عدة مشروعات على مستوى الجمهورية.

آلاء حسن

محمد أبوسعدة

تكريم المبدعين بـ«عاش هنا».. وتطوير القاهرة الخديوية

تصدر هذه الجهود المشاريع التوثيقية، وعلى رأسها مشروع «عاش هنا»، الذى تم تدشينه عام ٢٠١٦، ويسعى إلى توثيق الأماكن التى سكنت فيها شخصيات مؤثرة فى حياة المصريين، وأهم الرواد المصريين فى شتى المجالات.

كما نفذ الجهاز مشروع «حكاية شارع»، فى إطار العمل على تعزيز الوعى بالقيمة التاريخية والتراثية لشوارع وأحياء المدينة، من خلال مشروعات مبادرة «ذاكرة المدينة» التى تضم عدة أنشطة تهدف إلى توثيق الهوية المعمارية للمناطق التراثية فى مصر.

ويتبنى «حكاية شارع» تثبيت لافتات بالشوارع التى تحمل أسماء شخصيات وأعلام يمثلون قيمة تاريخية وقومية ومجتمعية لمختلف فئات الشعب، حيث وضعت اللجنة العلمية للمشروع إطارًا محددًا للتعريف بكل ذى شخصية من خلال ضوابط محددة لتحقيق ذلك.

وفى إطار خطة عمل الجهاز للحفاظ على المبانى التراثية، وهى المبانى التى تمثل قيمة حضارية وتراثًا ثقافيًا، يضع الجهاز لوحات تعريفية يتم تثبيتها على واجهات تلك العقارات تحتوى على بيانات «رقم المبنى واسم الشارع ونوع الطراز وتاريخ الإنشاء إن أمكن».

كما نفذ الجهاز مبادرة «ذاكرة المدينة» لتوثيق الهوية المعمارية للمناطق التراثية فى مصر، ورصد الأحوال الاجتماعية لأبنائها فى الماضى؛ وتضم المبادرة سلسلة كتب تلقى الضوء على المناطق التى تحمل قيمة تاريخية وتراثية وتضع حدودًا وأسسًا للحفاظ عليها، كما تروى قصصًا متعددة تجمع بين المبانى وسكانها والمجتمع المحيط، ومن بينها: كتاب «جزيرة الزمالك- القيمة والتراث» والذى يعد أول إصدار للسلسلة.

كما قدم الجهاز كتابًا ثانيًا بعنوان «جاردن سيتى المدينة الحدائقية.. اسم ومعنى»، وتضمن أهم الطرز المعمارية التى تميز مبانى الحى وقصصًا حول المعماريين الذين شكلوا عمرانه المتميز وكذلك تاريخ الحياة الاجتماعية له، فضلًا عن إصدار يحمل اسم «سيوة.. حدوتة عمران» للدكتور حاتم الطويل أستاذ العمارة والتصميم العمرانى بكلية الفنون الجميلة جامعة الإسكندرية.

وأصدر الجهاز رابع إصدار من سلسلة «ذاكرة المدينة» ويحمل عنوان «ضاحية مصر الجديدة.. روح المكان وذاكرة الزمان»، ويضم أهم الطرز المعمارية التى تميز مبانى الحى، وقصصًا حول المعماريين الذين شكلوا عمرانه.

يتضمن تطوير القاهرة الخديوية استرداد وتعليق الواجهات الخارجية لمسرح دار الأوبرا الملكية

واستكمل الجهاز السلسلة بتقديم كتاب عن منطقة المعادى، للحفاظ على تاريخ وتوثيق المبانى التراثية والشوارع والشخصيات المبدعة، ومن المقرر إطلاقه قريبًا.

كما يواصل الجهاز تنفيذ مشروع تطوير القاهرة الخديوية، وهو أحد أهم المشروعات التى ينفذها بالتعاون مع وزارة الإسكان ومحافظة القاهرة وصندوق التنمية الحضرية.

ويتضمن تطوير القاهرة الخديوية استرداد وتعليق الواجهات الخارجية لمسرح دار الأوبرا الملكية، وإعادة توظيف الفراغات الداخلية لجراج الأوبرا والمبنى الإدارى لمحافظة القاهرة.

ويتبنى الجهاز مشروع إعادة إحياء الحدائق التراثية، من خلال العمل على إعادة تلك الحدائق إلى طبيعتها التى كانت عليها فى الماضى، وتم الاتفاق مع الجهات المعنية على تطوير حدائق «الحيوان»، و«الأورمان» بمحافظة الجيزة، و«الأزبكية» و«الأندلس» بالقاهرة، وكذلك «الشلالات وأنطونيادس» بالإسكندرية، والقناطر الخيرية بالقليوبية، و«النباتات» بأسوان، إلى جانب «فريال» فى بورسعيد، ثم حدائق الإسماعيلية.

كما تبنت وزارة الثقافة، متمثلة فى الجهاز، ترميم وإحياء قرية القرنة الجديدة، بالتعاون مع مكتب اليونسكو بالقاهرة ومحافظة الأقصر، وتم حتى الآن تطوير منطقة الساحة ما بين الخان والمسجد وقصر الثقافة، ويتم العمل حاليًا على تطوير منزل حسن فتحى لإعادة إحيائه مرة ثانية.

وانتهى الجهاز من إعادة إحياء شارع النبى دانيال بالإسكندرية، انطلاقًا من دوره فى الحفاظ على التراث المعمارى والعمرانى والحفاظ على الصورة البصرية فى الفراغات العامة، كما يستكمل الجهاز العمل على إعادة إحياء شارع فؤاد بالإسكندرية أيضًا.

ونجح الجهاز فى استصدار قرار من رئيس الوزراء بعدم تنفيذ أى أعمال داخل الميادين والفراغات العامة، إلا بعد مراجعتها من قبل الجهاز واللجان المختصة التى يشكلها الجهاز. ويستكمل «التنسيق الحضارى» تفعيل مشروع «تجميل ميادين مصر»، ويهدف إلى تحسين الصورة البصرية فى الفراغ العام، على أن يتم تحقيق هذا وتنفيذه من خلال الأجهزة المحلية المختصة فى المحافظات المختلفة عبر إعادة صياغة الرؤية الجمالية للفراغ العام والعمل على إزالة التشوهات الحالية، ووضع أسس التعامل مع الفراغات العمرانية بمراعاة طبيعة كل منطقة والمعايير الدولية المتعارف عليها.

وحصل الجهاز على الضبطية القضائية من وزارة العدل، لتوقيع المخالفات والمحاضر على التشوهات والتعديات التى توجد بالمبانى والعقارات الأثرية، وبلغ إجمالى عدد المحاضر التى تم تحريرها حتى الآن أكثر من ٨٠٠ محضر بمختلف المحافظات.

رغم ما بيننا من محبَّةٍ لم أُجْرِ حوارًا واحدًا مع محمود درويش، لكنَّنى سألتُهُ مئاتِ الأسئلةِ، وتحدثنا فى موضوعاتٍ شتَّى، وليس لدى سببٌ لأذكَرَهُ عن لماذا لم أحاوره، رغم أنَّنى حاورتُ أحمد عبدالمعطى حجازي، ومحمد الماغوط، وأدونيس، ونزار قبانى وغيرهم طبعًا.
هل لأنَّه الأقربُ لى شعريًّا، ربَّما.
هل لأُحافظَ عَلَى المسافةِ بين حَرْفٍ وآخر ربَّما.
وربَّما أشياءٌ أُخرى كثيرةٌ.
لكنَّنى كُنْتُ دائمَ الحديثِ عنه فى كلِّ مجلس، وإذا ما كان هناك موضوعٌ مَثَارُ جَدَلٍ حولَهُ فى الصحافة العربية، أُشارِكُ فيه بالرَّأى والكِتَابَةِ.

أحمد الشّهاوى

درويش

من أوراق خاصة لم تنشر من حياته

فَتَحتُ صفحات مجلة «نصف الدنيا»- التى يصدرها الأهرام أسبوعيًا- حيث أعملُ نائبًا لرئيس التحرير، لنشر سلسلةٍ من الحوارات معه أتَتْ من دولٍ عربيةٍ شَتَّى.

كما كان أحد الكبار فى برنامج تليفزيونيّ شاركتُ فيه، أنتجتْهُ قناةُ النِّيل الثقافية، وقدَّ تحدَّثَ فيه درويش عن أشياءَ جديدةٍ ومختلفةٍ وزوايا مغايرةٍ لا يعرفُها عنه جمهورُهُ.

أصدقاؤنا المشتركون حاوروه، ربّما أكثر من مرّة، وجاءت حواراتهم وثائقَ مهمةً ستبقى طويلًا، ومن هذه الحوارات ما نُشِرَ فى كُتب. لكنّنى كُنْتُ أفعلُ أشياءَ أُخرى لمن أُحِبُّ، ومحمود فى مقدمةِ هؤلاء من الشُّعراء، مِنْهَا دعوتى إياه إلى مكتبةِ الإسكندريةِ، إذْ أمضينا أيّامًا مُهمةً: محمود وصبحى حديدى وأنا، كُنّا فى ضيافةِ الإسكندريةِ برعايةِ وحبِّ صديقى د. يوسف زيدان مدير مركزِ المخطوطاتِ بمكتبةِ الإسكندرية، وَدَعَوْنَا على الحجّار ليغنّى من شِعْرِ محمود، وجاء أصدقاؤنا الشُّعراء والصحفيون والنقّاد والكتّاب من القاهرةِ.

كانت أيام محمود فى الإسكندرية فى مايو ٢٠٠٣ ثريةً، وخاصّةً ومحتشدةً بالذكرياتِ والشِّعرِ والفَيْضِ والتذكُّرِ والحنينِ إلى مصر، والسبعينيات من القرن الماضى، حيث عاش محمود فى القاهرة، التى كانت أوّل مدينةٍ عربيةٍ يراها بعد خروجِهِ التاريخى من فلسطين.

قررتُ وكان معى المصوِّر الصَّحفى محمد حجازى، أن أُسَجِّلَ هذه الأيامَ بالقلم والكاميرا. وأعلمتُ محمود أنّنى سأدوِّن كُلَّ مايذكرُهُ، وأخرجتُ من جيبى قلمى الأسْوَدَ، ومفكرةً صغيرةً قرمزيةَ اللّون، عثرتُ عليها بسهولةٍ يوم السبت التاسع من أغسطس ٢٠٠٨ «تاريخ رحيل محمود فى مدينة هيوستن الأمريكية».

ويوم السّبت هذا حدّده محمود من قبل فى كتابِهِ الأخير «أثر الفراشة» موعدًا لموتِهِ، إنه استشرافٌ مثيرٌ وشفيفٌ فى آنٍ:

«صدّقتُ أنّى مِتُّ يوم السّبتِ،
قَلْتُ: عليَّ أن أُوصِى بشئٍ ما
فلم أَعْثُرْ على شىء
وقلتُ: عليّ أن أدعو صديقًا ما
لأخبِرَهُ بأنّى مِتُّ
لكنْ لم أجدْ أحدًا.
وقلتُ: على أنْ أمضى إلى قبرى
لأملأَهُ، فلم أجد الطّريقَ
وظلَّ قبرى خاليًا منّى....»

إلى نهايةِ القصيدةِ التى عنوانها «إجازةٌ قصيرةٌ» كأنّ محمود كان يُشَيِّعُ نَفْسَهُ يوم كَتَبَ هذه القصيدةَ بين صيف ٢٠٠٦ وصيف ٢٠٠٧ «هو لم يحدِّد. لأنّه غالبًا لا يؤرِّخُ قصائدَه ولا يحدِّد أمكنةَ كتابتها، خصوصًا فى سنواتِهِ الأخيرةِ».

«وأُشَيِّعُ نفسى بحاشيةٍ من كمنجاتٍ إسبانيا
ثُمَّ
أمشي
إلى المقبرة».

«لم أكتب السَّطْرَ الأخيرَ من الوصيّةِ،
لم أُسَدِّد أى دَيْنٍ للحياة».

«وَطَارَ الموتُ من لُغَتى إلى أشغاله».

كأنّ محمود فى كتابِهِ الأخيرِ «أثَرُ الفَرَاشَةِ»، كان يودِّعنا، يودِّع لُغته، مَاءَ قصيدتِهِ، صَوْتَهُ فى رنّةِ الذَّهَبِ حينما يَنْزِلُ من نارِه.

وَافَقَ محمود أن أدَوِّنَ، دُونَ أنْ أخدشَ صَمْتَهُ، أو استرسالَهُ، وكان يتحدَّثُ دون أنْ أعدَ بالنَّشْرِ قريبًا. ومحمد حجازى يُصوِّرُ، ولم نَنْشُرْ صورةً أو كَلِمةً واحدةً قبل موتِهِ.

وظلّت الذكرياتُ محفوظةً بتدوينها الأولى فى مفكّرتى، وأنا أَسَاسًا لا أستخدمُ المفكّراتِ فى التدوين، وهى المرّةُ الأولى فى حياتى التى أدوِّنُ فيها لصديقٍ. فَأَنَا عادةً أدوِّنُ لنفسى فى رحلاتى فقط، أو فيما يتعلّقُ بشعرى.

وما سأكتبُهُ الآنَ ليس كُلَّ ما دوَّنْتُهُ، لأنّ بَعْضَ ما قال محمود، لا يجوزُ أنْ يُنْشَرَ الآنَ، لكنّه قال، ويدركُ أنّهُ سَيُنْشَرُ يومًا ما، كأنّ عبئًا ما كان يحملُ، هى وجهاتُ نَظَرٍ أراد أن يقولَها حتّى لو عَرفَها شَخْصٌ واحدٌ على هذه الأرض، هو أنا.

بدأتُ التدوينَ فى يوم الخميس الثانى والعشرين من مايو ٢٠٠٣ ميلادية. وسأكتفى بأجزاءٍ مما دوّنتُ، كى يتعرّف قارئُ محمود جَوَانِبَ من حياتِه الشخصية.

وسأعلِّق أحيانًا لأضيئ، أو أضيفَ؛ كى يكتملَ المشْهَدُ «مع أنّ المَشَاهِدَ تظلُّ دومًا ناقصةً حتّى بعد مَوْتِنَا».

١- أعشقُ صوتَ الشّيخ عبدالباسط عبدالصّمد «عادةً ما يقومُ محمود من نومه فى التاسعة صباحًا، ويتناولُ قهوته مضبوطةً و(من غير وش) على حدِّ تعبيره». ولا يتناولُ إفطارَهُ فى مطعم الفندق إذا كان على سَفَرٍ، إذْ يفضّل الأكلَ فى الغرفةِ، وهو عمومًا لا يأكلُ كثيرًا. ولا يأكلُ الأرزَ.

٢- فى أوائل عام ١٩٧١ جاء محمود إلى مصر، حيث كان يسكنُ فى حى جاردن سيتى فى وسط المدينةِ، وقبل ذلك كان نزيلاً فى فندق شبرد، وعمل فى جريدة الأهرام وكان يتقاضى راتبًا قدره (مئة وخمسون جنيهًا مصريًا)، وكان مكتبه فى الطابقِ السّادس من برج الأهرام مع كُتّابِ الأهرام نجيب محفوظ، وتوفيق الحكيم، ويوسف إدريس، ولويس عوض، وزكى نجيب محمود، وبنت الشاطئ، وآخرين.

وفى تلك الفترةِ زار بورسعيد والإسماعيلية والسويس والأقصر وأسوان، «نزل فى فندق كتراكت»، والإسكندرية إذْ حَضَرَ حَفْلاً لعبدالحليم حافظ وكان يشدو وقتذاك أغنية «مدّاح القمر»- كلمات محمد حمزة وألحان بليغ حمدى «٧من أكتوبر١٩٣٢-١٧من سبتمبر١٩٩٣»- أى قبل ست سنوات من موت عبدالحليم «٣٠ من مارس ١٩٧٧ ميلادية».

كانت رحلة محمود درويش هى الثالثة إلى الإسكندرية، أمّا الرابعة فكان مُحَدَّدًا لها فى أكتوبر أو نوفمبر ٢٠٠٨، خمسة عشر يومًا، وسبع أمسيات شعرية، وتسجيل ما تيسّر من شعره على سبع أسطوانات DVD فى استوديو مكتبة الإسكندرية، على أن تُهدى المكتبةُ هذه التسجيلات إلى مكتباتِ العالم والمراكز الثقافية فى كلِّ مكان.

يقول د. يوسف زيدان: قلتُ له: سأرتّب لك إقامةً فى قصر السلاملك، فهو أفضلُ مكانٍ بالإسكندرية يليقُ بالشُّعراء. فقال: ليس هذا هو المهم، المهم أن تدعوَ أحمد الشّهاوى ليكونَ معنا.. قلتُ: سوف أعتقلُهُ فى الإسكندرية طوال أيام بقائك بها، ولن أسمحَ له بالخروج منها ما دمتَ موجودًا، ضحك محمود درويش، وقال ما نصّه: «هذا جيّدٌ، حتّى نسترجعَ ذكرياتِ الزيارةِ السّابقة».

٣- فى المرّة السابقة مايو ٢٠٠٣، نزل محمود فى الغرفة رقم ٣٠٨ بفندق سيسل «تأسّسَ عام ١٩٢٩» بجوار غرفة أم كلثوم «٤ من مايو ١٨٨٩-٣ من فبراير١٩٧٥»، وهى الغرفة التى كانت تقيم فيها وقد أحبّ محمود هذا الفندقَ، أو تلك الإقامةَ لأسباب كثيرةٍ منها أنه قريبٌ من بيت الشّاعر اليونانى السكندرى قسطنطين كفافيس «٢٩ من أبريل ١٨٦٣ — ٢٩ من أبريل ١٩٣٣» وأنه- أيضًا - شهد كتابةَ لورانس داريل «٢٧من فبراير ١٩١٢-١٩٩٠» لـ«رباعية الإسكندرية» كما أنّ بعض غُرَفِهِ تحملُ أسماءَ لفنانين وكُتّابٍ ومبدعين نزلوا فيه، ويحبُهم محمود أو شَاهَدَ أعمالهم وهو المتيّمُ بالسينما: عمر الشريف، طه حُسَيْن، أجاثا كريستى وغيرهم.

بمناسبة كفافيس الذى زرنا بيته (متحفه) وكلانا حصل على جائزة كفافيس فى الشّعر، فقد طلبتُ منه كتابةَ كلمةٍ فى «دفتر سجل الزيارات» كما جرت العادةُ مع كبار الزائرين، فكانت كلمته مدهشةً: «زرتُ اليومَ غيابَ الشّاعر قسطنطين كفافيس، فوجدته حاضرًا بأشيائِهِ الصُّغرى فى المكان، ولكنّه حَاضِرٌ أكثر فى شِعْرِهِ العظيم، لأنّ مَكَانَ الشّاعر الحقيقى والطبيعى هو القصيدةُ فقط التى يضيقُ بها المكان».

«وكانت زيارة محمود يوم الجمعة، الثالث والعشرون من مايو ٢٠٠٣».

أما أجملُ الأسباب لفرح وابتهاج درويش بإقامتِهِ، فهو بسبب تجاور غرفتِهِ غرفةَ أم كلثوم، وهى بالنسبة إليه «إدمان الوحيد».

قال لى: «أم كلثوم معجزةٌ/ وهى من الظّواهر الكونيةِ/ عبقريةٌ خَارِقَةٌ صوتُها فيه قوةٌ تعبيريةٌ».

حدّثتُ محمود عن انزعاجى من كتاب «الهَوى دونُ أَهْلِه» الذى كتبه حازم صاغية، وهو كتابٌ فى ذَمِّ أم كلثوم.

وبعد سنواتٍ فاجأنى محمود بنصّه المدهش فى كتابِهِ الأخير «أثَرُ الفَرَاشَةِ»، عن أم كلثوم أسماه «إدمانَ الوحيد»:

«أستمعُ إلى أم كلثوم كلّ ليلةٍ، منذ كان الخميسُ جوهرتَها النادرةَ، وسائر الأيام كالعقدِ الفريدِ. هى إدمانُ الوحيدِ. وإيقاظُ البعيدِ على صهيلِ فرس لا تُروَّض بسرج ولجام. نسمعها معًا فنطربُ واقفَيْن وعلى حدة فَنظلُ وَاقفَيْن.. إلى أن تُومِئَ لنا الملكةُ بالجلوس فنجلسُ على مترٍ من ريحٍ.

تقطّعنا مقطعًا مقطعًا بوترٍ سحرى لا يحتاجُ إلى عودٍ وكمانٍ.. ففى حنجرتها جوقةُ إنشادٍ وأوركسترا كاملةٌ، وسرّ من أسرار الله. هى سماءٌ تزورنا فى غير أوقاتِ الصلاةِ، فَنُصلّى على طريقتها الخاصّةِ فى التجلّى. وهى أرضٌ خفيفةٌ كفراشةٍ لا نعرفُ إن كانت تَحْضُرُ أم تغيبُ فى قطرةِ ضوءٍ أو فى تلويحةِ يدِ الحبيب. لأهتها المتلألئةِ كماسةٍ مكسورةٍ أن تقودَ جيشًا إلى معركةٍ.

ولصرختها أن تعيدَنَا من التهلكةِ سالمين. ولهمستها أن تُمْهِلَ اللّيْلَ فلا يتعجّلُ قبلَ أن تفتحَ هى أولاً بابَ الفَجْرِ...»

إلى آخرِ النصِّ الذى أدعو حازم صاغية إلى قراءته علّه يعيدُ النَّظَرَ فى كتابه الذى لم يُكْتَبْ له «النجاح» الذى أراده له.

هل قُلْتُ إنّ درويش ونحن خارجان من بيتِ كفافيس الذى صار مُتْحَفًا، قال لى إن «كفافيس قَضَى على الأقلّ على ثلاثين شاعرًا عربيًا».

ومقولته واضحةٌ، وخطيرةٌ وَدَالّةٌ وحقيقيةٌ، لكنّه لم يُسْم أحدًا ممن قَضَوْا تحت «سنابك» كفافيس فى معركةِ التأثُّرِ والتقليدِ والمحاكاة.

كان محمود يعرفُ أنّنى أحبُّ صوت عفاف راضى، وأنّها قريبةٌ منّى روحًا وَشَخْصًا فقال لى: «عفاف راضى صوتها خاصٌّ جدًا». بالمناسبةِ هو لم يحب صوت محمد فوزى «٢٨ من أغسطس ١٩١٨- ٢٠ من أكتوبر ١٩٦٦»، لكنّه فاجأنى بحبّه لموسيقى أغنية «العتبة قزاز والسلم نايلو فى نايلو» التى غَنّتها ليلى نَظْمى وهى أغنيةٌ شهيرةٌ ذاعت بعد هزيمة ١٩٦٧ وهى من ألحان الموسيقار الطليعى على إسماعيل «الخميس ٢٨ من ديسمبر ١٩٢٢- الأحد ١٦ من يونيو ١٩٧٤».

كان مذياع السيارة التى تُقلُّنا محمود وأنا مفتوحًا على «إذاعة الأغانى»، وأطلّ على آذاننا كمال حُسنى «١٩٢٩-أبريل٢٠٠٥» بأغنيته: «لو سلمتك قلبى واديت لك مفتاحه» وحاول محمود أن يتذكّرَ الأغنيةَ، باعتبارها من الأغنياتِ التى يحبُّها، والصّادرةِ عن صوتِ كمال حسنى الذى يُحِبُّه.

وهذه الأغنيةُ وُضعت بمناسبةِ الوحدةِ بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨ ميلادية.

٤- الشّاعر ينضجُ فى الأربعين.

٥- أُفَضِّلُ شِعْرَ أحمد شوقى فى المسرحياتِ والغزلياتِ، وهو من أمتن الشُّعراءِ فى القرنِ العشرين. لقد تحقّقَ شعر صلاح عبدالصبور فى المسرحيات، فالصنعةُ عنده مُحْكمةٌ. لم أحب شِعْرَ حافظ إبراهيم.

٦- قال لى فى نَدَم: «نشرتُ شِعْرِى مُبَكِّرًا».

٧- أَخْطَرُ شىء أنْ يُقَرِّرَ الشّاعرُ قصيدتَهُ سَلَفًا.

٨- سياقُ المقطعِ الأوّلِ هُوَ الذى يُقَرِّرُ القصيدةَ. وهذا هو الفَرْقُ بَيْنَ النَّظْمِ والكتابةِ. وأصعبُ قافيةٍ هى السَّهْلةُ، لأنّها مُسْتَهْلَكَةٌ، ولا بدّ عِنْدَمَا تستخدمُها أن تجدّدَهَا.

٩- لم أقرأ العَرُوضَ، ولم أتعلّمْهُ، وليس لدى كِتَابُ عَرُوضٍ وَاحِدٍ. فيما بعد اطّلعتُ على كتاب بسيطٍ فى العَرُوضِ. لم أتعلّمْ العَرُوضَ بتاتًا، كان ذلك بالسليقةِ، وقرأتُ- فقط- كتابًا لضبطِ القواعدِ. وَأُحسُّ أنّ لديّ سَيْطَرَةً على العَرُوضِ.

١٠- لا أكتبُ النّصّ فى نَفَسٍ وَاحِدٍ.

١١- أنَا من أكْثرِ الشُّعراءِ نكدًا. فَأَنَا أكتبُ القصيدةَ أَرْبَعَ مرّاتٍ.

١٢- معدّل مَا أَنْشُرُهُ هو ثلثا ما أكتبُ، والثلث الأَخَرُ للإبادةِ. ولا يوجدُ نصٌّ شعرى شِبْهُ مُنَزَّلٍ، فَلاَ بُدَّ أنْ تَعْمَلَ «كولاج ومونتاج».

١٣- أؤمنُ بالصَّنْعَةِ بَعْدَمَا تقومُ السَّليقةُ بدورها.

١٤- السُّلوك يُنْسَى «سُلُوكُ الشَّاعِرِ»، ولكنّ النّصّ يَبْقَى.

١٥- إذَا فَقَدَ الشّاعِرُ أسلوبَهُ فَقَدَ شخصيتَهُ.

١٦- أُوقِفُ كتابًا لمصلحةِ كتابٍ آخَر.

«فى مسألةِ تأجيلِ نَشْرِ بَعْضِ كُتُبِهِ الجاهِزَةِ والمُنْجَزَةِ».

١٧- لدى نظامٌ للفوضى. كلُّ شئٍ فى حياتى مُنظّمٌ إلاّ مكتبى، فَإِذَا رُتِّبَ أضيعُ. أكدّسُ الجرائدَ والمجلاتِ ثم بعد عامين أرميها. إنّ أصعبَ شئٍ علىّ ترتيب الأوراق والمكتب الخاصّ بى.

١٨- لا أكتبُ حَرْفًا واحدًا باللّيل. إنّ ذروةَ العملِ عندى من العاشرةِ صباحًا وحتّى الثانيةِ ظهرًا. فأنا لستُ صديقًا لليل، مع أنّه صديقٌ للشُّعراء.

١٩- ما لا أَرْضَى عَنْهُ من شِعْرِ أتَخلّصُ منْهُ نهائيًا، إلاّ ما أرى فيهِ قد يَصْلُحُ فى عَمَلٍ آخَر. وما لا نَرْضَى عنه هو «عورات الشُّعراء» فلا ينبغى أن تظهرَ على النّاس.

٢٠- نتأخّرُ أَحْيَاءً، وَلاَ نَصِلُ مَوْتَى. «فى مَسْأَلَةِ قَلَقِ المُسَافِرِ. كان محمود يطلبُ من السّائقِ أن يقودَ السيّارةَ بسرعةٍ تتراوحُ بين تسعين إلى مئة كيلو متر فى السّاعة. ولم أر شاعرًا قَلِقًا مِثْلَ محمود درويش فى حياتى».

٢١- فى الرابع والعشرين من مايو ٢٠٠٣. ذهبنا إلى أحد أشهر مطاعم الأسماك فى الإسكندرية وهو «سى جل» بمنطقة الماكس، وجلسنا على المنصّةِ رقم ١٣١. وكان شعار المطعم «من البحر إلى المائدة»، فقال محمود مُعَلِّقًا- وهو السّاخر العظيم لمن لا يعرفُ- «من البَحْرِ إلى المَعِدَة».

٢٢- قال محمود درويش عنّى:

«إنّ الشّهاوىَ مَحْبُوبٌ وَمَرْغُوبٌ».

لا تزالُ مفكرتى القرمزية بلونِ دم شَفَقِ الأيام مَلأَى بذكرياتٍ، وحِكَمٍ، وآراءٍ، وقفشاتٍ، ونكاتٍ، وعوالمِ محمود درويش لكنّ بَعْضَ مَادَوَّنْتُ هَلْ أَنْشُرُهُ، أَمْ أَنْتَظِرُ، أم أَحْفَظُهُ فى روحى إلى أنْ أرى محمود بَعْدَ أنْ تموتَ أشيائى التى لن تُدْفَنَ معى يَوْمَ أَمُوتُ، لأنّها لا تموتُ مِثْلى.

معدل ما أنشره هو ثلثا ما أكتب والثلث الآخر للإبادة.. والشاعر ينضج فى سن الأربعين

أحمد الشهاوى ومحمود درويش

لم أحب شعر حافظ إبراهيم.. وأعشق صوت الشيخ عبدالباسط عبدالصمد

أحب موسيقى أغنية «العتبة قزاز».. وكفافيس قضى على الأقل على 30 شاعرًا عربيًا

تحتار بشدة فى وصفه، فحق من يجمع بين أكثر من موهبة، تجد أن إحداها يغلب البقية فتصفه بها، لكن الحالة مختلفة عند الحديث عن الإعلامى محمود الوروارى، ذلك الوجه المعروف على القنوات المصرية والعربية.

فالرجل صاحب برامج «الآخر» و«أهل العقل» و«سلفيو مصر» و«الحدث المصرى»، تميز فى الإعلام للدرجة التى تجعلك تصفه بالإعلامى بضمير مرتاح، وفى نفس الوقت أبدع فى الكتابة بمختلف أنواعها، لتلحق به صفة الروائى والكاتب، فضلًا عن صناعة أفلام وثائقية أرّخت لفترة مهمة من تاريخ مصر.

عن هذا المشوار الطويل والمسيرة الحافلة، ورؤيته تجاه العديد من القضايا الفكرية فى عالمنا العربى وواقعنا المصرى على وجه التخصيص، يدور حوار «حرف» التالى مع الإعلامى محمود الوروارى.

إيهاب مصطفى

رفيق أهل العقل

محمود الوروارى: الإعلام والكتابة «صُرتان» تريدان سحبى 24 ساعة

■ **جمعت بين الإعلام والكتابة وتميزت بشدة فى كليهما.. كيف فعلت ذلك؟ وهل أثر أى من المجالين على الآخر؟**

– منذ دخولى مهنة الإعلام أو الكتابة، أؤمن تمامًا بأن الاشتغال على المشاريع الطويلة هو الذى يفيد، وأرى أن أى مشروع يحتاج من ٤ إلى ٥ سنوات عمل حتى يكون مؤثرًا، لكن الاشتغال من دون تركيز بأعمال متفرقة هنا وهناك، أعتقد أنه لا يمكن أن يفيد المتلقى بطبيعة الحال.

حاولت أن أوازن بين الكتابة والإعلام، باعتبارى إعلاميًا وفى نفس الوقت كاتب، فأنا أكتب الأدب من رواية وقصة ومسرح، وأكتب فى الفكر أيضًا، على ضوء اهتمامى بالتفكير والفلسفة وموضوع العقل الدينى.

بالتالى، يمكن القول إن لدى حقلين، الكتابة الأدبية فى الرواية والقصة والمسرح، والكتابة فى التفكير، خاصة ما يتعلق بالاشتغال على العقل الدينى فى الإسلام بشقيه السنى والشيعى، وكذلك المسيحى بكل تداخلاته.

تلاقى شغفى هذا بالكتابة مع عملى ومهنتى منذ ٣٠ عامًا كإعلامى، والإعلام والكتابة «صُرتان»، كل واحدة منهما تريد أن تأخذك بالكلية، أن تسحبك لمدة ٢٤ ساعة فى اليوم. لكنى أعتقد أن الكتاب هو الأبقى، فصحيح أن الإعلام مؤثر، لكن الكتاب مؤثر على المدى البعيد.

ولذلك التحدى الرئيسى أمامى كان أن أصنع جسرًا تلتقى فيه الكتابة الإبداعية والفكرية مع العمل الإعلامى، خاصة نوعية الإعلام الذى أقدمه، وهو الإعلام الجاد، الإعلام الخبرى والسياسى الذى يقوم على فكرة الوعى.

هذا ما عملت عليه وبدأت التجريب فيه حتى استطعت الوصول إلى رؤية معينة، وهى أنه من الممكن أن يلتقى الأدب والفكر مع الإعلام، وهو ما فعلته فى عام ٢٠٠١، عندما كنت أعمل فى قناة «الشارقة».

كانت وقتها قناة مهمة جدًا، ومدعومة من «اليونسكو»، ومُصنفة بأنها ثقافية، بل تعد أول قناة ثقافية عربية، منذ انطلاقها بشكل رسمى فى عام ١٩٩٥، وهو ما استمر حتى ضرب برجى التجارة العالمية فى الولايات المتحدة، يوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١، وهو الحدث الذى يمكن اعتباره المحطة الرئيسية فى تحولات سياسية كبرى لاحقة، يُمكن أن تُكتَب عنها كتب كثيرة.

■ **ظهرت فى هذه الفترة ظاهرة «الإسلاموفوبيا» وتصاعدت بشدة فى العالم كله كيف تعاملت معها على ضوء عملك الإعلامى؟**

– نعم، تصاعدت موجة «الإسلاموفوبيا» فى هذه الفترة، وظهر ما يسمى «أعداء الإسلام»، الذين يكرهون الإسلام بشدة ويصفونه بـ«دين الإرهاب»، ويتهمون المسلمين بأنهم «إرهابيون».

كانت تُعقد جلسات فى جامعة الدول العربية وقتها لمناقشة هذه الظاهرة، وكنت أُدعى لحضورها، وكانت الرغبة آنذاك هى وجود قنوات مؤثرة تُمنح مساحات للرد على الاتهامات الموجهة للإسلام والمسلمين، لكن كنت أرى عكس ذلك، فقد كانت لدى قناعة بأن الرد على الاتهامات هو تأكيد لها.

لذا رغم مطالبة البعض بتأجير مساحات على الهواء، فى قنوات عالمية مثل «سى إن إن» و«بى بى سى»، ومنحها للكتاب والمفكرين العرب للرد على الاتهامات الموجهة للعرب والمسلمين، رأيت أن أفعل عكس ذلك فى برنامج «الآخر»، من خلال استضافة مفكرين وكتاب وصحفيين غربيين.

لم يكن لدى ضيف عربى واحد فى هذا البرنامج، وإنما كبار المفكرين حول العالم، وعلى رأسهم روجيه جارودى ونعوم تشومسكى، وعدد كبير من الكُتاب فى فرنسا والسويد والولايات المتحدة، وتحدثت معهم عن العديد من القضايا المهمة، وكيف أن العالم مُمهد لتطبيق أفكار فوكو ياما فى «نهاية التاريخ»، وصامويل هانجتنتون فى «صدام الحضارات».

كان على رأس هذه الأفكار ما يُعرف بـ«تفكيك الكتلة الصلبة»، التى تقوم على فكرة أن أكبر كتلتين فى العالم هما المسلمون «١,٦ مليار نسمة»، والصينيون «١,٧ مليار نسمة»، باعتبارهما الكتلتين الصلبتين اللتين سيعوقان المشروع الليبرالى وقتها، ما يتطلب تفكيكهما.

تُرجمت هذه الأفكار بشكل عملى فى الحرب التى أعلنت على الصين، وفى احتلال أفغانستان بعد حادث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ بشهر، بداعى إنهاء وجود «القاعدة» وقتل أسامة بن لادن، وبعدها بعامين احتلوا العراق.

كل هذا تحدث عنه المفكرون الذين استضفتهم فى البرنامج، وكل ما توقعوه حدث بالفعل بعد ذلك، قالوا سيتم احتلال العراق وتم احتلاله، وسيتم احتلال أفغانستان وتم احتلالها، بل أنهم تحدثوا بشكل دقيق عن طريقة احتلال العراق، من خلال حل الجيش وتفجير خلاف بين الشيعة والسُنة.

نجح البرنامج بصورة كبيرة، وكتبت عنه صحف ومجلات عالمية مهمة على رأسها «التايم»، ووصف بأنه خرق أو نافذة كبرى للإعلام الأجنبى فى الشرق الأوسط وليس العكس، لذا جرى تدريسه فى جامعة «إلينوى» بالولايات المتحدة الأمريكية، باعتباره نموذجًا لانفتاح الإعلام على العقل، وتحوله من السطحية إلى العمق.

كان هذا عام ٢٠٠٣، وبعدها بعام واحد بدأت فى إعداد كتابى «الآخر»، الذى أعتبره وثيقة مهمة جدًا، ويمثل تجربتى الأول فى الجمع بين الإعلام والكتابة بمعناها الراصد العاقل وبشقيها السياسى والفكرى.

ماذا عن مشروعك المسرحى؟

ـ بدأ معى منذ الثانوية العامة، وأخرجت مسرحيات وأنا فى الجامعة، ودرست المسرح فى أكاديمية الفنون، واستمريت فى ذلك نحو 4 سنوات، وقدمت أعمالًا كثيرة، مثل مسرحية اسمها «الخفافيش»، تقوم على فكرة «حينما يفقد الإنسان البصر والبصيرة»، وفكرة «البلد كلها عميان»، وفكرة «قيمة المقام والحراس»، وأولئك الذين يتخذون من الدين ستارًا للوصول إلى أغراضهم، سواء سياسية فى كرسى الحكم كما هم «الإخوان»، أو مادية بمعنى الاسترزاق كما هو حال الدعاة الجدد. ومسرحية «الخفافيش» صدرت عن الهيئة العامة للكتاب، وكتب عنها الدكتور حسن فتح الباب، رحمه الله.

محمود الوروارى خلال تكريمه فى أحد المؤتمرات

■ **لمحة المحطة التالية المهمة فى حياة محمود الوروارى؟**

– المحطة التالية المهمة بالنسبة لى كانت فى عام ٢٠١١، وأنا أعتقد أن العالم يتحرك فى «عشريات»، بمعنى أن هناك حدثًا ما ضخمًا للغاية يحدث ويؤثر فى العالم كله كل ١٠ سنوات، بداية من عام ١٩٩١، حين أعلن بوش الأب عن تدشين النظام العالمى الجديد، القائم على فكرة العولمة مقابل انهيار وتفكيك الاتحاد السوفيتى.

بعدها بـ١٠ سنوات فى ٢٠٠١ كانت أحداث الحادى عشر من سبتمبر، التى أدت إلى انقسام العالم بشكل رهيب، وبعدها بـ١٠ سنوات أخرى حدث ما سُمى بـ«الربيع العربى»، وصولًا إلى جائحة فيروس «كورونا» بعدها بـ١٠ سنوات أخرى، والتى غيّرت وجه الخارطة العالمية.

كل ١٠ سنوات سيكون هناك حدث جلل، لذا أتوقع أن يكون هناك حدث كبير جدًا فى ٢٠٣١، وأنا لست «مُنجمًا»، لكنى أقول ذلك فى إطار حركة التاريخ، ومن يدرك حركة التاريخ يدرك أشياء كثيرة، كما قال «أوباما» عام ٢٠٠٩، حين تولى رئاسة الولايات المتحدة.

فى ٢٠١١ كان لدى يقين كبير بأننا أمام حدث فارق فى تاريخ الشرق الأوسط والعالم، وأن المنطقة ستتغير كما هى الآن، لذا أعتقد أن ٢٠١١ حدث مفصلى فى التاريخ لا يقل أهمية عن الأحداث التاريخية التى مر بها العالم، مثل الحربين العالميتين الأولى والثانية.

■ **أين كان «الوروارى» فى ظل هذه الأحداث المفصلية؟**

– فى هذا التوقيت قدمت برنامج «الحدث المصرى»، الذى استمر لمدة ٨ سنوات كاملة على قناة «العربية»، وكان تقديمى إياه فى القاهرة، بعدما تركت دبى، وهو عبارة عن «توك شو» سياسى لمدة ٣ ساعات.

وهذه المرة الأولى التى يكون لدينا «توك شو» سياسى مصرى على قناة كبيرة مثل «العربية»، وليست قناة محلية، وكان الهدف الرئيسى وراءه رصد مجريات ما حدث فى مصر بعد ٢٠١١، مع وجود متغير مهم للغاية، وهو «التنظيمات الإسلامية»، التى كانت تعمل فى الخفاء، ثم ظهرت إلى العلن حين شعرت بالأمان فى هذا الوقت.

تركيزنا كلنا كان على «الإخوان»، رغم أننا نعرف تاريخ الجماعة، وهناك العديد من الرسائل الجامعية التى تحدثت عنها، إلى جانب من انشقوا عنها وكشفوا أسرارها وكواليس عملها مثل ثروت الخرباوى، لذا «الإخوان» بالنسبة لى كانت حركة مفضوحة، فالمصريون يعرفون توجهاتها، ولا تحتاج إلى مجهود بحثى كبير.

لكن المشروع الذى كان يحتاج عقلًا راصدًا ومشروعًا بحثيًا شاملًا هو السلفيون، لأن التيار السلفى فى مصر هو ما خرجت منه تيارات سلفية فى العالم كله، ومن بينها جماعة «الإخوان» نفسها، فالحركة السلفية فى مصر أقدم بـ٨٠ أو ١٠٠ عام من جماعة «الإخوان»، التى تأسست عام ١٩٢٨.

■ **لماذا ترى أننا فى حاجة إلى مشروع بحثى شامل عن السلفيين فى مصر؟**

– الحركة السلفية بدأت من الشيخ السبكى عام ١٨٥٠، والجمعية الشرعية، قبل أن يأتى محمد حامد الفقى ويؤسس «جماعة أنصار السنة»، وكان أول ترخيص للجمعيات التابعة لها عام ١٩١٢، وجرى منحه إلى «الجمعية الشرعية».

بعد ٢٠١١ بدأت قيادات السلفية تتحدث، فعقدت جلسات عمل طويلة جدًا مع عدد منهم، مثل الشيخ أحمد فريد، وياسر برهامى، إلى جانب زيارة عدد من المؤسسات السلفية، مثل «الجمعية الشرعية» و«أنصار السنة المحمدية»، فضلًا عن المساجد الخاصة بها، ووقتها ساعدونى بشدة، لأنهم كانوا يشعرون آنذاك بالأمان، ويمثلون الكتلة الثانية فى برلمان ٢٠١٢.

كما أننى لم تكن لدى عقلية عدائية ضدهم، وكنت أريد معرفة الحركة السلفية من حيث التأسيس والمبادئ الفكرية، وكيف تطورت من سلفية الدعوة والدين إلى السلفية الجهادية والحركية والعلمية، وحتى سلفية الظواهرى وأسامة بن لادن، وسلفية ناجح إبراهيم وكبار قيادات الحركة.

والحقيقة أنهم فتحوا لى مخزونًا أرشيفيًا ضخمًا فبدأت أقرأ، وأخذ منى هذا مجهودًا كبيرًا لا يقل عن عامين أو ثلاثة من العمل المتواصل، وكأننى أعد رسالة دكتوراه، ثم عادت إلىّ فكرة المشاريع المؤثرة، وضرورة اتباع كل الأساليب والوسائل التى يكن من خلالها إيصال مشروعك إلى الناس.

قلت إننى أجيد وسيلتين لتوصيل مشروعى إلى الناس، إما الكتابة أو الإعلام، فقررت تنفيذ ما يمكن اعتباره أكبر سلسلة وثائقية عن السلفيين فى العالم العربى، بواقع ٥ أفلام كاملة، كل فيلم منها ساعة كاملة، وهذا عمل ضخم جدًا يحتاج إلى كتيبة إعلامية تعمل عليه وليس شخصًا واحدًا.

الحقيقة أننى بدأت العمل على المشروع بالفعل، وطلبت من قيادات الحركة السلفية فى مصر أن نوثق هذا التاريخ، ولأنهم كانوا فى ارتياح ويشعرون بأنهم فى مرحلة انتصار، وافقوا على طلبى، لأبدأ العمل بالفعل عام ٢٠١٢.

بدأت أسجل مع القيادات الكبرى فى التيار السلفى، والحقيقة تكلموا بكل أريحية، بعد أن قسمت إياهم إلى تيارات سلفية مؤسساتية وحركية وعلمية، إلى جانب «سلفية الشيخ»، وبدأت أجعل الشيوخ يتحدثون عن سلفيتهم ومبادئهم وقواعدهم، وكيف اختلفت كل سلفية عن الأخرى، لأنتهى من عمل توثيقى عظيم استمر لمدة عامين.

وأثناء تسجيل هذا المشروع الوثائقى، كان فى ذهنى العمل على كتاب، ورأيت أنه لن يكون كتابًا مرجعيًا يبقى للزمن إلا إذا تضمن الجهد التوثيقى، وليس التأليف، وهناك فرق كبير جدًا بين أن تكون مؤلفًا وموثقًا، وأنا بطبعى أميل إلى التوثيق وليس التأليف.

يمكن مثلًا أن أكتب وأقول: «قال لى الشيخ أحمد فريد»، لكن حين يخرج أحمد فريد نفسه ويتحدث هو أمر مهم للغاية، لذا كانت هناك جمل عامية تركتها كما هى، لأنها تحتمل التأويل، فى هذه السلسلة الوثائقية المهمة.

أذاعت «العربية» الفيلم لمدة ٥ ساعات، وكان يحمل عنوان «سلفيو مصر»، وهو عمل تاريخى توثيقى مهم، وكان مرهقًا للغاية، حتى أننى مرضت بعد الانتهاء منه بشكل كامل، لأننى كنت

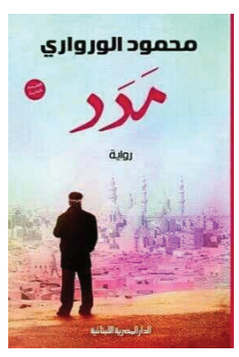

الكتابة أكثر تأثيرًا وبقاءً من الإعلام.. ووفقت بينهما فى مشوارى

ضيوف «الآخر» تنبأوا بغزو العراق.. والبرنامج يُدرس فى جامعات أمريكا

العالم فى انتظار «حدث جلل» عام 2031 كما حدث فى 91 و2011 و2021

«السلفية» أقدم من «الإخوان» بـ100 عام.. ومن عباءتها خرجت «جماعة البنا»

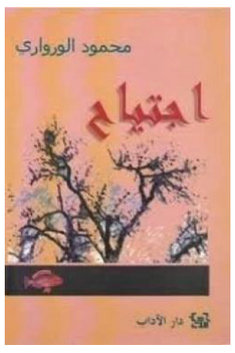

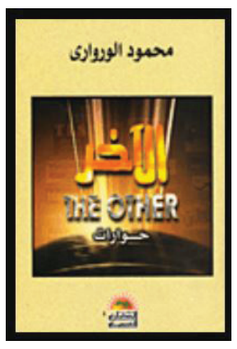

وحدى فى الجانب البحرى، وهو مجهود مرهق جدًا.

حدثت ثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣، ما أدى إلى حالة «الانكماش السلفى» التى نراها منذ ذلك التاريخ، وأصبح من الصعب جدًا أن تقابل أى قيادى منهم، بعد أن عادوا مرة أخرى إلى بيوتهم وبياتهم الشتوى والصيفى.

أصبح من الصعب أن تقوم بهذا العمل مرة أخرى، لأن الزمن لن يرجع، ولأن من تحدثوا لن يتحدثوا بتلك الطريقة من الأريحية والبساطة. هنا بدأت التفكير فى كتابة كتاب، لإعادة تقديم التوثيق المرئى فى توثيق مقروء، وكان ذلك أكثر إرهاقًا من العمل التوثيقى، حتى صدوره بعنوان «سلفيو مصر»، عن الدار المصرية اللبنانية.

■ كتابك «أهل العقل» الذى ناقشت فيه أزمة التخلف وقضايا الفكر الدينى والمذاهب المختلفة، كان فى الأصل برنامجًا مسموعًا على إذاعة «صوت العرب»، ومرئيًا على قناة «العربية».. ما الذى دعاك لتحويله لكتاب مقروء؟

– فى البداية سمعت حديثًا للرئيس عبدالفتاح السيسى يطالب فيه بتجديد الخطاب الدينى، وقبل ذلك كانت كل دعوات التجديد تخرج من الفقهاء والمشايخ وعلماء الأمة، ولم يكن مرحبًا بها من قبل الساسة.

رأيت أن هناك دائمًا عقلًا دينيًا وعقلًا سياسيًا، وغالبًا هما ليسا متوافقين إلا فى فكرة الفقيه والسلطان، يعنى السلطان يريد فقيهًا يؤدى أغراضه، والفقيه يريد سلطانًا يعطيه القوة.

لكن فى حالة الرئيس عبدالفتاح السيسى وجدته يؤكد للتنويرى الكبير الدكتور أحمد الطيب، شيخ الأزهر، أنه يريد تجديد الخطاب الدينى، ومن هنا تكونت لدى الخلفية الكبيرة المتعلقة بطبيعة العقل الدينى ومحطات الانحراف فى التفكير، من الدعوة إلى الدولة، ومن التفكير إلى التفجير، وغيرها من الانحرافات التى حصلت فى مسار تاريخ الأمة وكانت تستوجب وقفة، ولكن لم يحدث.

كل التيارات الدينية، من «الإخوان» حتى التيارات المتشددة التى جاءت بعدها، كانت تتم مواجهتها أمنيًا، وكان يوكل إلى وزارات الداخلية والأمن فى البلاد العربية مواجهة هذه التيارات، لكن لم تحدث مواجهتها بالفكر.

الأمن يواجه لكنه لا يغير فكرًا، وأنت تريد أن تكون مؤثرًا، فكان لا بد أن تغير الفكر، قبل أن تضطر إلى قطع يد «الداعشى» وهو يضع حزامًا ناسفًا فى وسطه، والذى من الممكن أن يفجر نفسه فيك، ويكون سعيدًا جدًا.

و«الداعشى»، أو غيره، كلها أسماء لا تختلف، لكن القواعد الفقهية التى استندوا عليها فى تنظيماتهم واحدة، لم يحدث أن فكر أحد فى تفكيكها، أو هناك قلة حاولت لكن الكتب وُضعت فى الأدراج، ولم تصل إلى الناس.

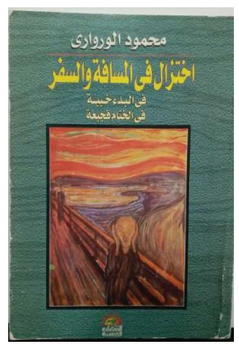

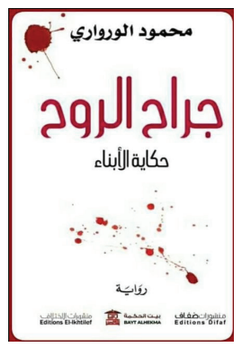

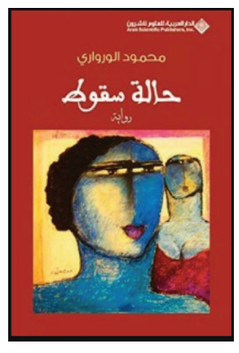

أنت لديك مشروع درامى أيضًا.. ما تفاصيله؟

- مشروعى الدرامى بدأته منذ عام 1994، فكنت وبعض أبناء جيلى نذهب ليوسف شاهين فى مكتبه، والرجل كان له تأثير كبير فى جيلى، ومن هنا بدأت أكتب، وكان المخرج الكبير يعمل على فيلم «المهاجر» حينها، ونخبره بأفكارنا ونسلم عليه وندعوه لمشاهدة مسرحياتنا، وكان يحضر.

كتبت فيلمًا سميته «ورد وبارود»، وعرضته على أحد الأصدقاء المخرجين، لكن لم يكتب له أن يتجسد سينمائيًا. والحقيقة أننى كتبت العديد من الأعمال الدرامية وغيرها، لكن لم يتجسد أحدها إلى الآن، كتبتها من واقع الدراسة، وهناك عمل درامى ضخم من 30 حلقة لم يكتب له أن يرى النور أيضًا، وهناك فيلم كتبته باسم «مدد»، لكنى حولته إلى رواية بعد ذلك، ولدىّ عدد من المسلسلات والأفلام الكوميدية، وانشغالى بالإعلام أبعدنى عن العمل فى هذا المجال.

محمود الوروارى

■ إذن كيف واصلت مشروعك «أهل العقل»؟

– كان علىّ أن أنفذ مشروعًا مهمًا يحتاج تنفيذه إلى دولة وليس فردًا، هذا المشروع استمر ٥ سنوات من البحث، وأعتقد أن وجهة نظرى كانت صحيحة فى طرحه. نحن لدينا مفكرون وتنويريون لكن لا يوجد عندنا تنوير، لدينا مفكرون لكن لا توجد حركة تفكير، هناك قطيعة ما بين الاثنين، ما بين التنويرى والتنوير، والمفكر والتفكير.

من هنا بدأت أبحث على مدار ٥ سنوات، كنت أسافر إلى دولتين كل شهر للقاء علماء الأمة فى كل المجالات فيهما، فى المسيحية، وفى المذهب الشيعى، وفى السنة، وفى التيار العلمانى، وفى التيار السلفى المتشدد، وغيرها من التيارات الأخرى.

بدأت مشروعًا جديدًا، بعدما قررت قناة «العربية» طرح برنامج اسمه «منارات» من تقديمى، هم قالوا لى «منارات»، لكن أنا أسميته «أهل العقل»، واحترامًا للقناة قدمناه باسم «منارات» على مدار ٥ سنوات وحتى ٢٠٢٠.

هذا البرنامج كان حواريًا عميقًا، بمعنى أنك لن تلتقى بشاعر أو كاتب، لكنك تلتقى بمفكرين إسلاميين، ومن العقل المسيحى والعقل الشيعى والعقل السنى والعلمانى والسلفى.

بدأت أطرح فكرة التجديد، ومعنى الفكرة ليس تجديد خطاب بقدر ما هو تجديد فكر وعقل، وبدأت هنا أستعيد فكرة الباحث الجزائرى محمد أركون فى نقد العقل الدينى، والمشاريع الكبرى مثل مشروع محمد عابد الجبرى فى «نقد العقل العربى»، وفى سلسلته «عن القرآن».

ذهبت إلى علماء الأمة مثل هشام جعيط وطه عبدالرحمن ومحمد سبيلة وحسن حنفى وجابر عصفور ومحمد الطالبى، وولد أباها وحمدا ولدتاه فى موريتانيا، وبدأت أطرق أبواب العلماء فى كل العالم الاسلامى والعربى.

لم أكن أذهب إليهم بأسئلة كثيرة، بالعكس هو سؤال واحد أو سؤالان أو ثلاثة لكل هؤلاء الناس، كنت أذهب لأتعلم. وليس لأحاور وأخرج بمعلومات، أنت أمام «جهابزة»، فيكفى أن تجلس أمامهم.

أريد أن أقول إن هذا كان صعبًا جدًا، لدرجة أن كثيرًا منهم أحب أولًا إجراء «إنترفيو» حتى يعرف هل سيكمل الموضوع أم لا، وأتصور أن الراحل العظيم المفكر المغاربى الكبير محمد سبيلة لم يكن يحب التليفزيون، لكنه أجرى هذا اللقاء، وكان أول وآخر لقاء له، وكذلك هشام جعيط، رحمه الله.

كل هؤلاء توفوا ولم يبق منهم إلا النذر البسيط، كلهم ماتوا، حسن حنفى، وسيد ياسين، وجابر عصفور، ومحمد الطالبى، وهشام جعيط، ومحمد سبيلة، كل الرواد رحلوا.

■ ما نوعية القضايا التى طرحتها فى هذا المشروع؟

– أكملت هذا المشروع فى نسختين، نسخة الأفراد ونسخة الموضوعات، وعملت على فكرة التوثيق، خاصة فى النسخة الثانية من البرنامج آخر عامين، وعملت على قضايا عكرت صفو العقل العربى، مثل «الصحوات» عام ١٩٧١، أو الأفكار التى انتشرت فى السعودية خلال الثمانينيات، وكذلك فكرة «ولاية الفقيه» فى العقل الشيعى، ورأيت إلى أى حد أسس العقل الأمريكى لفكرة الإرهاب.

■ طرحت قضايا «مصرية ابن خلدون» وليس «مغاربية ابن خلدون»، وقضايا أخرى فى إطار التوثيق والسينما التاريخية، فى التاريخ مثلًا عملت على مدار عامين بطريقة تشبه عمل الأفلام الوثائقية، وأنا أجيد فكرة التوثيق.

والحقيقة أنا درست صناعة هذه الأفلام دراسة جادة، فبعدما انتهيت من دراسة السياسة والاقتصاد درست فى أكاديمية الفنون، والمحصلة التى استخلصتها أننى وضعت يدى على العلة، لماذا تخلفنا؟ ولماذا تقدم الآخرون؟

– هذا نفس ما طرحه شكيب أرسلان، المفكر اللبنانى الكبير، الذى قدم كتاب «لماذا تخلفنا وتقدم الآخرون»، عام ١٩١٤، وهو كتاب مهم جدًا، لكنه لم يقدم إجابة حقيقية لتساؤلاته، لكن بعد هذه الجولة الممتدة له سنوات كاملة، تكونت لدىّ إجابات.

■ ما أبرز هذه الإجابات؟

– عرفت لماذا تأخرنا، عرفت العلة، عرفت فترة القطيعة ما بين التنوير والظلام الذى نعيشه حتى الآن فى فكرة العقل والفكر، وهذه الأمور كلها، والحقيقة أنه كان لا بد أن أكمل المشروع، فقدمته فى برنامج إذاعى فى «صوت العرب»، لاقى استحسانًا كبيرًا.

صورت ٣٠ حلقة للبحث عن إجابة سؤال واحد فقط «لماذا تخلفنا وتقدم الآخرون؟»، وأخذت أعبر المحطات فى مقارنة «كيف انتقل العالم الأوروبى من الظلام إلى النور»، بدءًا بالعقل الدينى انتقالًا إلى العقل الفكرى التفكيرى ثم العقل السياسى ثم العقل العلمى، وانتقالًا بما حدث فى أوروبا كلها، وبدأت من سنة ١٥٥٢ من مارتن لوثر كينج، صاحب العقل الدينى التفكيرى التصحيحى فى الكنيسة، ثم بحركة المفكرين، ثم بعد ذلك مرورًا بالشاعر الإيطالى دانتى وكتابه «الكوميديا الإلهية»، ثم الانتقال إلى العقل العلمى، ثم الدخول إلى الآلة البخارية والسيارة، ثم الثورة البريطانية عام ١٦٠٠، والثورة الفرنسية ١٧٠٠، ثم انتقلت إلى عام ١٧٨٢ حيث تأسست أمريكا.

رأيت الإصلاح يبدأ من العقل الدينى ويحدث مع حركة التفكير، والفيلسوف الألمانى هيجل والمفكرون الكبار بعد ذلك انتقلوا إلى العقل العلمى، وبعد العقل العلمى انتقلوا إلى العقل السياسى، ورأينا ذلك الحراك فى الثورة الأمريكية والفرنسية والبريطانية.

وبعد ذلك انطلقت فى طرح الموضوعات، وقارنت بين ما قدمته فى «صوت العرب» تحت عنوان «أهل العقل»، والجزء المرئى على قناة «العربية»، ورأيت أنه لا بد من جمع كل هذه المادة فى كتاب، فاتخذت الخطوة وسميت الكتاب «أهل العقل»، وأثنى على مقدمته كثير من مراكز الأبحاث الفكرية الفلسفية العميقة، مثل «مؤمنون بلا حدود» وغيرها من المراكز الكبرى.

وفى مقدمة الكتاب رصدت فكرة أننا أمة غير قابلة للتقدم والتفكير، ورصدت كيف تحدث المفكرون الكبار عن قضية الانغلاق، التى يستحيل معها أن يحدث تقدم. ولا بد أن أنوه إلى أن الكتاب صدر فى جزئه الأول عن الدار المصرية اللبنانية، تحت عنوان «أهل العقل»، وأنوى طرح جزء آخر منه.

■ ما كواليس كتابتك رواية «حالة سقوط»؟

– شهد عام ٢٠٠١ تدمير برجى مركز التجارة العالمى، وغزت أمريكا أفغانستان ثم العراق بعد ذلك، وقد سافرت كثيرًا لهذه المناطق، والمهم أننى سافرت كثيرًا لأفغانستان وأجريت الكثير من الوثائقيات، وكونت مصادر صحفية قوية وعلاقات بالذين يحكمون البلد فى هذا التوقيت.

«طالبان» كانت دولة تسيطر على أفغانستان وتحكمها منذ عام ١٩٩٦، وكان لها ممثل فى الأمم المتحدة، وكان على رأس حكومة «طالبان» الملا عمر، وكنت أعرف أصدقاءه جيدًا، وكانوا يسمحون للصحفيين بلقائهم.

وتحت ذريعة الأسلحة النووية بدأت الإرهاصات لغزو العراق، وذهب الدكتور هانز بليكس، مدير الوكالة الدولية للطاقة النووية، والدكتور محمد البرادعى، المسئول الأممى حينها، إلى العراق، وبدأت قدماى تعرف طريقهما إلى العراق، وقابلت «بليكس»، وأجريت معه حوارًا كبيرًا نشر فى كتاب آخر لى.

وقتها قال لى صراحة إنه لا توجد أسلحة نووية فى العراق، ولا مشروع نووى عند الرئيس العراقى صدام حسين، وكان هذا الأمر فقط حجة لاحتلال البلاد، لتسقط بغداد فى أبريل من عام ٢٠٠٣، ولم أفارق بغداد لحظة منذ السقوط الكبير، كنت أسافر وأرجع، ورأيت الكثير ووصلت إلى الكثير من المعلومات، ورأيت الموت بعينى، ومن هنا جاءتنى فكرة المشروع الروائى، وكان لا بد أن أوثق ما رأيت فى عمل روائى، لتخرج «حالة سقوط» إلى النور عام ٢٠٠٥.

وتدور أحداث الرواية حول أسرة عراقية، وكيف انعكس السقوط السياسى للنظام على السقوط الإنسانى فيها، وكيف كانت التفاصيل من الداخل، وكل ما قلته فى الرواية تحقق، ولم يكن نبوءة، ولكن صدقنى للأسف الشديد، نحن لم نكن أمام سقوط فردى لصدام حسين، لكن أمام حالات من السقوطات ستتوالى.

قلت إن مسبحة الحكام العرب انفرطت وستعقبها سقوطات كثيرة جدًا، وقلت إن معاهدة «سايكوس بيكو» التى كانت على الحدود ستتشكل فى المرحلة المقبلة داخل العقول، أى سيتم تقسيم المقسم وتقطيع المقطع، وهذا حدث ما بين الشيعة والسنة، ثم بدأ سقوط الحكام العرب منذ ٢٠١١.

والرواية ترصد حركة مجموعة من الأبطال.. مصرى ولبنانى وسورى وعراقى، وصنفت باعتبارها الرواية الوحيدة التى حركت أبطالها كلهم فى الجغرافيا الإيرانية. والجغرافيا الأفغانية. وهذه الرواية حظيت باهتمام كبير وكتبت بلغة صوفية شبيهة بلغة مولانا جلال الدين الرومى وشمس التبريزى، كان فيها لغة عالية جدًا، ومع ذلك حظيت بانتقادات كثيرة.

«الربيع العربى» حدث تاريخى مفصلى لا يقل عن الحربين العالميتين

«الحدث المصرى» أول «توك شو» سياسى مصرى على قناة عربية كبيرة

«الإخوان» جماعة مفضوحة.. ومن يحتاج لمشروع بحثى شامل هم السلفيون

صبحى موسى: هناك مثقفون رفضوا إزاحة الإخوان إلا بالديمقراطية وتناسوا أن «هتلر» جاء بالصندوق

يمتلك الروائى صبحى موسى أهم ميزة يحتاج إليها أى مبدع، وهى الاشتباك مع الواقع ومع قضاياه وتحليلها بل وتفكيكها بشكل يكسب الكتابة متعة فنية، ويعطيها أيضًا نفسًا واعيًا يمنح القارئ فهمًا للحياة وما يدور حوله من مجريات.

فى روايته الأحدث «كلاب تنبح خارج النافذة»، يعيد «موسى» تحليل وتفكيك ثورتى 25 يناير و30 يونيو، ولكن هذه المرة فيما يخص الندوب النفسية التى خلّفتاها على جدار أرواح أبطاله.

وتمثل الرواية نافذة لفهم الواقع الاجتماعى على إثر ثورتين مرت بهما مصر، وتداعياتهما على الحياة العامة والأحاسيس النفسية لأبطال العمل الذى يعتبرون انعكاسًا طبيعيًا لشخصيات تعيش فى المجتمع.

عن الرواية وما تحمله من أفكار ورؤى، وعن المشهد الثقافى المصرى بكل أحواله وأزماته، أجرت «حرف» مع صبحى موسى الحوار التالى.

نضال ممدوح

■ تبدو شديد التعاطف مع أبطال «كلاب تنبح خارج النافذة» وكأنك عرفتهم وعاشرتهم عن قرب.. هل هناك ملامح من هذه الشخصيات فى الواقع حرضتك لخلقها روائيًا؟

– ليس أمام الكاتب سوى أن يتعاطف مع شخوص أعماله كى يتفهم موقفهم، ويعرف الفلسفة التى يعمل من خلالها كل منهم، فالكاتب ليس آلة تسجل كل ما يدور أمامه، ولا أنه عاد لينتقم لكنه يشرح النماذج التى يتعامل معها، ساعيًا لفهم منطقها فى الحياة، ثم يضعها بجانب غيرها من الشخوص أو الحيوات الأخرى بفلسفاتها المختلفة، ومن خلال المفارقة والتباين ستصل الرسالة التى يريد أن يوصلها الكاتب، بعيدًا عن الخطابة والإنشاء، فهذا منطق الفن فى أى عمل.

أما عن شخوص «كلاب تنبح خارج النافذة» فهم مثل كل شخوص أعمالى الأخرى، بعضهم متخيل وبعضهم نبت من الواقع أو له ظلال فى الواقع، لكننى أفارق هذا الواقع وأكمل مسار الشخصية وفقًا لآليتى: التصعيد الدرامى، والتخييل الروائى الذى يقوم على توقع مصائر شخصيات بتلك الصفات التى تم الاتفاق ضمنيًا عليها، ومن ثم فنسبة الواقعى لا تتجاوز فى المجمل عشرة بالمائة، سواء بدأت هذه الشخوص من الواقع أو تم اختراعها اختراعًا، فما يعنينى فى الكتابة هو الفكرة التى أعمل عليها، والتى أسعى لإيجاد الشخوص الذين يمكنهم التعبير عنها.

■ أشرت فى الرواية إلى المتحولين/ الملتحقين بركب الإخوان عقب ٢٥ يناير ٢٠١١.. كيف تحول هؤلاء من النقيض إلى النقيض رغم إدراكهم التام طبيعة وتاريخ الجماعة الإرهابية؟

– للأسف حدث هذا بالفعل من قبل مثقفين عاديين وأحيانًا يساريين، فالبعض رأى أن هذه فرصتهم كى يكونوا رجال الدولة الجديدة بديلًا عن رجال دولة مبارك، فلكل دولة رجال، فلم لا يكونوا هم رجال هذه المرحلة، خاصة أن اليمين أو التيار الدينى بشكل عام لا يوجد لديه كتاب، وإن وجد فهم فى الأغلب الأعم ضعاف ومباشرون وأعمالهم مليئة بالخطب، وهؤلاء كانوا بعد ٢٥ يناير. لكن البعض الآخر، وهو أكثر شرفًا، اختلط عليه الأمر، فقد رأى أن هكذا تكون الديمقراطية. وما دامت الديمقراطية قد أتت بالإخوان فلا ينبغى الخروج عليهم إلا عبر نفس الطريقة، وهى الديمقراطية أو صناديق الانتخاب، وهؤلاء يمكن التعاطف مع موقفهم لأنهم لا يدركون أن «هتلر» أتى عبر صناديق الانتخاب أيضًا، أى أنه ليس شرطًا أن تأتى الديمقراطية بالأخيار، ولا بد من التدخل الحاسم للشعب كى يقطع الطريق على الديكتاتورية.

المشكلة الأكبر فى الذين تغير موقفهم بعد ذلك، وهؤلاء ليسوا إخوانًا ولا متعاطفين معهم، لكنهم لم يجدوا ما خرجوا من أجله.

■ يسأل بطلك فى «كلاب تنبح خارج النافذة» عن الجبهة التى كان يقف معها أمل دنقل/ المثقف.. لماذا الإصرار على أن تكون المعادلة حدية، إما مع أو ضد؟ وفى رأيك ما أسباب وقوف المثقف ضد السلطة الحاكمة حتى لو كانت تحقق المصالح العامة؟

– كان أمل دنقل يقول: «أيها الواقفون على حافة المذبحة، أشهروا الأسلحة»، وكان بطل الرواية يسأل نفسه عن أى أسلحة يقصد الشاعر أمل؟ هل يقصد الورقة والقلم أم الدبابات والمدرعات، وكأن السؤال بالأساس عن الاتجاه الذى يقف فيه الشاعر ويرى من خلاله المذبحة، فكلا الطرفين على الحافة، القاتل والمقتول على الحافة. والقاتل معه أدواته المعروفة، والمقتول ليس معه سوى الورقة والقلم، لكن أدوات القاتل تضيع وتنسى بعد فترة من الزمن، أما الورقة التى يكتبها المقتول فإنها تظل حية وقوية، بدليل أننا ما زلنا ننشد مع أمل «أيها الواقفون على حافة المذبحة، أشهروا الأسلحة».

أما حدية المسألة فهناك لحظات فى التاريخ لا يصح فيها اللون الرمادى، فتلك المواقف الباهتة لا يتخذها سوى الانتهازيين والجبناء، أما الشجعان خاصة فى أوقات المعارك الحاسمة، فإنهم لا يمكنهم أن يلونوا ضمائرهم ولا أن يقولوا إنهم لا يعرفون موقفهم.

يمكن القول إن المثقف لا يقف ضد السلطة، لكنه أيضًا ليس تابعًا لها. بمعنى أن تفكيره ورؤاه نابعة من تكوينه الثقافى الأوسع والأهم. وعادة ما يقولون: المثقف على يسار السلطة. أما الذين معها أو الموالون والمؤيدون لها فإنهم يجلسون على اليمين. ويسار السلطة ليس معناه الضد أو النقيض، ولكن معناه الاستقلال عنها. أى أن المثقف يقول رأيه بغض النظر عن إن كان متفقًا مع وجهة نظر السلطة أو مختلفًا عنها، وعلى السلطة أن تحترم ذلك، ولا تسعى لجعل كل الرؤى شبيهة لموقفها، فنفع المثقف دائمًا أكبر من ضرره.

■ البطل/ الكاتب فى نفس الرواية يتآفف من صداقة «رزق الله» رغم منادمته له فى البار، هل يفسر موقف الكاتب/ المثقف من مجتمعه وعزلته عنه تراجع دوره لصالح الجماعات المتشددة؟

– المثقف فى هذه الرواية شخصيتان أو وجهان بحكم المرض الذى يعانى منه، وهو تعدد الهويات التفارقى. ومن ثم فشخصية منهما تحب «رزق الله»، وهى صديق أثير له، وشخصية تتآفف منه وترى أنه ليس على دينها. وهنا أمر مهم، فغالبية المثقفين المصريين والعرب يعيشون هذه الأزمة من الازدواج والتناقض، هم ليبراليون وتنويريون فى جانب من تكوينهم، وهم سلفيون وتقليديون متشددون فى جانب آخر من هذا التكوين، وهذه المعركة لم تحسم بعد. والشاهد على ذلك أننا لو تركنا أحدهم يتحدث لمدة خمس دقائق سنجده يدعم أفكاره بالعديد من الأحاديث والآيات، وكأنه خطيب مسجد.

■ بعض وقائع الرواية يعاد إنتاجه سرديًا أكثر من مرة بطريقة المونتاج السينمائى.. هل وضحت لنا الأمر أكثر؟ وهل يمكن اعتبار ذلك نزالًا مع متلقيك؟ أم حيلة فنية؟

– لا يمكن لكاتب أن يدخل فى نزال مع متلقيه، لكن هناك مستويات من التلقى، وكل كاتب يضع فى تخطيطه أو فى اعتباره وهو يكتب عددًا من هذه المستويات، فهناك مستوى يحبه البسطاء الباحثون عن التسلية والتشويق، وهناك مستوى يبحث عنه القارئ المثقف الذى يريد أن يعمل ذهنه، ويشعر بالمتعة بأنه كاتب مشارك فى إنتاج النص من خلال تفكيكه وتركيبه وإعادة تأويله، وكل كاتب يسعى أن يشتمل عمله على كلا المستويين.

■ لماذا يغلب على أبطال روايتك العجز والتشوهات سواء نفسية أو جسدية؟

– أبطال روايتى تعرضوا لهزتين عنيفتين فى وقت قصير، ما أحدث لهم اضطرابات نفسية، وكان لا بد أن أبرز هذا الاضطراب، ومن الضرورى أن يظهر ذلك على الجسد، كى يراه الناس ويشعرون بمأساويته، فالجانب النفسى وحده قد لا يكون كافيًا. ومن ثم كان الجميع يعانون من أمراض إما نفسية أو جسدية، جميعهم كانوا يعانون من تشوه واضطراب. وغالبًا ما يقولون إن الثورة تأكل أبناءها، فما بالنا لو أننا أمام ثورتين وعشرات التوابع.

■ إعادة الحكاية بين «ثابت» والراوى تحيل إلى أكثر من سؤال: هل يمكن للروائى أن يكون مؤرخًا؟ وما رأيك فى الرواية التاريخية؟ وهل تسد الرواية التاريخية فراغ التأريخ للمهمشين ممن سقطوا من السرديات التاريخية الكبرى؟

– الرواية تتعرض لفكرة التأريخ بشكل واضح. فالأحداث يتم رصدها من خلال وجهات نظر شهود العيان أو المؤرخين، وكل يرى الأمور حسب موقعه أو مصلحته وتوجهه وتطلعاته وموقفه، ومن ثم ففكرة الحقيقة المطلقة مثالية مطلقة.

والرواية التاريخية عمل صعب، وليس بسهولة ما يقوله البعض عنها، أو حتى ما يتعامل البعض به معها، لكن الفارق بين التاريخ والرواية التاريخية أن الرواية تسد الثغرات التى لم يتعرض لها المؤرخون، وأنها تعيد إنتاج التاريخ ولكن من وجهة نظر الكاتب وموقفه، فضلًا عن زمنه وقضاياه، الأمر الذى يتعرض له المؤرخ أيضًا أثناء عمله، لكن المؤرخ ملتزم بوجود مصادر ومراجع لكل فكرة أو حدث، وتتوقف أهميته كمؤرخ على مدى تحققه من المصادر والمقارنة بينها، أما الروائى فإنه ملتزم بعدم مخالفة الثابت والمعروف من التاريخ، وله أن ينسج من خياله ما سكت عنه المؤرخون وفقًا لشروط ومنطق الأشخاص والفترة التى يكتب عنها.

> اليساريون سعوا بعد 25 يناير ليكونوا رجال الدولة الجديدة

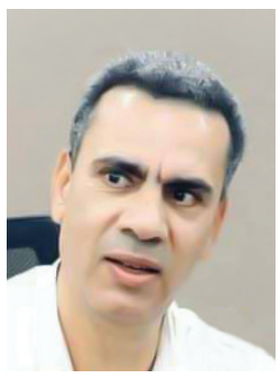

> يسار السلطة ليس معناه أن تكون ضدها أو نقيضها بل الاستقلال عنها

> الثورة تأكل أبناءها.. فما بالنا لو أننا أمام ثورتين؟

■ هل تراجعت الرواية المصرية أمام غيرها فى محيطها الإقليمى كما تذهب بعض الآراء؟ وهل للجوائز دور فى هذا؟

– تنتج مصر من الأعمال الروائية ما يوازى مجموع ما تنتجه كل المنطقة العربية مجتمعة، ولديها كتّاب يفوق تعدادهم تعداد كتاب المنطقة العربية تقريبًا، ولديها أجيال من هؤلاء الكتاب ليست موجودة فى أى مكان بالعالم العربى، ولديها تاريخ فى هذا الفن، وصراع حول التجديد والتجويد فيه لا يوجد إلا فى البلدان صاحبة براءة اختراع الفن الروائى.

لكن الحقيقة أيضًا أن الثقافة المصرية فى مأزق مرعب، فهى تعانى من هجمات متوالية من قبل المشرق والمغرب عليها، والكل بات لها كارهين، وصاروا يتطاولون عليها، وكلما سعى المثقفون المصريون إلى التباسط والمهادنة وجدوا تعاليًا غريبًا، ونكرانًا مدهشًا لتاريخها وتاريخهم، وكأن هذه هى الفرصة الأخيرة للآخرين كى يثبتوا جدارتهم للقيادة، ولن يحدث ذلك إلا بتهميشها وإزاحتها من طريقهم.

■ كيف ترى المشهد الثقافى المصرى الراهن؟

– كلمة المشهد الثقافى الراهن كلمة كبيرة ومتعددة، فهناك الراهن الروائى والشعرى والإعلامى والنقدى والفكرى، وهناك الندوات والمؤتمرات والأنشطة، وهناك المؤسسات والأفراد وهناك المسئولون والجمهور، وهناك دور النشر والمجلات والسلاسل والمواقع الإلكترونية، ومن ثم فمن الصعب الحديث عن كل هذا مرة واحدة، فكل منها يحتاج إلى وقفة طويلة وكبيرة، خاصة أننا نعيش فى عنق زجاجة منذ سنوات، وننتظر الخروج منه. بمعنى أنها مرحلة تداخلت فيها كل الأمور ما بين الجيد والسيئ، وأصبح الفرز فيها ضعيفًا، لكن فى العموم نحن الراهن الثقافى الأقوى والأهم فى المنطقة العربية ككل.

■ بعد اقتراح وزير الثقافة بعقد لقاءات مع أطياف الحقل الثقافى المصرى.. ما الذى تحتاجه الثقافة المصرية لتسترد ريادتها؟

– الثقافة المصرية تحتاج إلى خطة ثقافة جديدة تتوافق مع معطيات العصر وتحدياته، وهذا ما رصدته فى كتاب «تحولات الثقافة فى مصر».

■ متى يرضى المثقفون عن وزارتهم ويكفون عن الشكوى من نتائج الجوائز والنشر وغيره؟

– ليس من المطلوب أن يرضى المثقفون عن وزارة الثقافة، لكن المطلوب أن ترضى الوزارة عن المثقفين، وتبحث فى كيفية التواصل بينهم وبين الجمهور أو تسويقهم فى الخارج، فهذا هو دورها، لكنها فى الأغلب الأعم تعمل على نقيضه، ربما لضعف ثقافى لدى كثير من مسئوليها أو ضعف إدارى بها، وربما لرغبة فى أداء دور غير الذى يتوقعه المثقفون منها.

■ لماذا غاب تأثير النقد الأدبى مقارنة بحضوره فى السابق و«الستينيات مثالًا»؟ وهل تؤدى المراجعات الصحفية دور الناقد خاصة مع انتشار منصات عديدة ينشر الكل آراءه وقراءاته عليها؟

– النقد الأدبى لم يغب، لكن غابت الوسائط التى كانت تنقل للناس هذا النقد، فمثلًا كانت الجرائد توزع بالملايين، وكانت المجلات توزع بالآلاف، وكان من يكتبون عن الأعمال الأدبية هم النخبة والمختصون، لكن الآن تراجعت كل المجلات والجرائد، وما هو موجود منها لا يطبع سوى عدد ضئيل لا يراه أحد، ولم يعد أحد بالأساس يحرص على متابعته، فقد استحوذت وسائل التواصل الاجتماعى على اهتمام الجميع، وأصبح كل شخص على صفحته ومن خلال متابعيه هو الناقد والمفكر وموجه الرأى العام، ولم يعد لرأى ناقد كبير أهمية فى ظل صفحة «فيس» الكاتب أو الشاعر، فكل يروج لنفسه أو يجامل غيره على صفحاتهم من أجل أن يجاملوه على صفحته.

> الثقافة المصرية فى مأزق مرعب وتعانى من هجمات من المشرق والمغرب

> نعيش مرحلة تداخل فيها الجيد بالسيئ وأصبح الفرز فيها ضعيفًا

> الرواية التاريخية تسد الثغرات التى لم يتعرض لها المؤرخون

جمال الجمل

الآن، و«الهبد» يركب الأمواج فى ابتهاج، لماذا أنزل إلى سراديب التاريخ المخفية لأفتش عن حكمة ضائعة فى سيرة فولتير؟
ماذا يهم الصاخبين فى العظات الهادئة؟
وماذا يفيد الجياع إذا علموا أن فولتير كان يقشر البرتقال للملوك، أو أنه هو نفسه كان «برتقالة» يعصرها الملوك للتمتع بقلبها، ثم يلقون بالقشر فى النفايات؟
فى المقال السابق استدرجنى الحنين للحكى عن «إبراهيم أصلان»، فكثيرًا ما أسمع صوته فى رأسى.. تعليقاته القصيرة المباغتة.. ضحكاته التى تجمع بين الخجل والفخامة..
ملاحظاته التى تحيل الحاضر إلى موسوعة فنية وأدبية ذات دلالات، لا يفهمها إلا من قرأ: «فاكر نفسه شاجال»، «حافظ قاموس اللجاجة واللواعج واللجالج»، «كلام ع الشعرة زى شغل جياكوميتى»، «لابس نضارة تشيكوف»... إلخ.

محمد حسنين هيكل

أنور السادات

سعيد الكفراوى

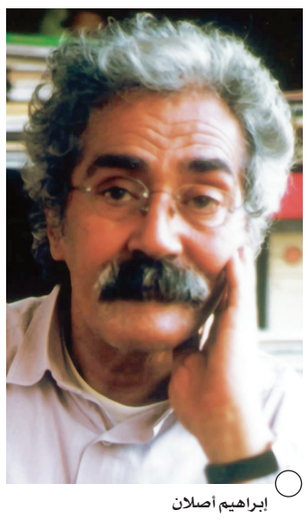

إبراهيم أصلان

فولتير
مدخل جديد لفهم أسطورة التنوير

لم يكن فولتير حيًا فى حديقة الذكريات بينى وبين أصلان، فما الذى فرضه لكى أتورط فى وعد بكتابة مقال عن رجل لا أحبه شخصًا ولا مثقفًا؟!
انشغالى طيلة الأسبوع بمعضلة فولتير، سحبتنى إلى الدوامة التى لا ينجو من شرها أحد..

الحياة

نعم.. الحياة هى الورطة التى يستحيل التخلص منها وأنت فيها، فقد سمعت وقرأت عن كثيرين نجوا من الموت، وما زلت أنتظر أن أسمع «أو أقرأ» عن شخص ما، نجا من الحياة!
مشكلة فولتير أنه توهم أنه سيكون أول الناجين من الحياة، وفى سبيل ذلك سلك المسالك التى سلكها قبله سيزيف، لعله ينجح بالحيلة فى التحايل على الملوك والآلهة، التى جربها بعده كثيرون تنوعوا بين الفرسان «على طريقة السيد كيخوتة» وبين عبيد القصور ومهرجى البلاط وأراجوزات الشوارع والمسارح.
وفى النهاية لا يبقى إلا «العرض»، بكل ما يثيره من ذكريات وضحكات وتصديق للخيال والأكاذيب، حتى إن «الحياة» نفسها تتأثر بتلك الخيالات والأكاذيب، وتنسى حقيقتها وتصدق ما يروجه البهلوانات طوال القامة من أصحاب السيقان الخشبية، الذين يستدرجون الزبائن إلى علبة السيرك، وفى الداخل» نعصرهم، ثم نلقى بالقشر إلى الخارج!

هل نستطيع الحكم على الطين باعتباره «مدنسًا مطلقًا» أو «مقدسًا مطلقًا»؟

«فلسفة غامضة وثقيلة الدم.. أين الموضوع؟»
أسمع بوضوح صوت قارئ عملى يؤمن بمبدأ «الفعل الأقل» فلا يعجبه هذا المدخل التهويمى.. أنا أيضا لا يعجبنى المدخل، ولا يعجبنى ما دفعنى إليه، وربما أيضًا ما ينتج عن السير فيه، لكنها الحياة «التى لا ينجو منها أحد»، فكيف أنجو؟
إذن، لا بد أن أمضى، لا بد من الرحلة وإن لم تعجبنا.

لاحظت فى رحلتى مع الحياة أننى عشت عمرى كله كطفل لاه، تدهشنى المنجزات والمعجزات والفتارين المبهرة والعناوين المضيئة وضجة الاحتفال بثوب الإمبراطور الذى لم أره، وعشتها أيضًا ككهل حكيم علمته التجارب أن الحياة سلسلة عظيمة من الأخطاء والخلط فى الرؤيا وفى الأحكام وتعدد وجهات النظر والتفسيرات المتعددة للشىء الواحد..!
المدهش أكثر أن الطفل والكهل ظلا نصفين لكائن واحد هو أنا، وهو أنت، وهو فولتير، وهو يوسف إدريس ونجم وموسى وعيسى وأديب.. وهو الحياة نفسها..!

كان القاص الراحل سعيد الكفراوى ينتقد سلوكى المتعفف فى العمل وفى الحياة، فيقول للأصدقاء المشتركين: «جمال بوريتانى والمرحلة مش عاوزه كده».
كنت أكتب مع الكفراوى لما كان مسئولًا عن الرسالة الثقافية لصحيفة «الشرق الأوسط»، كان أصلان حاضرًا فاحتد فى النقاش على غير عادته، وقال قبل أن يقوم ويمشى: «عموما أنا أولى بجمال.. إحنا بوريتانيين زى بعض»، وتزاملنا فى العمل، وفى «الحياة».
كانت معرفتى الأولى بأصلان من خلال حوار أجراه معه أديب يوقع باسم مستعار «سارة» فى مجلة «الدوحة» الثقافية عندما كان رجاء النقاش رئيس تحريرها، وفى الحوار ذكر أصلان وصية قالها له الشاعر العراقى عبدالوهاب البياتى خوفًا عليه من خطر الحياة: «يا إبراهيم خلِّ مسافة بينك وبين الواقع حتى لا ينكسر قلبك».
سكنتنى الوصية كأنها لى، وكنت أخطئ كثيرًا وأنسبها لغالب هلسًا بدلًا من البياتى، ولما تعمقت صداقتى بأصلان، اتسعت دوائر الدهشة، خاصة عندما كنت أنزل معه إلى حوارى إمبابة وأشاهد تعامله مع الميكانيكى وناظر مدرسة شادى، وباعة الرصيف: كيف يجتمع هذا الرجل الشعبى البسيط، مع الرجل الذى كان يحدثنى منذ قليل فى مضمون كتاب «العبودية الطوعية» والفروق الدقيقة بين نظرة تشيكوف وجوركى للحياة!
قادتنى مفارقة أصلان إلى ما أسميته فى البداية «نظرية الوحل»، ثم هذبت المصطلح إلى «عقيدة الطين»، والقصد أن هناك أشياء ننفر منها لأنها تؤدى إلى «الاتساخ»، لكن هذه الأشياء نفسها تؤدى إلى الخير والنماء وأمان الإنسان، فالطين يلوث، والطين هو البيئة التى تنبت لنا القمح والورود وتشيد لنا بيوتا نحتمى بها.
العبرة إذن ليست بالحكم على الأشياء، العبرة بطريقة استخدامها والغرض من هذا الاستخدام.. من هذه النظرية أستطيع الكتابة عن حالة فولتير وسلالته، من غير أن أتورط فى هجاء الطين، لأننا منه وإن نسينا.. وهكذا الحياة!

عندما كنا طلابًا حالمين نناضل فى الجامعة بداية الثمانينيات، كنا نختلف فى النقاش حول هيكل، وفى مقابل انبهار و«تقديس» زملاء ناصريين كثيرين بقيمة هيكل كرفيق لعبدالناصر، كنت أنظر إليه كـ«مثقف سلطة»، وأشير إلى تحالفه مع السادات لتمكين حكمه عن طريق الإطاحة برجال سلفه، وكان هيكل يجاهر بموقفه العقيدى الثابت بأنه «مع الشرعية»، أيا كان شخص الرئيس، فمصر لا تحتمل الخروج عن مسار الشرعية لأى أسباب، وتمسك هيكل برأيه عندما ظهرت ملامح انقلاب السادات على سياسات سلفه، لكن الموقف تغير رويدًا رويدًا، مع انقلاب السادات على هيكل نفسه وإقالته من «مقر سلطته المعنوية» فى مؤسسة الأهرام.
كان لدى تعبير متحفظ وغامض بعض الشىء نصه: «هيكل آخر الفلاتير العظام».
«الفلاتير» نسبة إلى «فولتير»، و«العظام» لكى أنبه إلى استمرار «النموذج الفولتيرى» فى تعامل المثقف مع السلطة، من خلال شخصيات أقل إبداعًا وتأثيرًا، ليبقى السؤال ممتدًا وباحثًا عن إجابات:
هل يستوى هيكل وأنيس منصور وسمير رجب ومصطفى الفقى ومصطفى بكرى؟
هل نستطيع الحكم على الطين باعتباره «مدنسًا مطلقًا» أو «مقدسًا مطلقًا»؟
العدل يقتضى أن نتعامل مع الشخص والرسالة معًا، مع الوسيلة والغاية معًا، ومن هنا تأتى أهمية استعادة حكاية فولتير.

لا يوجد شخص مولود على هذه الأرض اسمه «فولتير»، «فولتير» شخص اعتبارى، مهنة احترفها شاب فرنسى فى بدايات القرن الثامن عشر اسمه فرانس أوروبه، أراد والده «كاتب المحكمة» أن يشجع ابنه على دراسة القانون والارتقاء فى هذا المجال الذى يهيئ الفرص للعاملين فيه للاقتراب من الطبقة الحاكمة وبيوت الارستقراطية، لكن الولد أصابته غواية الصحافة، وأدركته «حرفة الأدب»، فترك دراسته بدون علم والده، وبدأ يكتب أشعار الهجاء والمقاطع الساخرة، وزينت له حياته البوهيمية أن يتطاول فى شعره على «وصى العرش» ساخرًا فى قصيدة له من علاقة مشينة للأمير مع شقيقته، وزجت القصيدة بشاعرها فى السجن، حيث اخترع فرانسوا شخصية فولتير، وحمل الاسم الذى التصق به بقية العمر.
فى تلك الفترة الانتقالية الصاخبة والمزدحمة بالتناقضات، كان اختراع «جوتنبرج» للمطبعة فى قرن سابق قد نما وأثمر، وأدى إلى ثورة فى وسائل الاتصال مع الجماهير «لاحظ ثورة السوشيال ميديا الآن»، فقد انتعشت طباعة الكتب والمنشورات الإخبارية، وظهرت صناعة الصحف بكل ما تؤدى إليه هذه الأوراق من رغبة فى الربح والبحث عن قضايا وموضوعات وفضائح تثير شهية القراء على شراء المنتج الجديد وملء وقتهم بالتسلية وعقولهم بالأفكار والإيحاءات والتوجهات الجديدة، وفى القلب من هذه الأفكار كانت فكرة «شكل الحكم»، فالملوك فى غالبهم كانوا يشجعون سرًا «وأحيانًا علنًا» الهجوم على «سلطة الكنيسة» ووصمها بالتخلف والخرافة والاستبداد، وبالتالى وجد الصحفيون والكتاب وفنانو المسرح والقساوسة المتمردون والمنشقون، وأصحاب الاتجاهات الجديدة «سوقًا رائجة»، و«دعمًا متنوعًا» لتقديم خدماتهم فى هذه المعركة «حمالة الأوجه»، لذلك لما شعر فولتير بالحصار والمطاردة وانقطاع الرزق فى فرنسا، نزح إلى إنجلترا، ليقدم خدمات المديح للنظام الانجليزى باعتباره أكثر انفتاحًا وتقدمًا من النظام الفرنسى، وفى كل انقضاض وهجوم يشنه فولتير على سلطة مدنية أو دينية، كان يرتكب فى الوقت نفسه سلوكًا نقيضًا فى الانتماء إلى سلطة أخرى تحميه وتنفق على مشروعاته، بحيث عاش طول الوقت فى الخطر وفى المنافى، وكذلك فى الحماية والخدمة والشهرة والثراء العظيم.
فى تلك الأيام التى شاع تسميتها بعد ذلك بعصر الأنوار، أو فترة التنوير الأوروبى، سادت كل ملامح مراحل الانتقال.. سلطات تزول وسلطات تقوم، دول تتفكك ودول تنهض، جديد يكتسح القديم فى طريقه، أدوات حديثة انتجها العلم تغير معادلات القوة والتأثير، فالقوة لم تعد حكرًا على حاملى السيوف والصولجانات، باتت متاحة لحامل القلم والمشخصاتى ومالك الصحيفة، و«قارئها أحيانًا»، فقد ظهرت مهنة «قارئ الصحف» للأثرياء ومن يجهلون القراءة..
زخم هائل وتناقضات متفاعلة تشبه التفاعلات الحيوية الخصبة فى طين زاد عليه السبخ ودود الأرض، فأصبح بيئة عفنة كريهة الرائحة للإنسان العادى، وتربة خصبة يختبئ فى سرها الخير للزارع والعالم والباحث عن الخير.
فى تلك الأجواء الصاخبة شاع صيت ملك جديد عظيم فى دولة ناشئة تدعى بروسيا «جزء من ألمانيا الآن»، كان «فريدريك الثانى» محاربًا عظيمًا أسس جيشًا قويًا وانتصر فى معارك حربية أمنت له الاستقرار والثروة الضخمة، وأتاحت له حلم تأسيس إمبراطورية حضارية متقدمة، فقد كان على المستوى الشخصى يعزف الموسيقى ويكتب الشعر، ويشجع العلم والفكر الجديد، وشيد قصرًا فى ضواحى عاصمته ليكون صالونًا للنقاش المنفتح وملتقى يجمع فيه المتميزين من رجال العلم والأدب من كل أنحاء العالم، وأطلق فريدريك أعوانه لإغواء العلماء والأطباء والمخترعين والشعراء المتميزين بالإقامة والعمل فى بروسيا، وبدأت ماكينة فريدريك تعمل بكفاءة، ووصل العرض إلى فولتير: قصر للإقامة وراتب سنوى خيالى وتكريم كبير من الملك قلاع عمل بسيط يتمثل فى حضور صالون الملك وتصحيح اللغة الفرنسية التى يكتب بها الملك أشعاره ومؤلفاته العسكرية والتاريخية، وأتوقف هنا فى جملة اعتراضية سريعة لأعبر عن دهشتى من احتقار الملك للغة بلاده، وغرامه باللغة الفرنسية الذى تعلم فى مدارسها طفلًا، ما يلقى أمامنا بخطر تدريس اللغات وفرنجة عناوين المحال والشركات وأسماء المنتجات فى بلاد صار العرب ينظرون فيها إلى اللغة العربية، كما نظر الملك البروسى إلى اللغة الألمانية، لغة متخلفة جامدة عاجزة عن التعبير!
نقفز إلى لحظة قبول فولتير العمل فى بلاط فريدريك، والاستقبال الحافل الذى قوبل به من «الملك الفيلسوف» (حسب تعبير فولتير)، وكان البلاط وقصر الأحلام فى «بوتسدام» (عاصمة موازية تشبه عندنا الآن شرم الشيخ أو دبى أو نيوم) يعج بأسماء كبيرة من علماء وأطباء وشعراء وموسيقيى العالم خاصة من فرنسا تلتها إيطاليا فى العدد والتأثير.
وقيل ما قيل عن عظمة فولتير وتقدير الملك له، ومعاملته كأهم شخص فى البلاط بعد الملك، حتى إنه يسبق الأمراء وشقيقات الملك فى حفلات العشاء وسهرات الفكر، وبرغم كل ذلك فوجئ فولتير ذات مساء بمعلومة أذهلته أخبره بها الطبيب الفرنسى الشهير «جوليان دو لا ميترى»، وكان مقربًا من فولتير ويزوره كثيرًا فى جناح إقامته بالقصر، وأترك فولتير يحكى لكم القصة كما دونها بنفسه فى أكثر من مصدر:
«كان لا ميترى السمين والمهمل، حكيمًا فى مهنته كطبيب، لكنه أحمق قليلًا فى كل شىء آخر، ولم يكن سعيدًا كما يتعمد الظهور أمام الجميع، لأنه كان يشعر بالحنين إلى وطنه، كما هى حال الفرنسيين عندما يغتربون؛ خاصة أن لا ميترى نُفى بسبب اعتناقه للمادية والقول إن الإنسان مجرد آلة مثل كل الآلات، هذا الرجل المرح الذى يضحك على كل شىء، يبكى أحيانًا مثل طفل، لأنه مغترب، لكنه فى تلك الليلة فى الأسبوع الأخير من أغسطس ١٧٥١ أخبرنى «لا ميترى» بالمعلومة التى أذهلتنى وأدارت رأسى، كان لاميترى يعمل قارئًا ومحدثًا للملك، وبعد انتهاء الوقت المخصص للقراءة دار الحديث عنى وعن المكسب من وجودى، وكذلك عن مشاكل الغيرة التى تزداد بسبب تفضيلى على الآخرين، فقال الملك: «سأحتاج إليه لمدة عام آخر على الأكثر، نعصر البرتقالة ثم نرمى القشرة».
أصيب فولتير بذهول مصحوب بمزيج من الغيظ والخوف، وبدأت تنتابه كوابيس فى المنام واليقظة، تدور كلها حول قشر البرتقال.
وفى المقال المقبل، قد نكمل القصة لنتعرف على «طينة التنوير» وتنويعاتها وتناقضاتها، وقد نترك الخط المستقيم وندور فى الدائرة، وفى الحالين الخلاف ليس كبيرًا.

أصيب فولتير بذهول مصحوب بمزيج من الغيظ والخوف وبدأت تنتابه كوابيس فى المنام واليقظة تدور كلها حول قشر البرتقال

جارى سنايدر

الشَّاعر الأمريكى الذى فتنته الثقافة اليابانية والصينية

تسلَّقَ جبل هود أكثر من أربعين مرَّة
ذهب إلى العمل فى الجبال صيف عام ١٩٥٥ فى خدمة الحدائق الوطنية
نقَّبَ عن الآثار.. وقصائده تتسم بالغرابة
عمل مراقبًا للحرائق وأقام فى اليابان عشر سنوات
لديه ديوان شعر ظل يراجعه مدة أربعين عامًا
أوجد نوعًا جديدًا من الشِّعر
«إذا أردنا أن نُعيد الشَّرق إلى مَنزلته الأولى من التقدُّم وَجَبَ علينا أن نقتبس من الغرب كل جديد يجمل به، ونَبذ كُلّ قديم رثّ بالٍ عَفاه الدهر وقَتلته العُصور، فإنّ الحياة كون خاضع لِناموس التَّغيير والتَّجدُّد، ولا يخلق بِهما أبدًا الرفو والترقيع».
عبدالعزيز الثعالبي «١٨٧٦-١٩٤٤»
صاحب الرُّوح الوثَّابة من يستطيع أن يُجدِّد ويخلق ويُبدع وينتقل من حال إلى حال، هو من لديه القُدرة على حمل العالم على كتفيه بجرأة من دون خوف من فشلٍ أو تغيير.

د. سارة حامد حوَّاس

الشَّاعر المُجدِّد إضافة إلى مجتمعه الأدبى والثقافي، ينتفع منه محيطه والعالم، هو من يسلك طُرقًا لم يسلكها أحدٌ قبله، من يبحث عن الجديد والتجديد، من يحول الحُزن إلى فرح، والاكتئاب إلى النشوة والشغف، والإحباط إلى الإنجاز والإقبال على الحياة.

هو أيضًا من لديه القدرة على تعلُّم الجديد وتقديمه بشتَّى الصور. إنَّه الشَّاعر الأمريكى جارى سنايدر الذى يعتقد الكثيرون أنه بالأساس كاتبٌ من جيل البيت Beat Generation أو عضوٌ فى نهضة سان فرانسيسكو. و«جيل البيت» هم مجموعة من الكتَّاب والشعراء ظهرت فى الخمسينيات من القرن العشرين لرفض الشكلية الأدبية والثقافة الأمريكية المبنية على الرَّأسمالية والمادية ومن مؤسسى تلك المجموعة شعراء من الولايات المتحدة الأمريكية: آلن جينسبرج Allen Ginsberg «١٩٢٦-١٩٩٧» وجون كيروك Jack Kerouac «١٩٢٢-١٩٦٩» وجارى سنايدر Gary Snyder «١٩٣٠» وجريجورى كورسو Gregory Corso «١٩٣٠-٢٠٠١» ولورنس فيرلينجيتى Lawrence Ferlinghetti «١٩١٩-٢٠٢١» وآخرين.

كان جارى سنايدر فى بدايته المهنية مُرتبطًا بشكل وثيق بتلك المجموعة من الشعراء، ولكن كتاباته كانت أكثر نتاجًا لمنطقة الشمال الغربى وبالأخص ولاية أوريجون.

وُلد سنايدر فى ولاية سان فرانسيسكو عام ١٩٣٠. انتقل والداه عندما كان عمره عامين إلى منطقة ريفية بالقرب من شمال بحيرة واشنطن وتطلَّقا بعد ذلك، وانتقل سنايدر مع والدته إلى بورتلاند حيث التحق بمدرسة لينكولن الثانوية. كان مُهتمًا بالصحافة والتمثيل وبخاصة الجبال. انضم إلى نادى التسلُّق الجبلى «مازاماس» Mazamas وقرأ بنهم وشغف كبيرين فى مكتبته، وبخروجه من المدرسة الثانوية كان قد تسلق جبل هود أكثر من أربعين مرَّة ونشر مقاله الأول فى مجلة النادى الجبلى مازاماس «Mazamas» وكتب فى كتابه «الجبال والأنهار بلا نهاية» Mountains and Rivers Without End: «ذلك المكان من الصَّخر والسماء غيرنى إلى الأبد».

فى عام ١٩٥١ درس سنايدر اللغويات الأنثروبولوچية فى جامعة إنديانا

منحةٌ إلى كلية ريد فى عام ١٩٤٧ قد غيرت حياة سنايدر كثيرا وتحت إشراف الخطَّاط والأكاديمى الأمريكى بكلية ريد لويد رينولدز Lloyd Reynolds وغيره من المعلمين فى ريد، أصبح منبهرًا بالثقافة الآسيوية والشعوب الأصلية فدراساته جعلته يتعرف بالمناظرالطبيعية فى موريس جريفز وصور الطبيعة فى اللوحات الصينية، فكان عنوان أطروحته للبكالوريوس «الرَّجل الذى صاد الطُّيور فى قرية أبيه: أبعاد أسطورة هايدا».

وأسطورة هايدا Haida Myth هى ديانة أصلية يمكن وصفها بأنها دين الطبيعة حيث تعتمد على العالم الطبيعى والأنماط الموسمية والأحداث والأشياء والأسئلة التى تدور حولها يقدم لها مجمع الهايدا تفسيرات، كما تركز هذه الأسطورة على قوة الترابط بين جميع الكائنات الحية وعلى فكرة أن البشر والحيوانات والكائنات الخارقة للطبيعة جميعها جزء من عالم واحد مترابط.

لم تكن كلية ريد وتسلق الجبال هما الأساسان فقط فى تعليم سنايدر فى المنطقة الشمالية الغربية من الولايات المتحدة الأمريكية، ففى فصول الصيف، كان يعمل فى خدمة الحدائق الوطنية فى معكسر عند بحيرة سبيريت كما أنه نقَّب عن الآثار فى فورت ڤانكوفر وعمل بوصفه مراقبا للحرائق فى شمال كاسكيدز لمدة صيفين ولذلك فأساس اهتمامه فى مرحلة الشباب كان فى الثقافات الآسيوية والأصلية الأمريكية والجبال والغابات كأنه وُلد بكل تلك الأشياء أى فى تكوينه العقلى والمعرفى والقلبى.

وفى عام ١٩٥١، درس اللغويات الأنثروبولوچية فى جامعة إنديانا، ولكنه قرر أن يبدأ فى الكتابة لذلك عاد إلى السَّاحل الغربى بعد فصل دراسى واحد. وسجَّل بعد ذلك فى برنامج اللغات الآسيوية بجامعة كاليفورنيا ليتعلم اللغتين الصينية واليابانية وبدأ فى نشر قصائده فى المجلات الأدبية، وفى عام ١٩٥٥ قرأ قصيدة «وليمة التوت» فى القراءة الشهيرة لستة شعراء فى سيكس جاليرى وكان من الحاضرين الشعراء الأمريكيون: چاك كيرواك وروبرت فيرلينجتينى وقرأ الشاعر آلن جينسبيرج قصيدته «عواء» لأول مرة وكثيرين قالوا إن هذا الحدث كان بداية عصر النهضة فى سان فرانسيسكو.

سافر سنايدر بعد ذلك إلى كيوتو باليابان فى عام ١٩٥٦ لدراسة بوذية الزن Zen Buddhism وعمل مع رائدة البوذية الأمريكية روث فولرساساكى.

بوذية الزن هى مدرسة من مدارس ماهايانا البوذية التى نشأت فى الصين خلال عهد أسرة تانج باسم مدرسة تشان «مدرسة التأمل أو مدرسة العقل»، وتطورت فيما بعد إلى مدارس فرعية مختلفة ومن الصين انتشرت تشان جنوبًا إلى فيتنام، وأصبحت ثين الفيتنامية ومن الشمال الشرقى إلى كوريا لتصبح بوذية سيون وشرقًا إلى اليابان لتصبح زن اليابانية.

خلال إقامة سنايدر باليابان، عاد إلى الولايات المتحدة الأمريكية لنشر ديوانه «قصائد الركام الصخرى والجبال الباردة» فى عام ١٩٥٩ وديوانه «أساطير ونصوص» فى عام ١٩٦٠، لكنه رجع نهائيًا إلى الولايات المتحدة الأمريكية فى عام ١٩٧٠ وبنى منزلًا اسمه «كيتكيديزى» عند جبال سييرا نيفادا.

انتقل سنايدر من الشهرة الإقليمية إلى الشهرة الوطنية عقب فوزه بجائزة البوليتزر عن ديوانه: «جزيرة السلحفاة» Turtle Island فى عام ١٩٧٤، أما عن كتابه التالى «مقابض الفأس» Axe Handles الذى نشر فى عام ١٩٨٤ فكان الكتاب الأكثر مبيعًا. بعد ذلك نشر سنايدر العديد من الأعمال الأخرى (معظمها نثرية) وألقى العديد من المحاضرات ودرَّس الكتابة الإبداعية فى جامعة كاليفورنيا بديفيس وانتخب عضوًا فى الأكاديمية الأمريكية للفنون والآداب فى عام ١٩٨٧ وفى عام ١٩٩٦ صدرت له مجموعة شعرية باسم «الجبال والأنهار بلا نهاية» Mountains and Rivers Without End والتى ظل يراجعها مدة أربعين عامًا، كما حصد جائزة بوليتج فى الشعر فى عام ١٩٩٧، كما أنه يعمل بوصفه أستاذًا جامعيًا فى اللغة الإنجليزية ويعيش الآن عند جبال سييرا نيفادا.

ظل جارى سنايدر مُتأثرًا برحلاته حتى أن استعارة الرحلة ظهرت كثيرًا فى قصائده وتأثر أيضا بحبه للطبيعة وإيمانه بأن البشر فى ترابط وتوحُّد مع الطبيعة والكائنات الحية بمختلف أنواعها ولكنه على عكس الشعراء الرومانسيين الذين استخدموا الطبيعة لتعكس مشاعرهم الداخلية، لم يستخدم سنايدر الطبيعة فى قصائده ليعبر عن ذاته ومشاعره الخاصه، بل قدَّر أهمية الطبيعة ومدى غرابتها وسكينتها وتأثيرها علينا كمكوِّن أساسى فى الحياة.

أهم ما يميز شعر سنايدر هو استخدامه للغة التجريبية وأسلوب المحادثة وفواصل الأسطر غير التقليدية واستخدامه الكثير للحوارات، أى أنك تشعر كأنه يحاور شخصًا ما داخل قصيدته، وهنا يشبه الشاعر الأمريكى چيمس رايت أى أنهما يعتمدان على تداخل الأصوات فى قصائدهما، كما أن التناقض بين المناظر الطبيعية الأمريكية وبخاصة فى شمال غرب المحيط الهادى والإشارات والصور الشرقية جعل شعر سنايدر مميزًا وقويًا، كما تشابه سنايدر أيضا مع چيمس رايت وغيره من الشُّعراء الأمريكيين كروبرت بلاى ودابليو إسموروين W.S.Merwin (١٩١٧-٢٠١٩) فى اللجوء إلى الطبيعة كدواء لمشكلات الحداثة والحضارة الصناعية.

فتحدثت الكثير من قصائده عن شمال غرب المحيط الهادى كهروب من العالم الحديث الذى يتسم بالإيقاع السريع والجفاف والتكلف فكان سنايدر يؤثِر البساطة عن التكلُّف والطبيعة عن الصناعة والأعمال اليدوية عن المُصنَّعة آليًا، كل ما هو طبيعى وأصيل يلفت انتباهه كأنه ابن الأرض.

يعتبر سنايدر الطقوس والعادات الخاصة بالسكَّان الأصليين فى أمريكا والبوذية القديمة نموذجًا لتعلُّم الحكمة، كما يؤمن بأن الطبيعة والتأمل نافذتان إلى الذات، كما أن حب سنايدر للطبيعة والحرية والانطلاق والسفر جعله يكتب الشعر الحر البعيد عن التكلف والزخرفة والصور البلاغية والتعقيد، فروحه تشبه قصيدته فى الحرية والانطلاق والأصاله كما أن حبه للطبيعة جعله يزرع خضرواته بنفسه، ويقطع الأخشاب، كما أنه يهوى الصيد واستقل تماما عن الحضارة الحديثة بتعقيداتها وتكلفها.

إقامة سنايدر فى اليابان مدة عشر سنوات أفادته كثيرًا فى الترجمة، حيث ترجم العديد من الأعمال الشعرية اليابانية القديمة والحديثة.

وفى كتاب «الشعر الأمريكى فى القرن العشرين» لاحظ الشاعر الأمريكى كينيث ريكسروث Kenneth Rexroth (١٩٠٥-١٩٨٢) أنه على الرغم من أن سنايدر قدَّم «أخلاقيات جديدة وجماليات جديدة وأسلوب حياة جديد» فإنه فنىٌّ محترفٌ أيضا تعلم من شعر العالم وطور أسلوبًا راسخًا مرنًا وقادرًا على التعامل مع أى مادة يرغب فيها.

كما تحدث عنه الكاتب الأمريكى تشارلز ألتيرى Charles Altieri (١٩٤٢) فى كتاب «توسيع المعبد: اتجاهات جديدة فى الشعر الأمريكى خلال فترة ١٩٦٠» وقال: «إن إنجاز سنايدر كبير من الناحية الجمالية ووفقا لمعايير الدقة والذكاء والخيال والعمق» يعتبر من بين أفضل الشعراء فى جيله لذلك «نجح فى تقديم منظور جديد للموضوعات الميتافيزيقية وجعلها مترابطة ومقنعة».

وكتب الشاعر الأمريكى ريتشارد تلينجاست Richard Tillinghast (١٩٤٠) عن سنايدر قائلا: «عند سنايدر، محتوى العالم مبهج ومتوهج ويقدمه بإحساس مفعم بالحيوية وجمال الأرض، لديه أشياء يخبرنا بها وتجارب ينقلها ومجموعة من القيم يبسطها».

لقد أثَّر على جيلٍ كامل، كما أنه أضاف فى نيويورك تايمز بوك ريفيو أن سنايدر «على دراية كاملة بعلم البيئة والأنثروبولوجيا وعلم الأحياء التطورى ولا يضاهيه أحدٌ فى ذلك من الشعراء المعاصرين».

حاز جارى سنايدر على عدة جوائز أدبية كبرى غير البوليتزر والبولينجن، فقد حصد جائزة روبرت كيرش لإنجازاته مدى الحياة من صحيفة لوس أنجلوس تايمز وجائزة شيلى التذكارية وجائزة روث ليلى، كما حصل على زمالة جوجنهايم، وهو أستاذ فى قسم الأدب الإنجليزى بجامعة كاليفورنيا، ديفيس.

جارى سنايدر شاعرٌ مُختلف فى اتجاهاته واهتماماته، وذلك الاختلاف كان سببًا فى فرادته الشعرية، فهو شاعر يرى أن الكون كله فى قالب واحد، أى أن الإنسان وجميع الكائنات والطبيعة بينها ارتباط كونى وأن الطبيعة أساس الحياة، حتَّى اختياراته لموضوعات قصائده تتسم بالغرابة إلى حد ما، وعندما قرأت قصائده لاحظت أنه يربط عالمه بالطبيعة حتَّى فى المقارنات، ففى قصيدته «أمَّا الشعراء» As for Poets، وجدته يقارن بين أنواع الشعراء وربط الاختلافات التى توجد بينهم بالبيئة، فكتب عن شاعر الفضاء، وشاعر النار، وشاعرالأرض، وشاعر الهواء، وشاعر الماء، وذلك يدل على ارتباطه النفسى والعقلى بالبيئة والطبيعة وكذلك فى قصيدة «للجميع» For All، نجده يتحدث عن الصخور، والنهر، ورائحة الشمس، والنظام البيئى، والجدول المائى، والثلج، كل هذه العناصر تشكل بناء سنايدر الشعرى والفكرى وما تميل إليه نفسه فى الحياة، ولكن برغم غرابة شعره؛ فإنه نجح فى جعله سلسًا، بلغته البسيطة، وقدرته الذكية فى إيصال أفكاره للمتلقى بسهولة ويسر من دون أن يشعر بتلك الغرابة المُستمدة من حبه للطبيعة ومن تأثره بالنظام البيئى والثقافة الصينية واليابانية، فتلك الثقافات تختلف كلية عن ثقافات الغرب من حيث الطقوس والعادات والتقاليد والاهتمامات.

وقد نجح سنايدر فى أن يقوم بنقلة مزاجية لمتلقى الشعر، فنقلنا من انتحار الشاعرة الأمريكية سيلفيا بلاث إلى الإقبال على الحياة، ونقلنامن اكتئاب وإصابة الشاعر الأمريكى چيمس رايت بثنائية القطب إلى المزاج المعتدل القادر على خلق سعادته الذاتية بممارسة كل ما تميل إليه نفسه، سواء فى حياته اليومية أو فى عمله بوصفه شاعرًا.

وجارى سنايدر نوع خاص من الشعراء لا يُنسى، فقد ترك بصمة نفسية وروحية لدىَّ وأشعرنى بأن الأمل موجود حتمًا، وأن الحياة بما فيها من شمس وقمر وجبال وطبيعة خلَّابة قادرة بأن تجعلنا سعداء، أو حتى تشعرنا بالرضا بأن الله خلق لنا كل ذلك الجمال من دون جهد منا.

وفى حوارٍ مع جارى سنايدر مع الكاتب الصحفى إليوت وينبرجر فى مجلة «ذا باريس ريفيو»، سأله إليوت إنه لأمرٍ مدهش ظهور أعمالك بشكل مكتمل تقريبًا فى كتاب «الركام الصخرى» وكتاب «قصائد الجبل البارد»، اللذين نُشرا فى عامىْ ١٩٥٨ و١٩٥٩، ولكنهما كُتبا فى فترة السبعينيات عندما كنت فى العشرين من عمرك. القصائد الموجودة فى كلا الكتابين هى قصائدك بلا شك وعلى ما يبدو وعلى خلاف معظمنا، أنك لم تشعر بالإحراج من أعمال فترة شبابك، فقد اخترت ثمانى عشرة قصيدة من بين ثلاث وعشرين قصيدة فى كتابك «الركام الصخرى»؟.

أجاب سنايدر قائلًا: إن قصائد كتابى «الركام الصخرى» ليست قصائد شبابى، تلك القصائد التى ألقيتها لأننى شعرت بأنها كانت بداية حياتى، فقد بدأت كتابة القصائد عندما كنت فى الخامسة عشرة من عمرى. كتبت عشر سنوات من الشعر قبل «الركام الصخرى»، المرحلةالأولى كانت شعرا رومانسيًا للمراهقين عن الفتيات والجبال.

سأله إليوت: «ألا تزال تكتب هذه النوعية من الشعر؟»

أجابه سنايدر: «أدركت أننى لا ينبغى أن أقول هذا بمجرد أن خرجت الكلمات من فمى، أعتقد أنها ليست قصائد رومانسية ولكنها قصائد كلاسيكية عن الفتيات والجبال. كان الروائى والشاعر الإنجليزى دى إتش لورانس D. H. Lawrence «١٨٨٥-١٩٣٠» هو أول من أثَّر علىَّ كشاعر عندما كنت فى الخامسة عشرة، قرأت «عشيق الليدى تشارترلى».

واعتقدت أنها رواية رائعة، لذا ذهبت إلى المكتبة لأرى ما إذا كان لديه المزيد من المؤلفات، وكان هناك شىء اسمه «الطيور والحيوانات والأزهار». استعرت ذلك وخاب أملى عندما اكتشفتُ أنه ليس رواية إثارة ولكن قرأت القصائد وشكَّلَتْنِى بعمق فى تلك اللحظة من حياتى.

ثم المرحلة الثانية، أثناء الكلية، ترددت أصداء شعر العديد من الشعراء كيتس وإليوت وباوند ووليامز وستفينس.

خمس سنوات كاملة من التدريب على أساليب مختلف الأساتذة من القرن العشرين. تخلصت من كل ذلك، لا يوجد إلا القليل من آثاره الباقية. ألقيت الكثير منها فى برميل حريق عندما كان عمرى حوالى خمسة وعشرين عامًا، لذلك عندما كتبت القصائد الأولى فى «الركام الصخرى» كان ذلك بعد أن تخليت عن الشعر، ذهبت إلى العمل فى الجبال صيف عام ١٩٥٥ لخدمة الحدائق الوطنية كعامل فى فرق الممرات، وكنت قد بدأت بالفعل فى دراسة الصينية الكلاسيكية،

اعتقدت أننى تخليت عن الشعر، ثم خرجت وبدأت فى كتابة هذه القصائد عن الصخور والسناجب الزرقاء، ونظرت إليها ولم تبد كأنها قصائد قد كتبتها من قبل، لذا قلت لابد أن تكون قصائدى الخاصة لذا فأنا أؤرِّخ عملى بوصفى شاعرًا بدءًا من قصائدى فى كتابى «الركام الصخرى».

وقد سأل إليوت وينبرجر جارى سنايدر قائلا: «ما الذى أعادك إلى الشِّعْر فى ذلك الوقت؟ هل كان المشهد الطبيعى هو السبب الرئيس؟».

أجاب سنايدر: «لا، فقد حدث ذلك بشكل تلقائى، الذى أعادنى إلى الشِّعر هو أننى وجدتُ نفسى أكتب قصائد لك أعتزم كتابتها أصلًا».

وسأله إليوت أيضا عمَّن هم الشعراء المهمون له فى ذلك الوقت؟ من كانوا المعلمين البارزين بالنسبة إليه فى ذلك الحين؟.

أجابه سنايدر: «بدأت العمل باللغة الصينية ووجدت نفسى أتشكل بما كنتُ أتعلمه من الشعر الصينى، سواء فى الترجمة أو فى الأصل. وكنت قد بدأت فى قراءة النصوص الأصلية للأمريكيين الأصليين ودرستُ اللغويات».

جارى سنايدر شاعر متمرد على التقليدية عمومًا ولكنه فى الوقت نفسه يميل إلى الأصالة وكل ما هو طبيعى وخاص، يسعى إلى الحداثة فى الكتابة وفى اختياره موضوعات جديدة فى شعره لم يسبقه أحد فيها، كأنه فى سباق ذاتىٍّ مع نفسه فى إحداث عملية تغيير وتحديث فى الحركة الشعرية الأمريكية، وقد نجح فى ذلك بالفعل وبشهادة أقرانه من جيله.

استمتعت كثيرا بكتابتى عنه وبترجمتى لقصائده، وأحسب نفسى من المحظوظات بأننى التقيت به عبر سطوره الشعرية، وعبر قراءتى عنه، وعن شعره بصفة عامة.

إقامة سنايدر فى اليابان مدة عشر سنوات أفادته كثيرًا فى الترجمة

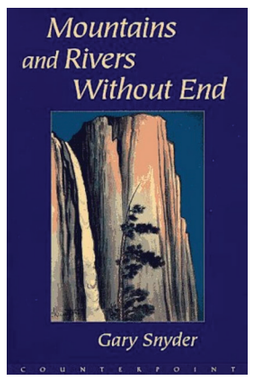

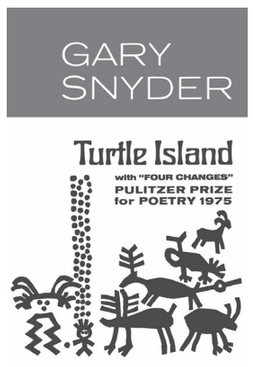

حاز جارى سنايدر على عدة جوائز أدبية كبرى غير البوليتزر والبولينجن

هيرمان هيسه

الباحث عن المواءمة بين احتياجات الروح والجسد

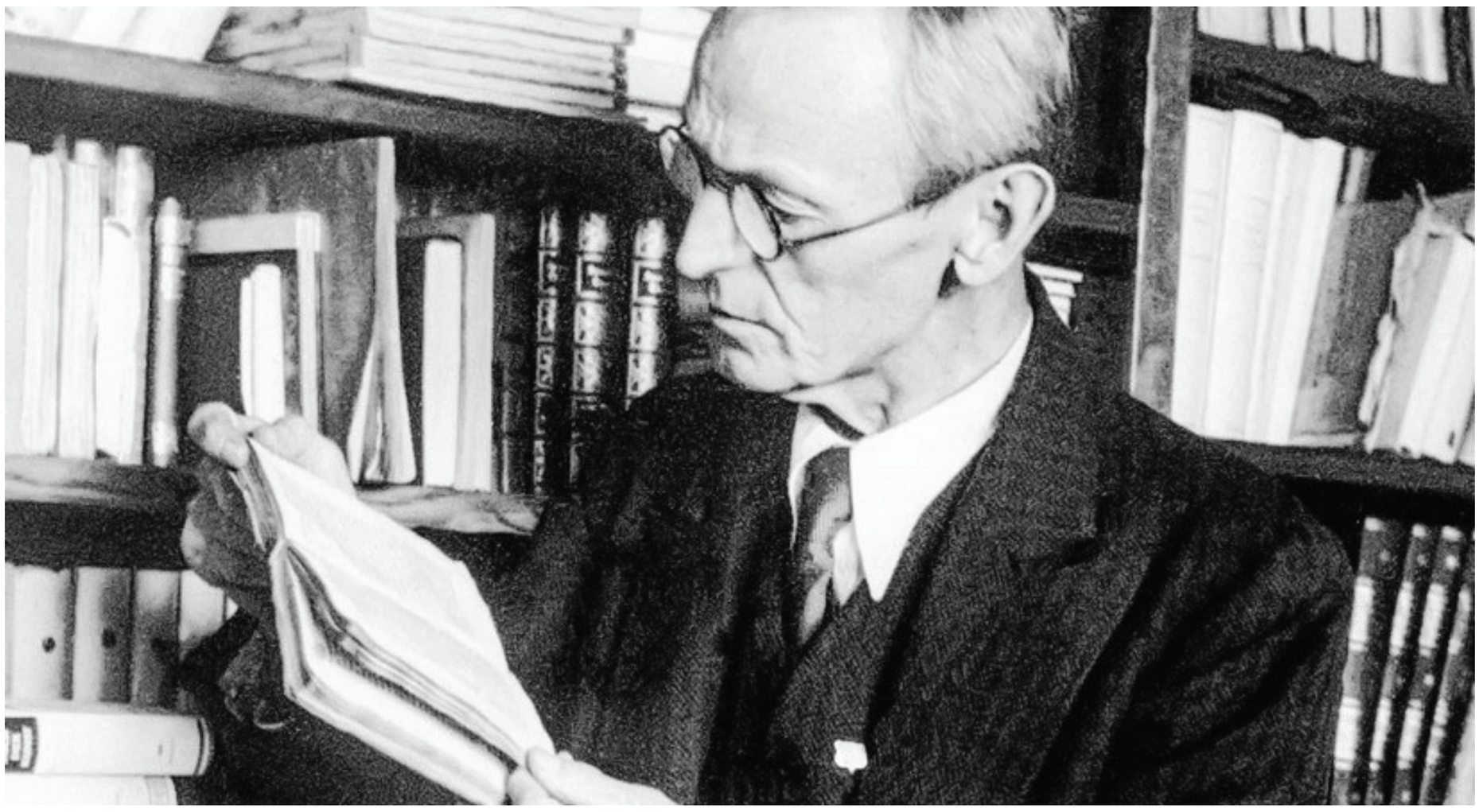

«عندما بلغت الثالثة عشرة من عمرى، تبينت بوضوح أننى إما أن أصبح شاعرًا وأديبًا، أو لا أصبح شيئًا على الإطلاق».. هكذا حدد الشاعر والروائى والرسام الألمانى السويسرى هيرمان كارل هيسه رحلته مع الحياة، أو ما عاش يبحث عنه، كان اختياره لمستقبله واضحًا منذ البداية، فبدأ حياته شاعرًا، وختمها روائيًا، وكشف فيما بينهما عن رسام وفنان تشكيلى مبدع، وقيل إن أحد الباحثين أحصى ما يزيد على مائتى كتاب وكتيب أصدرها «هيسه»، ما بين الشعر والقصة القصيرة والرواية والتأملات فى الفلسفة والحياة عمومًا، ناهيك عن مئات المقالات ومراجعات الكتب، على أن «أجمل رواياته هى حياته نفسها»، حسب الصحفى والمترجم المصرى المقيم فى ألمانيا سمير جريس، الذى يقول عنه: «إنه من الأدباء الذين لا يكتبون إلا عما تجيش به صدورهم، وما تكابده أرواحهم، عما مروا به وخبروه وعانوه.. وعلى رغم عدد أعماله الضخم، فلا يمكن اعتبار عمل من أعماله سيرة ذاتية محضة، لكن معظم ما كتبه يقترب كثيرًا أو قليلًا من سيرته الذاتية، وتعتبر بعض أعماله تنويعات واضحة على سيرته الذاتية، مثل (تحت العجلة) و(دميان) و(ذئب البرارى) و(سيدهارتا). وكلها تتناول مواضيعه المحورية، بحث الإنسان عن طريقه الخاص الذى يحقق له السعادة، والإنصات إلى صوت القلب، والبحث عن التوازن بين الروحانيات والدنيويات، والتحرر من الضغوط كافة وكل أشكال السلطة، سواء السلطة الأبوية أو الدينية أو السياسية»، وهو ما يؤكده الناقد الألمانى هانز بورج لوتى، مشيرًا إلى أنه «منذ ظهور أعمال هيسه الأولى، أصبح نموذجًا أدبيًا للعمق والرمزية، حيث مزجت أعماله بين الطبيعة والروح، وحاول دائمًا أن يربط بينهما بلغة شاعرية فيما سماه بثنائية أنشودة الحياة».

عبدالوهاب داود

1 دراسة لاهوتية وميول للعصيان

ولد هيرمان كارل هيسه فى الثانى من يوليو ١٨٧٧، بمدينة كالف التى تقع فى شمال الغابة السوداء بمملكة فورتمبيرج، وهى دولة صغيرة تقع فى جنوب غرب ألمانيا، كانت منطقة دولية عام ١٩١٨، وتتبع حاليًا ولاية بادن فورتمبيرج فى ألمانيا، ونشأ وسط أسرة بروتستانتية تلتزم بتبشير الأمم غير المسيحية، لا سيما فى الهند التى ولدت فيها أمه ماريا جوندرت كابنة لمبشر وباحث مشهور فى اللغات والآداب الهندية، خدم والديه تحت رعاية جمعية تبشيرية مسيحية بروتستانتية، وكان الابن الثانى للمبشر المنحدر من إستونيا يوهانس هيسه، الذى ينتمى إلى الأقلية الألمانية فى منطقة بحر البلطيق التى كانت حينها جزءًا من الإمبراطورية الروسية قبل انتقال العائلة إلى كالف، وبالتالى كان ابنه هيرمان عند ولادته بعد ذلك الانتقال بثلاث سنوات مواطنًا فى الإمبراطورية الروسية والألمانية، وكان والده يعمل فى دار نشر متخصصة فى النصوص اللاهوتية والكتب المدرسية البروتستانتية يملكها ويديرها الجد هيرمان جوندرت، وهو الذى شجعه على القراءة، وأتاح له الوصول إلى مكتبته الخاصة التى كانت مليئة بأعمال من الأدب العالمى.

تربى هيرمان هيسه على النزعة التقوية، وعاش فترة صباه وشبابه الأول وسط جو عائلى محافظ، يدافع عن البروتستانتية بشكل مفرط.. ظهرت عليه علامات الاكتئاب فى السنوات الأولى من حياته، وسرعان ما تفاقمت الأمور بعد التحاقه بالمدرسة، حيث عانى آثار دراسته فى إكليريكية ماولبرون البروتستانتية شمال جبال الألب، والتى فجّرت لديه ميول العصيان والتمرد، خصوصًا مع توتر علاقته بأهله، ومع طبيعته المتمردة التى تميل إلى الخيال، فتمرد على جو البيت الصارم، ثم تمرد على المدرسة التى كان يراها عدوه الأول الذى يجثم على صدره، ويريد أن يفسد عليه حياته، ويقتل موهبته وإبداعه، وقال عنها فيما بعد: «لم أجد طوال الأعوام الثمانية التى قضيتها فى المدرسة إلا مدرسًا واحدًا فقط أحسست تجاهه بالحب والامتنان».

كان لهيسه خمسة أشقاء، اثنان منهم توفيا فى سن الطفولة، وشارك حب الموسيقى والشعر مع والدته التى كانت تكتب الشعر، بينما كان والده معروفًا بكتابة الخطب الدينية، لكن قدوته الأولى كان أخاه غير الشقيق ثيو الذى سبقه إلى تحدى العائلة بالالتحاق بمعهد موسيقى عام ١٨٨٥.

أثناء إقامته فى ماولبرون ظهرت عليه آثار أزمة نفسية عندما أدرك أن والده أدخله معهدًا للدراسات اللاهوتية كى يصبح قسًا ومبشرًا مثله، فهرب منه فى مارس ١٨٩٢، بعد سبعة أشهر فقط لا غير، وعثر عليه لاحقًا فى أحد الحقول القريبة، فراح بعدها يتنقل بين المؤسسات والمدارس، ومنها المدرسة التى أتم تعليمه فيها فى عام ١٨٩٣، وشهدت تلك الفترة صراعات حادة بينه وبين والديه، حتى إنه حاول الانتحار فى مايو من نفس العام، قبل وضعه فى مصحة نفسية وعقلية، وفى بدايات صيف ١٨٩٤، صرف الأب النظر عن الدراسة، ووجّه ابنه إلى العمل، فألحقه بورشة لتصليح وتركيب ساعات أبراج الكنائس، فاستمر بالعمل فيها لمدة أربعة عشر شهرًا، والملفت أن هذا العمل ساعده على الهدوء النفسى، فتمكن من التغلب على مشاكله النفسية، ويبدو أن هذه المهنة تركت أثرًا عميقًا بداخله، وهو ما ظهر فيما بعد فى روايته «لعبة الكريات الزجاجية».

انتقل بعدها إلى توبنجن للعمل كبائع كتب فى مكتبة «هكنهاور»، التى كان مثقفو المدينة يقصدونها من أجل اقتناء كتب الفلسفة واللاهوت والقانون، والتى تحتوى على مجموعة كبيرة من الكتب المتخصصة فيها، فكان يقضى وقتًا طويلًا بالمكتبة، حتى مع انتهاء فترة عمله التى تصل إلى ١٢ ساعة، وركز جهده على القراءة، وتطوير أسلوبه، ومفاهيمه الفلسفية والجمالية، وعندما غادرها كان ذلك إلى عمل مشابه فى مكتبة لبيع الكتب المستعملة بمدينة بازل السويسرية، ولكنه أخذ يختبر حرية الشاعر الذى يختلى بنفسه فى أرجاء الطبيعة التى تحيط بالمدينة، وراح يتنزه فى أحيائها وشوارعها وحدائقها، يكتشف أحاسيسه، ويرصد انفعالاته ويدون انطباعاته، إذ أدرك وقتها أن الأدباء، والشعراء منهم على وجه الخصوص، يركنون إلى مرجعية فنية جمالية كبديل للمعيار الأخلاقى، إذ الأخلاق عندهم تنبثق من جماليات الإبداع.

2 بدايات مخيبة للآمال

كانت أول قصيدة تنشر له وهو فى التاسعة عشرة من عمره، حيث ظهرت قصيدته «مادونا» فى مجلة فيينا عام ١٨٩٦، وبعدها بأشهر قليلة أصدر مجلدًا صغيرًا من الأشعار والأغانى تحت عنوان «قصائد رومانسية»، وكان ذلك أول مجلد يُنشر له، ولم يمض عام واحد حتى تلقى رسالة من هيلين فويت تبدى فيها إعجابها بإحدى قصائده المنشورة، والتى تزوجت من ناشر صغير وافق على نشر مجموعة من قصائد «هيسه» لإرضاء زوجته، وهى المجموعة التى حملت عنوان «ساعة بعد منتصف الليل»، وباءت بفشل تجارى، فلم تطبع سوى مرة واحدة فقط، وبيعت بصورة بطيئة للغاية. ومثل غالبية كبار المبدعين حول العالم كانت بدايات «هيسه» مع النشر مخيبة للآمال، حتى عمله الأول «قصائد رومانسية» لم يلق نجاحًا من أى نوع، وقيل إنه لم يبع فى خلال عامين من نشره أكثر من ٥٤ نسخة، من أصل ٦٠٠ نسخة مطبوعة، فيما كانت صدمته الكبيرة عندما أبدت أمه رفضها لقصائده الرومانسية، وعندما توفيت فى ١٩٠٢، بعد صراع طويل ومؤلم مع المرض، لم يقدر على حضور جنازتها خوفًا من الاكتئاب، ومعاودة مرضه النفسى والعصبى.

كان لرحلته التى قام بها إلى إيطاليا عام ١٩٠١ آثار كبيرة على حياته، وهى الرحلة التى كان يحلم بها طويلًا، وهناك تعرف على زوجته الأولى ماريا بيرنولى التى تزوجها فى عام ١٩٠٤، وبدأ اهتمام الناشر صمويل فيشر بهيسه، ووافق على نشر روايته «بيتر كامينتسيند»، التى تناقش تمرد الأبناء على الآباء، وظهرت فى كتاب عام ١٩٠٤، وحصلت على شعبية كبيرة بمجرد نشرها، خصوصًا مع إشادة عالم النفس الشهير سيجموند فرويد بها، وحديثه عنها باعتبارها واحدة من رواياته المفضلة، وهو ما مكّن «هيسه» من كسب عيشه ككاتب، وساعده على الزواج من المصورة السويسرية ماريا بيرنولى، واستقرا فى بلدة جاينهوفن على بحيرة كونستانس، والتى تحاذى جنوب ألمانيا وشرق سويسرا وشمال النمسا، وأسسا عائلة من ثلاثة أبناء، إلى جانب إنتاجه عددًا من القصص القصيرة والقصائد، وروايته «تحت الدولاب» التى نشرت عام ١٩٠٦، ومع الوقت بدأ يعانى من شح فى الإبداع، وجفاف فى القدرة على التعبير، وبدأت حياته الزوجية رحلة الارتطام برتابة الاعتياد، مع تنامى الاضطرابات النفسية لزوجته، ما دفعه إلى المغادرة فى ١٩١١، منطلقًا فى رحلة روحية طويلة إلى سريلانكا وإندونيسيا وبورما والهند، بحثًا عن ذاته، وطلبًا للاستجمام، هذه الرحلة أتاحت له مشاهدة التناقضات التى تسيطر على العالم الحديث، وأثمرت مجموعة من القصص، أهمها «بيت الأحلام»، ورواية «ثلاث حكايات من حياة كنولب»، التى تضم ثلاث حكايات منفصلة تدور أحداثها حول شخصية كنولب الذى يضرب فى الأرض، لا يتخذ لنفسه سكنًا بعينه، ويلوذ دائمًا بنفسه، يعيش وحيدًا بداخلها، لا يؤرقه صديق ولا حبيبة، ويسعد بالمروج والجبال والطبيعة الصافية، ولكنه فى النهاية لا يجد ضالته، وتنتهى قصته بكلمات يوجهها إليه الرب قائلًا: «لم يكن فى المستطاع استخدامك إلا على هذا النحو، أنت ابنى وأخى وقطعة منى.. لم تذق شيئًا، ولم تعانِ من شىء، إلا وكنت فيه معك».

بعدها قرر العودة والانتقال بأسرته إلى مدينة برن السويسرية على أمل أن يحل تغيير الأجواء مشاكله الزوجية على الأقل، لكنه لم يفلح، وزاد مرض زوجته التى أصيبت بفصام فى الشخصية، ثم لم يمض وقت حتى اندلعت الحرب العالمية الأولى، فتطوع للخدمة فى الجيش الإمبراطورى، لكنه لم يصمد بسبب مرضه، فأسندت إليه مهمة رعاية الأسرى، وفى ٨ مارس ١٩١٦ أصاب «هيسه» حزن عميق بوفاة والده، وضاعف من ذلك إصابة ابنه الأصغر مارتن بمرض خطير، إلى جانب مرض زوجته.. كل ذلك دفعه إلى البحث عن علاج نفسى لدى أحد تلاميذ عالم النفس السويسرى المشهور كارل يونج، ثم لدى يونج نفسه، فتلقى العلاج بمستشفى للأمراض النفسية والعصبية واستغرق علاجه ٧٢ جلسة من التحليل النفسى الذى كان ذائعًا فى ذلك الحين، ووجد «هيسه» نفسه فى فترة العلاج يرسم، وينطق بالفرشاة والألوان ما يستعصى عليه أو يوجعه التعبير عنه باللغة، ونجح فى كتابة رائعته «قصة شباب إميل سنكلير»، والمشهورة باسم «دميان»، والتى نشرت فى ١٩١٩ باسم مستعار «إميل سنكلير»، وانطلق فيها معبرًا عن قلق تلك الفترة وعذاباتها، كما ظهر جليًا تأثير التحليل النفسى عليه، وأثر معرفته بيونج ونظريته فى الانطواء والانبساط واللا شعور الجمعى والنزعة المثالية والرمزية، وتنقية الطبيعة البشرية. وهى الرواية التى قال عنها الأديب الألمانى توماس مان «إنها كهربت جيل العائدين من الحرب العالمية الأولى وكانت بدقتها البالغة تمس عصب الحياة».

فى تلك الفترة بدأ فى كتابة تحفته الأشهر «سيدهارتا»، والتى تستلهم قصة حياة بوذا، وكتب عن ظروف كتابتها فى مقدمة الطبعة الفارسية أنها «اعترافات رجل نشأ وتربى فى أجواء مسيحية، لكنه هجر الكنيسة مبكرًا، وحاول جاهدًا أن يفهم الديانات الأخرى، لا سيما العقائد الهندية والصينية»، وأنه حاول العثور على «المشترك فى كل العقائد والأشكال الإنسانية للتدين، الشىء الذى يعلو على كل الاختلافات القومية»، ومع أن رواية «سيدهارتا» تستلهم الثقافة الهندية، كان «هيسه» يعتبرها أوروبية للغاية، إذ تخلو تمامًا من الوعظ، رغم موضوعها الروحانى، تصف الدروب والمتاهات التى يسلكها سيدهارتا خلال البحث عن طريقه فى الحياة، والمواءمة بين الاحتياجات الدنيوية والروحية، فقط لا غير، وتعتبر من أكثر الأعمال الأدبية الألمانية تأثيرًا فى العالم كله، إذ بلغت مبيعات ترجماتها ما يزيد على ٢٠ مليون نسخة، وترجمت إلى ما يزيد على ٤٠ لغة، وكذلك إلى عديد من اللهجات الهندية.

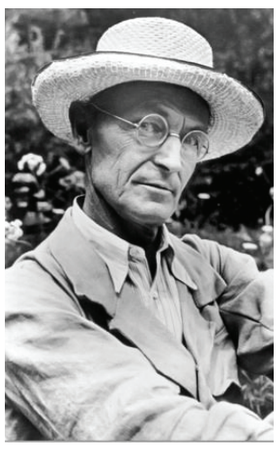

> ساعد توماس مان وبريخت فى رحلتيهما للهروب من النازى فوصفت الصحف الألمانية أعماله بالكتابة الرخوة

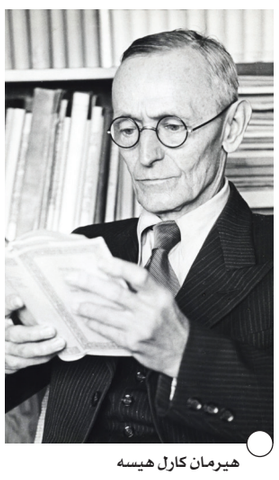

هيرمان كارل هيسه

3 مقاومة النازى والكتابة الرخوة

مع بدايات الحرب العالمية الأولى، أعلن «هيسه» عن موقفه من الحرب بوضوح، وكان من المعارضين القلائل للنزعة العسكرية الألمانية، سواء فى الحرب العالمية الأولى أو الثانية، فهبت معظم النخبة الألمانية تهاجمه وتندد بآرائه، وترافق ذلك مع انهيار زوجته، ما دفعه إلى الانفصال عنها، وانتقاله إلى بلدة مونتاجنولا، بالقرب من لوجانو، فى إقليم تيسين السويسرى، حيث استأجر أربعة غرف صغيرة فى مبنى أشبه فى شكله بالقلعة، يعرف باسم «كازا كاموزى»، وهناك عادت إليه الكتابة فيما يشبه البداية الجديدة التى جلبت له السعادة، وفى وقت لاحق وصف هذه الفترة من حياته بأنها كانت الأكمل والأكثر إنتاجًا وعاطفية، حتى إنه فى عام ١٩٣١، عندما قرر الزواج للمرة الثالثة، والانتقال من هذا المنزل مع زوجته إلى منزل أكبر، ظل بالقرب من مونتاجنولا، وأطلق على البيت اسم «كازا هيسه»، وتم بناؤه وفقًا لرغباته.

فى أوائل الثلاثينيات راح يتوجس من صعود النازية، وكان يستقبل النخبة الألمانية المثقفة المضطهدة فى منزله، فساعد كل من توماس مان وبرتولد بريخت فى رحلتيهما إلى المنفى، وأدت معارضته إلى امتناع الإعلام الألمانى والأوروبى الخاضع لهيمنة النازية عنه، كما منعت ألمانيا أعماله بداية من عام ١٩٣٨، ووصفتها بالكتابة الرخوة.

وفى ذروة اشتعال الحرب العالمية الثانية، ظهرت روايته الكبرى، عمل حياته الذى استغرقت كتابته ١٢ سنة، وهى رواية «لعبة الكريات الزجاجية»، التى بدأ كتابتها عام ١٩٣١، وصدرت عام ١٩٤٣، وتقع فى نحو ٩٠٠ صفحة، وصدرت فى جزءين، فكانت آخر رواياته وأطولها، ويرجح النقاد أن حصوله على جائزة نوبل فى عام ١٩٤٦ كان بسببها، فقال كثيرون إنها درة إنتاجه، وأيقونة من أيقونات الأدب العالمى، حاول فيها «هيسه» تسجيل وصيته الأخيرة للعالم، وخلاصة تجاربه الحياتية والفلسفية والجمالية.

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، وخلال السنوات العشرين الأخيرة من حياته، لجأ «هيسه» إلى كتابة القصائد والقصص القصيرة، معرضًا عن الرواية، وفى مساء الثامن من أغسطس ١٩٦٢ كان يستمع إلى إحدى سوناتات موتسارت للبيانو، بينما كانت زوجته الثالثة تقرأ له كعادتها قبل نومه، وفى صباح اليوم التالى فارق الحياة بنزيف فى المخ عن عمر يناهز ٨٥ عامًا.

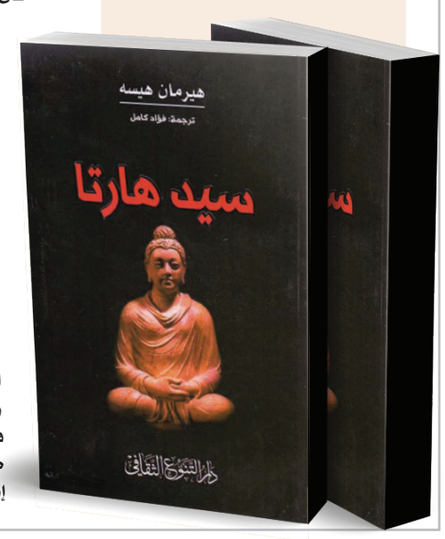

غزل صحفى عفيف

بين أحمد رامى وأم كلثوم

كانت هذه الليلة من ليالى القدر فى القاهرة.
نحن الآن معًا فى 26 يوليو 1924.
الشاعر أحمد رامى الذى كان عائدًا من باريس بعد عامين قضاهما فى دراسة الآداب وفن المكتبات بجامعة السوربون، يجلس فى بار يملكه الفنان زكى رستم- لم يكن وقتها قد أصبح فنانًا- بشارع بولاق، يقترب منه صديق قديم، ويحدثه عن مغنية جديدة متألقة الموهبة اسمها أم كلثوم، وأنها ستغنى الليلة فى صالة «سانتى».
انتقل رامى مع صديقه إلى حيث تُغنى أم كلثوم، جلسا فى الصف الأول، وكانت المفاجأة أن المغنية الشابة تغنى قصيدة رامى «الصب تفضحه عيونه»، التى لحنها صديقه الشيخ أبوالعلا محمد.
بعد أن أنهت أم كلثوم غناءها، توجه إليها رامى، وقال لها هامسًا: كنت فى ديار الغربة، فى باريس، وأنا سعيد أن أسمعك فى أول ليلة أعود فيها إلى أرض الوطن.
عرفت أم كلثوم بذكائها من يقف أمامها، فقالت له باحتفاء ظاهر: أهلًا.. سى رامى.
سألته أن يزورها، وكانت تسكن فى ميدان عابدين، سألها عن العنوان، فردت بخفة ظلها المعهودة: الله.. انت إزاى متعرفش بيت أم كلثوم؟... دا الملك فؤاد ساكن قصادى.
فى اليوم التالى كان رامى يزور أم كلثوم فى بيتها، لتبدأ بينهما رحلة فنية أسطورية استمرت لما يقرب من خمسين عامًا.

البازل

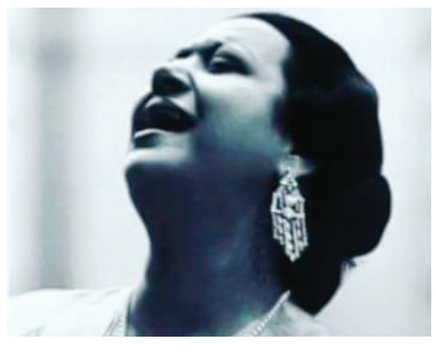

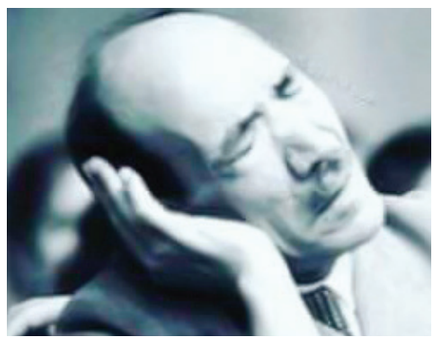

بعد هذا اللقاء بـ٢٣ عامًا، وفى نوفمبر ١٩٤٧ طلبت مجلة الهلال من رامى أن يكتب مقالًا عن أم كلثوم، فكتب مقالًا لم يجد له عنوانًا أفضل من اسمها فقط، فكان مقال «أم كلثوم».
قدمت المجلة لمقال رامى بقولها: هذه صورة قلمية لكوكب الشرق الآنسة أم كلثوم، دبجها شاعر فنان عرفها منذ مستهل حياتها الفنية، ونظم لها أروع أغانيها الذائعة.
فى مقال رامى عن أم كلثوم نسج إنسانى راقٍ لظاهرتها الغنائية.
قبل أن يدخل إليها وإلى أسرارها التى شهد عليها، نظم فيها شعرًا جاء فيه: «رنة العود شدوها وصداها/ حنة الناى أو أنين الكمان/ خلقت آهة فكانت عزاء/ من هموم الحياة والأحزان/ وجرت دمعة فكانت شفاء/ للمعنى ورحمة للعانى/ وسرت أنه فكانت غناء/ يطلق الروح فى سماء الأمانى/ ويراها الخلاق من خفة/ الظل ومن رقة النسيم الوانى/ وترا مطرب الحنين أغنا/ ولهاة كالخالص الرنان/ ترسل الشعر منطقًا عربيًا/ بين الآى واضح التبيان/ تتناغى الألفاظ فيه من/ النطق سليمًا وتستبين المعانى/ فإذا صورة تجلت إلى العين/ وغابت فى مستقر الجنان».
يقول رامى عن أم كلثوم: «هذه صورة عابرة لتلك القمرية التى تملأ الشرق طربًا وأدبًا، عرفتها فى مستهل حياتها الغنائية بالقاهرة، يسمعها ألف ينصتون إليها فى استغراق، فتحملهم على أجنحة الطرب إلى حيث تسبح الأرواح، وتتناجى القلوب، وظللت أسمعها إلى الآن فما وجدت أعذب منها صوتًا، ولا أمد نفسًا، وما لقيت أسلم منها أداء، ولا أشد إخلاصًا للفن».
«يعرض عليها اللحن فتقول لصاحبه: أسمعنى، وتسمعه وهى مقبلة على هذا الجديد من النغم وفى وجهها إشراقة السرور، وتظل تنصت إليه ساكنة، ثم تقول: أسمعنى، وتسمع وفى صدرها هدير النغم وعلى شفتيها غمغمة الخالى بنفسه، ثم تقول له: أسمعنى، وتغنى معه بصوت خافت لا يقطع عليه انطلاقه فى الغناء، ثم تنظر إليه وهى تقول: الآن اعزف أنت وأغنى أنا، ثم تغنيه وحدها وهو يعزف، فما تنأ عن الأصل قيد شعرة، وقد تضيف إليه من ألوان صوتها الغنية ما يزيده عذوبة وحلاوة».
«بدأت حياتها الغنائية تنشد القصائد من غير آلة تفتح لها باب النغم، أو تضبط لها الإيقاع، أو تسير معها فى الطريق إلى المقام، ولكنها أخذت وهى مبتدئة تتعلم العود والطبقات، وكان لها على كثرة أسفارها وقت وقفته على الدرس، وهى بعد ذواقة دقيقة الإحساس، تفطن إلى الخفى من الجمال فى القول الكريم واللحن الرخيم، فلا تكتم عن صاحب اللحن إعجابها بما أبدع، ولا تخفى عنه رغبتها فى إطالة أو مد، أو ميلها إلى سبيل جديد لاستقرار النغم، وأحسب أن الملحن لها يقتبس من فرط إعجابها وحسن أدائها شيئًا جديدًا يضيفه إلى ما أبدع، وهى شديدة الإخلاص لهذا الفن».
انتهى أحمد رامى من رسم هذه الصورة التى يمكن أن نعتبرها نظرية لأم كلثوم، لتنساب منه بعد ذلك الحكايات التى جمعتهما معًا.
سهر رامى مع مجموعة من الأصدقاء ليلة يستمعون إلى أم كلثوم حتى امتد بهم السهر إلى أخريات الليل، ولما اقتربت السهرة من الوصول إلى غايتها، سألها وقد بدا على وجهها السرور بالغناء والاستماع: ماذا تريدين الآن؟
قالت له: أريد صحبة من خيار سامعيكم أظل أغنى لهم حتى يظهر الصبح.
رآها تغنى ذات ليلة وعلى وجهها مسحة الإعياء، وفى صوتها نبرة الوهن، فأسرع فى فترة الاستراحة ليطمئن عليها، فوجد

> كان اللقاء بينهما قدرًا وهذا يكفى ولم يكن فى حاجة إلى جعله أسطوريًا لكنها آفة الروايات ورواتها

كان هو من قدم نفسه إليها ولم تغن «الصب تفضحه عيونه» فى الوصلة الأولى بالحفل الذى التقيا فيه للمرة الأولى بل غنتها عندما عرفت أنه موجود ولم يزرها فى بيتها فى اليوم التالى مباشرة للقائها

« يعجبنى فى كل ما ينظمه رامى ، ترجمته الدقيقة عن مكنونات العواطف وخلجات القلوب ، وسبقه دائما الى التجديد والابتكار .

رامى

بقلم : أم كلثوم

مجموعة روحانية من الاحساس ، الملهم ، والثورة العميقة المكبوتة ، والهدوء زين مع ظرف نادر ، وخيال لق ، وخاطر سريع ، وإخلاص ت الاخلاص ..

ذلك هو « رامى »شاعر الشباب، فنان الذى جدد شباب الاغانى صرية، وخرج بها من الافق الضيق دود الذى كانت تضطرب حائرة ، الى آفاق فسيحة عديدة تسرح ا وتمرح وتحلق ، وتغوص الى اق النفوس وتثير شتى اسيس ...

عرفته قبل أن أراه ، من قصيدته قيقة التى يقول فيها :

صب تفضحه عيونه
وتنم عن وجد شجونه
انا تكتمنا الهوى
والداء اقتله دفينه

كان يومئذ فى باريس مقيما بها

مقال «أم كلثوم»

طبيبها يقول لها: كفاك غناء الليلة، وهى تقول له: لا يسرنى أن يهرع الناس إلىّ من كل صوب ثم أحرمهم متعة سماعى، فقام الطبيب بحقنها بحقنة تعينها على الوقوف ساعة وهى تشكو ألمها غناء عذبًا وطربًا فياضًا.

ورآها وهى تشرف بنفسها على كل إعداد التسجيل، من مراجعة لآلة كل عازف، ومن نقص لآلة كل مهندس، لا يخرج للناس من صوتها صدى إلا إذا مر على أذنها الدقيقة فرضيت عنه، وتقول هى عن ذلك: ألست أسمع قبل أن أغنى.

ورآها وهى مخلصة للفن فى صبرها على مقتضياته، تحدد موعد العمل فتكون أول الحاضرين وآخر المنصرفين، وتصبر فى سبيل ذلك على العطش والجوع، ولا تنال آخر الأمر من الطعام إلا ما لا يسمن ولا يغنى من جوع.

ورآها وهى تقف أمام الأضواء الحامية عند الاشتغال بالسينما حتى ينصهر جسدها وتدمع عيناها، وهى لا تشكو ولا تتبرم، حتى إذا انتهى العمل على ما ترضى انتحت ناحية قصية، وجلست فى الظلام مطرقة الرأس مغمضة العينين تعود بنفسها إلى ظلها المأنوس.

ورآها وهى تغنى فى بعض الليالى ولا يرضيها ما تغنى، وإن أرضى سائر الناس، ويهرع إليها المعجبون يكيلون لها من آيات المدح ما وسعه تقديرهم، فإذا بها تقول: لا تخدعونى.. ويعرض لها الإبداع فى بعض الليالى، فيسمعها تقول لنفسها: آه فى صوت خافت يغيب فى ثنايا النغم.

ورآها وهى فى ثوبها الفضفاض يخفى حركات جسدها الرقيق، ولولا اتساعه لاستطعت أن ترى كل جارحة فيها تتلوى من الطرب.

وفى بعض الليالى كان يقترب منها رامى ويسألها: ماذا تغنين الليلة؟

فتقول له: اصبر حتى ألقى نظرة من خلال الستار على السامعين.

تلقى نظرتها فتفهم روح الجمهور الحاضر، وتسقيه من شراب اللحن ما يهواه، وهى فى كل ذلك لا تستعين إلا بفنجان من القهوة، تأمر بإعداده إذا تهيأت للخروج إلى الغناء، ثم تلبس فى غير بهرجة، ويحين موعد انطلاقها إلى ساحة الطرب، فتجلس لتشرب ذلك الفنجان وقد أصبح باردًا.

يعود رامى إلى محاولة رسم ملامح أم كلثوم كما يراها بعيدًا عن الحكايات.

يقول: «أم كلثوم سليمة الذوق فيما تعمل، ترى الشىء الجديد عليها فتفطن إلى حينه، سواء أكان ذلك حديثًا شهيًا أو رأيًا سريًا، كنت أقرأ القصيدة الجديدة فيأخذنى منها بيت فريد، ثم نتقابل، فأسالها عما يروقها فى القصيدة، فتشير إلى الذى راقنى وملك على إعجابى».

وقد وهبها الله ملاحة فى التعبير عند الغناء، فوجهها أبدًا باسم إلا إذا غشيتها غاشية الحزن وهى تغنى، ولكنها فى ذلك أملح وجهًا وأجمل تعبيرًا».

«وهى باهرة الذكاء بعيدة النظر تدب إلى القول قبل أن يخرج من شفتى قائله، حاضرة البديهة ترد الدُعابة بأحسن منها وتعقب عليها، فلا تترك ناحية من نواحيها لا تبدع فيها معنى جديدًا أو جناسًا جميلًا، وقد يشتاق من يسمع غناءها إلى هذه الدعابة شوقه إلى سماع صوتها الساحر، أما مودتها فى القربى فأمر ينم عنه حدبها على الأهل والأصدقاء».

ويختم رامى مقاله عن أم كلثوم بقوله: «لا يمر العيد على من حولها إلا إذا أطعمتهم شهى المأكل، وألبستهم بهى الثياب، ولا يشكو أحدهم خلة أو مرضًا إلا مدت إليه يدًا مواسية، وقد بلغ من برها بأهل بلدها أن سعت إلى تعمير مسجده وإقامة مئذنته، فأصبح لها على لسان كل مصل دعاء وتمجيد، وهى فوق كل هذا شديدة الإيمان، تبدأ كل شىء باسم الله، وتنتهى منه بحمد الله، راسخة اليقين تعلم أن توفيقها فضل من الله يؤتيه من يشاء، وهى تحمده على ذلك فى كل حين، ويرضى عنها فترضيه بالإخلاص فى العمل والثبات على اليقين».

ولأن التحية التى أرسل بها أحمد رامى إلى أم كلثوم على صفحات مجلة الهلال كانت تليق بها، فقد ردت التحية بأفضل منها، فكتبت مقالًا نشر فى عدد يناير ١٩٤٨، ولم تبحث له كثيرًا عن عنوان، فكما وضع اسمها عنوانًا لمقاله عنها، وضعت هى اسمه «رامى» عنوانًا لمقالها عنه.

لخصت أم كلثوم أحمد رامى بالنسبة لها، فهو مجموعة روحانية من الإحساس الملهم، والثورة العميقة المكبوتة، والهدوء الرزين مع ظرف نادر، وخيال محلق، وخاطر سريع، وإخلاص لذات الإخلاص.

دخلت أم كلثوم إلى رامى مدخلًا نفسيًا، لكن ذلك لم يمنعها أن تقول عنه بعد أن نثرت علينا أوصافه: ذلك هو رامى شاعر الشباب والفنان الذى جدد شباب الأغانى المصرية، وخرج بها من الأفق الضيق المحدود الذى كانت تضطرب حائرة فيه إلى آفاق فسيحة عديدة تسرح فيها وتمرح وتحلق، وتغوص إلى أعماق النفوس وتثير شتى الأحاسيس.

عرفت أم كلثوم رامى- كما تقول- قبل أن تراه من قصيدته الرقيقة التى يقول فيها: الصب تفضحه عيونه/ وتنم عن وجد شجونه/ إنا تكتمنا الهوى/ والداء أقتله دفينه، وكان يومئذ فى باريس مقيمًا بها منذ عامين، فلما أطلعها عليها أستاذها الكبير الشيخ أبوالعلا محمد، أعجبتها خفة وزنها ورقة ألفاظها ومعانيها، فطلبت منه أن يلحنها، وبدأت تغنيها فى الحفلات العامة والخاصة، وكلما رأت شدة الإقبال على سماعها، ازداد إعجابها بها وبكاتبها.

تحكى أم كلثوم ما جرى: «رأيت رامى لأول مرة، وكان قد حضر ليسمعنى فى حفلة بحديقة الأزبكية عقب عودته من باريس، وجلس فى الصف الأول متتبعًا غنائى بعناية ملحوظة وإصغاء تام، فلما انتهت الوصلة كان من أوائل من تقدموا لتهنئتى، وعرفنى بنفسه فكان سرورى عظيمًا بلقياه، وأجبت طلبه فغنيت فى الوصلة التالية قصيدته، ووفقت فى أدائها توفيقًا لم أظفر بمثله من قبل».

«وكانت تلك الحفلة خاتمة الموسم بالقاهرة، وسافرت بعدها إلى رأس البر حيث بقيت هناك طوال مدة الصيف، ثم عدت لأبدأ غنائى فى تياترو «البسفور»، وهناك فى الحفلة الأولى رأيت رامى قد أخذ مكانه فى الصف الأول، فسررت لرؤيته وغنيت قصيدته دون أن يطلبها، فلما جاء لتحيتى فى فترة الاستراحة، كان معه بعض إخوانه، فقالوا إنه نظم لى قصيدة جديدة مطلعها: «صوتك هاج الشوق فى مسمعى/ وأرسل المكنون من أدمعى» وأسمعنى هو أبياتًا أخرى منها، ووعد بأن يزورنى بعد أيام فى منزلى بحى عابدين، ليقدمها لى بعد أن يتمها، وقد كان.

«ومنذ ذلك الحين والود والتقدير بيننا متصلان، على أننى لم أغن هذه القصيدة الجديدة، بل غنيت قطعة أخرى، هى أول ما نظمه باللغة الدارجة، وتلك أغنية: خايف يكون حبك لى شفقة على/ وانتى اللى فى الدنيا ديه ضى عينى».

«وتوالت بعد ذلك أغنياته التى نظمها لى، وكلها حافلة بروائع الصور، وبدائع المعانى والخواطر، ودقائق الإحساس ومناجاة الأفئدة والتغنى بالجمال، الجمال فى كل ما هو جميل، حتى ذل الهوى وتباريح الذكريات».

أكثر ما يلفت الانتباه فى مقال أم كلثوم عن رامى، أنها تحولت فى جزء منه إلى ناقدة فنية تفتش فى مواطن الجمال فى شعر رامى، تتحدث عما يعجبها.

تقول: «ويعجبنى فى كل ما ينظمه رامى ترجمته الدقيقة الصادقة عن مكنونات العواطف وخلجات القلوب وسبقه دائمًا إلى التجديد والابتكار والتلوين والافتنان فى انتقاء الألفاظ والأوزان، فهو يجمل فلسفة الحب، فيقول: كيف مرت على هواك القلوب/ فتحيرت من يكون الحبيب/ وهوى الغانيات مثل هوى الدنيا/ تلقاه تارة وتخيب».

تتحول أم كلثوم مرة أخرى إلى رامى وشخصيته وصفاته، فتقول: «رامى يدين فى حياته بالجمال الحنون والحنان الجميل، ومن أخص صفاته الوداعة والابتسام على الدوام والوفاء لذات الوفاء، ثم هو محدث ظريف، لا يخلو مجلسه من نكتة طريفة يبتدعها أو فكاهة لطيفة يرويها».

من مواقفه الطريفة أنه كان مع بعض إخوانه فى وليمة، فطال له أن يأكل من المحشى المطبوخ بالزيت من غير لحم تاركًا ما عداه من ألوان الطعام، فقال له أحد إخوانه: كل فراخ أحسن.. وسيبك من الضولة الكدابة دى.

فأجاب رامى على الفور: يا سيدى إنت مالك.. كدابة كدابة أنا مصدقها.

ومن طرائفها التى كان يرويها: مر رجل بباب منزل، فناداه صبى كان يقف هناك، ورجاه أن يدق له جرس الباب لأنه لا يطوله، وسارع الرجل إلى إجابة الرجاء، وما كاد يدق الجرس حتى جذبه الصبى وهو يجرى قائلًا: يالا نجرى بقى.. قبل ما يمسكونا.

وتختم أم كلثوم مقالها عن رامى بقولها: وكم لرامى من نوادر وفكاهات اهتزت لها مجالس الأنس والسمر، وكم له من لفتات جميلة وطرائف عمرت بها الليالى الملاح.

يمكنك أن تتوقف على هامش المقالين عند حالة الغزل الصحفى الصريح بين أم كلثوم وأحمد رامى، لكن عندما تتأمل ما كتبته أم كلثوم، ستكتشف أن بداية معرفتها برامى كان بداية عادية جدًا، لا مكان فيها لحالة الأسطورية التى أحاطها بها الرواة.

فلم تعرف أم كلثوم رامى من نفسها بذكائها وملاحيتها، بل كان هو من قدم نفسه إليها، ولم تغن «الصب تفضحه عيونه» فى الوصلة الأولى بالحفل الذى التقيا فيه للمرة الأولى، بل غنتها عندما عرفت أنه موجود، ولم يزرها فى بيتها فى اليوم التالى مباشرة للقائها، بل حدث هذا بعد إجازتها التى قضتها فى رأس البر.

كان اللقاء بينهما قدرًا، وهذا يكفى، ولم يكن فى حاجة إلى جعله أسطوريًا، لكنها آفة الروايات ورواتها.

أم كلثوم

بقلم : أحمد رامى

رنة العود شدوها وصداها ... حنة الناى أو أنين الكمان
خلقت آهة فكانت عزاء ... من هموم الحياة والاحزان
وجرت دمعة فكانت شفاء ... للمعنى ورحمة للمعانى
وسرت انة فكانت غناء ... يطلق الروح فى سماء الامانى
ويراها الخلاق من خفة الـ ... ظل ومن رقة النسيم الوانى
وترا مطرب المحنين اغنا ... ولهاة كالخالص الرنان
يرسل الشعر منطقا عربيا ... بين الأى واضح التبيان
تتناغى الالفاظ فيه من الـ ... نطق سلسا وتستبين المعانى
فاذا صورة تجلت الى الـ ... عين وغابت فى مستقر الجنان

هذه صورة عابرة لتلك القيثارية الساحرة التى تملأ الشرق طربا وأدبا عرفتها فى مستهل حياتها الغنائية بالقاهرة يسمعها الف ينصتون اليها فى استغراق فتحملهم على أجنحة الطرب الى حيث تسبح الارواح وتتناجى القلوب .

وظللت أسمعها الى الان فما وجدت اعذب منها صوتا ولا أمد نفسا . وما لقيت اسلم منها أداء ولا أشد اخلاصا للفن .

يعرض عليها اللحن فتقول لصاحبه : « اسمعنى » وتسمعه وهى مقبلة على هذا الجديد من النغم وفى وجهها اشراقة السرور ، وتظل تنصت اليه ساكنة ثم تقول له : « اسمعنى» وتسمع وفى صدرها هدير النغم وعلى شفتيها غمغمة الخالى بنفسه ثم تقول له : « اسمعنى » وتغنى معه بصوت خافت لا يقطع عليه انطلاقه فى الغناء ، ثم تنظر اليه وهى تقول: « الان اعزف انت وأغنى انا » ثم تغنيه وحدها وهو يعزف ، فما تنث عن الاصل قيد شعرة ، وقد تضيف اليه من الوان صوتها الغنية مايزيده عذوبة وحلاوة ..

٢٤

مقال «أحمد رامى»

يقول: أم كلثوم سليمة الذوق فيما تعمل، ترى الشىء الجديد عليها فتفطن إلى حينه سواء أكان ذلك حديثًا شهيًا أو رأيًا سريًا

دخلت أم كلثوم إلى رامى مدخلًا نفسيًا لكن ذلك لم يمنعها أن تقول عنه

بعد أن نثرت علينا أوصافه: ذلك هو رامى شاعر الشباب والفنان الذى جدد شباب الأغانى المصرية

نعيش هذه الأيام ذكرى رحيله الثالث والثلاثين، التى تنتصر على الحر المنهك، وتحوله إلى واحة رطبة، منعشة، تريح الأعصاب، نقطف من أشجارها، ما لذ وطاب، من ثمار الأدب الرفيع، والكلمات المتمردة على أبجدية اللغة، وآفاق الخيال العقيمة المحدودة.

جاء إلى الوجود، ليجعله موجودًا، كما يحب، وكما يؤمن. لا يحب أن يمسك العصا من المنتصف، أو يوافق أهواء الحكام، أو يغازل رجال الدين، لكى يفوز بجائزة نوبل، أو جائزة أحد أمراء أو ملوك النفط.

كان متواضعًا، حينما قال: ,أنا لا أقول كل الحقيقة، ولكن كل ما أقوله حقيقى. تواضع متفلسف، ورؤية عميقة، لا تدعى الانتصار على طول الخط، وكلمات تدعو إلى التأمل، والتفكير، والإعجاب، والحيرة.

أحب أن أسميه ,أديب النار، يحرق بقصصه، ورواياته، الأشياء، ومن الرماد، تخرج النباتات والزهور، لواحد استثنائى من أنبياء الأدب، ورسل الكلمات.

هذه الأيام، تمر الذكرى الثالثة والثلاثون، لرحيله عن المتعة الوحيدة التى عاش، بأنفاسها، ومن أجلها، فارق الحياة.

د. منى حلمى

يوسف إدريس.. أديب ينبش جدار القبر حتى يواصل الكتابة

مرت ثلاث وثلاثون سنة، وأصابعه تؤرقه فى مثواه الأخير، تريد أن تنبش جدار القبر، أن تزيح أكوام التراب، أن يخلع الكفن المبكر دون مبرر، ليرجع إلى أوراقه، وإلهاماته.

أنا متأكدة، أن كاتبًا مثل «يوسف إدريس»، من المستحيل أن يتوقف عن الكتابة، ولو بالموت. على يقين، أنه يكتب من تحت الأرض، بعد أن نضجت تجربته بخبرة الموت. ويتلقى كتاباته كل منْ لديه، ومنْ لديها، «رادار» داخلى، من طراز فاخر، ويترجم ما يمليه، إذا كان للموت لغة سرية، وقاموس ممتلئ بالأسرار.

«ما زلت أتذكر تلك الليلة، كنت فى زيارة للصديقة نوال السعداوى، وزوجها الدكتور شريف حتاتة، وهما فى غنى عن التعريف، فنوال كاتبة مفكرة ثائرة.. قصاصة.. كتلة ملتهبة من الشمس، انفصلت واستقرت على الأرض، ولا تزال شمسًا ملتهبة، لم تبرد بعد، ولا أعتقد أنها ستبرد، وشريف حتاتة، قضى نصف حياته مسجونًا سياسيًا، ودرس الطب بنبوغ، والآن أصبح من الروائيين الجدد المعدودين فى مصر..

عرّفانى بابنهما عاطف حتاتة، وابنة نوال، مُنى حلمى.....

من أول لحظة، أحسست أن هذه الفتاة، التى لا تتكلم إلا نادرًا، فيها شىء خفى ما...

ولهذا لم أفاجأ أبدًا، حين ذكرت لى نوال، أن منى، تكتب قصصًا...

بيت من الُكتاب.. يا له من بيت.. قرأت لها قصة، وفى الحال أحسست أنها كاتبة وستكون، بل أيضًا أحسست نوع كتابتها.. إنها نساجة (كانافاه) من الأحاسيس الدقيقة التى تصدر عن نفس ناعمة جدًا، طبيعية تمامًا وغير طبيعية بالمرة، وإذا لم تكن هذه صفات أو بعض صفات الفنان، فماذا تكون؟....».

هذه بعض من كلمات يوسف إدريس، التى تضمنتها مقدمته، لكتابى الأول، مجموعة قصصية، صدرت عن دار مدبولى، القاهرة، بعنوان «أجمل يوم اختلفنا فيه».

كيف أنساه؟. رجل، أديب، ثائر، وسيم، متجدد، جنونه مبدع، متوهج، وإبداعاته جنون. صديق قديم، حميم، لأسرتى، تحمس من تلقاء نفسه، لكى يقدمنى هو شخصيًا، لا أحد غيره، فى أجمل ثوب.. كاتبة، وأديبة، من نسج كلماته «اليوسفية الإدريسية».

اتصلت به، لأشكره، قال: «لا يمكن أن تكون ثمرة، نوال وأحمد حلمى، إلا أديبة، مثلك».

يوسف إدريس، أديب نادر، تجرأ وجعل من القصة «القصيرة»، «أطول»، متعة للعقل، والعاطفة، وكرامة الوعى، وشموخ التمرد، الذى لا يخاف شيئًا، إلا لحظة فتور، أو تردد، أو تراجع، أو مهادنة.

صفات الفنان، فماذا تكون؟....».

يوسف إدريس، حين تمسك أصابعه بالقلم، تنطلق الكلمة كالرصاص، تخترق الدروع، التى نرتديها، فتسقط أقنعة الزيف، والقبح، والخواء. يكتب، تنهار الأسوار الحديدية، والقيم الأسمنتية، المشيدة آلاف السنوات، بين «الأسياد»، و«الضرافير».

كانت الكلمة، الصادمة، المشحونة بالصدق والصراحة، والبتر الموجع دون مخدر، هى الهواء الذى يتنفسه، يوسف إدريس. وحينما، لم يكتبها مات. حينما لم يكتبها، كتبته النهاية، «كلمة» لن يجف أبدًا، حبرها.

هو كاتب، بدرجة جرّاح. القلم فى يديه، كالمشرط. والجسد الملقى أمامه، ممتلئ بالعلل، والدمامل، والجروح، والحروق، والبؤر الصديدية.

ضد الاحتلال الإنجليزى. ذهب أبى للحرب مع الفدائيين فى القنال. وعاد بعد فقدان صديقه الحميم، أحمد المنيسى.

وكان أبى كاتبًا رفيعًا، وخطيبًا مبدعًا. وكانت الكتابة، والثورة ضد الاحتلال، وعشق الحرية، هى ما وطدت الصداقة، بين أبى أحمد حلمى، وأمى نوال السعداوى، ويوسف إدريس.

أصدر أبى، مجلة شعلة التحرير، ورأس تحريرها، وكانت أولى الصفحات، شهادة ميلاد، كاتب عظيم، الطالب يوسف إدريس.

فى إحدى زياراته لنا، حدثنى يوسف إدريس، عن أبى، وعيناه تشردان فى الذكريات البعيدة، التى لن تعود.

قال: «تعرفى يا مُنى أبوكى ده كان له قلم عظيم، رومانسى، وثائر، وممتع، هو أول منْ شجعنى على الكتابة، واكتشف موهبتى. أول قصة، كتبها فى مجلة شعلة التحرير، اسمها (كلب وغلام)، كانت حديث الكلية. كنا نغار منه، لقلمه الفريد، ووسامته، ولأنه أيضًا، استطاع بسهولة أن يستأثر بقلب، نوارة الكلية، وطالبتها المثالية، والأديبة الموهوبة، نوال. لكن حرب الفدائيين، وفساد السياسة، وموت واحد من أقرب أصدقائه بين ذراعيه، صدمته، وأحدثت جُرحًا عميقًا، لم يلتئم.. أصل أبوكى ده، مرهف، وحساس جدًا، مستغربتش لما عرفت إنه، بيعالج الفقرا فى عيادته مجانًا وعشان كده مات، ولم يترك إلا سيرته النبيلة فى قلب نوال، وابنة موهوبة فى الكتابة والشعر والحرية».

انفصلت أمى، نوال، عن أبى أحمد، باتفاق متحضر، بعد ميلادى بعدة أشهر.

جمعت الصداقة الحميمة النادرة، بين يوسف إدريس، وأمى، وشريف حتاتة، ١٣ سبتمبر ١٩٢٣- ٢٢ مايو ٢٠١٧، أبى غير البيولوجى، الطبيب، والمناضل، والكاتب، نبيل المبادئ والطباع، عشت كل عمرى معه، ولم أحمل اسمه، والذى منحنى أروع الأبوة، وأكثرها حنانًا، ورقيًا، وجعلنى أكتشف أن رابطة الدم، ما هى إلا أكذوبة، من أكاذيب العالم الدموى، والأسرة الذكورية ذات النسب الأبوى الواحد الأحادى ربما فى وقت ما، سأغير اسمى، توخيًا للعدالة والأمانة، إلى «منى نوال حلمى شريف».

كان هو الزوج الوحيد على كوكب الأرض، الذى يصلح لأمى، ويفهم طموحها، يدعم مواقفها وقضيتها، ويستطيع أن يستوعب كيف لامرأة، أن تنام وتصحو مع الكلمات، ولا تتردد فى الاستغناء عن أى شىء، يعطلها عن الكتابة، وتحقيق موهبتها إلى الذروة.

فى بيتنا بالجيزة، حيث كان يوسف إدريس يسكن قريبًا منه، كانت السهرات المنتظمة، تجمع بين، يوسف إدريس، ونوال، وشريف. وكنت أحرص على ألا تفوتنى سهرة، رغم صغر سنى حينئذ.

أجلس معهم، أسمعهم يتناقشون فى الفن والسياسة، والطب، والكتابة، والتغيير، وأحوال البلد، والعالم، عبودية الرجال، والنساء، وسجون القهر، ومتعة الحرية، ولذة التمرد، والإصرار على إيمانهم بأنفسهم، والتشبث بالمبدأ، رغم التحديات، والمعارك، كل بطريقته، وأسلوبه، وأولوياته.

تصطدم بعض أفكارهم، لكن إنسانيتهم وصداقتهم الحميمة، لا تصطدمان أبدًا. يفور دمهم، ويتشاجرون، ويحتد بهم النقاش، ثم يضحكون، بعدها بلحظة واحدة، ويلقون النكات، كأن شيئًا لم يكن. وفعلًا، كنت أراهم ثلاثة من الأطفال الكبار، ومختلفين جدًا، إلى حد التشابه المدهش.

فى إحدى السهرات، قالت نوال أمى، مخاطبة يوسف إدريس: «أنت مش محتاج ولا مطلوب منك، أن تصفق للنظام..». يسكت يوسف لحظات، ثم يقول: «إحنا دايمًا نختلف على الموضوع ده، وأنتى مش قادرة تفهمينى.. لازم يا نوال تعملى كبارى مع السلطة، والا هيعتموا على كتاباتك، عندهم خبرة طويلة فى تهميش وتشويه المعارضين.. بصراحة معنديش استعداد أديهم الفرصة دى».

يرد شريف: «مش من حقى ألومك يا يوسف.. بس أنا شايف إنه لازم نخلق تيار يقدر يتواجد ويوصل صوته وكتاباته للناس، مستقل عن دعم النظام، وعنده ثقة أن الوقت فى صالحه».

ترد نوال: «لو تنازلت مرة واحدة، هتتنازل على طول. أنت نجحت إنك تعمل كبارى مع السلطة، كويس... استمر. أنا بقى مهمتى أهدم الكبارى دى».

يرد يوسف إدريس مخاطبًا شريف: «أنت عايش ازاى مع الست دى يا شريف؟».

دى واحدة خطر، عاوزة تهدم، ولا يمكن تمشى غير اللى فى دماغها.. أنت مش خايف؟.

يرد شريف ضاحكًا، ممسكًا بيد نوال: «فعلًا حاجة تخوف».

وينفجرون جميعهم فى الضحك. وأضحك معهم. وعلى غير توقع، يسألنى يوسف إدريس، «رأيك إيه يا منى.. اوعى تكونى زى نوال؟» كنت وقتها فى السنة الأخيرة، من الجامعة، ومن حسن الحظ، كنت أقرأ الليلة الماضية عن حياة الأديب الروسى دوستويفسكى. قلت:

«دوستويفسكى بيقول، إن الكاتب لازم يستمر فى الطريق الصعب، حتى لو اضطر إنه يمشى لوحده».

وهكذا، كان شعورى دائمًا، بيوسف إدريس، أنه واحد من أسرتى، التى أعتز، وأزهو بالانتماء إليها. وكم كنت محظوظة بهذه الأسرة.

فى إحدى السهرات، قال شريف، مداعبًا يوسف إدريس: «أنت هاتخبى عليا.. كنت بتحب نوال من أيام الكلية، بس أحمد حلمى جه وخطفها منك». قال يوسف: «ومين يقدر ميحبش نوال؟؟... زمايلنا كلهم كانوا واقعين فيها، وهى ولا هى هنا.. مدخلش مخها غير أحمد». ترد أمى نوال ضاحكة: «أنا متخطفش يا يوسف، أنا اللى خطفت أحمد، مش هو اللى خطفنى». ويرد شريف ضاحكًا: «بالضبط زى مخطفتنى يا يوسف.. حد يقدر يخطف الست دى، مين ده، ولا الجن الأزرق». يضحكون، يتبادلون أحدث مؤلفاتهم، ويعلقون على ما يحدث فى البلد، وفى العالم.

«يوسف إدريس»، المعجون بالجنون اللذيذ، عاشق الكلمة. وردت الكلمة له، العشق بالعشق، وحجزت باسمه مكانًا، على مائدة الخلود، صعبة الإرضاء.

«يوسف إدريس»، أديب من طراز فاخر جدًا، وثائر من قماشة نادرة جدًا. ممتلئ بالشغف، والدهشة، والتناقضات اللذيذة الضرورية، لصناعة إنسان يتغير فى كل لحظة، وبدونها، لا يمكن لكاتب أن يبدع قصصًا مثل، خمس ساعات، قاع المدينة، أرخص ليال، بيت من لحم، جمهورية فرحات، البطل، لغة الأى آى، ليلة صيف، العتب على النظر، لا وقت للحب، على ورق سوليفان، العسكرى الأسود، رجال وثيران، العيب، اقتلها، الحرام، حادثة شرف، إلا إذا كان يتمتع بالجنون الضرورى، لتحطيم الأصنام الموروثة.

يوم موت يوسف إدريس، كان يومًا صامتًا فى بيتنا. إنه الصمت الذى يلفنا، حين يصبح وجع وحزن الرحيل، أكبر من أبجدية الكلام. وحين بعد نسيان مؤقت، ندرك أننا جميعًا راحلون، مهما كانت مواهبنا ونبل مبادئنا. كلنا رغم النار التى أشعلناها، فى وجه القبح والقهر والزيف، يطفئنا التراب.

كانت هذه بعض اللقطات المضيئة، المنحوتة داخلى، من ذكرياتى مع واحد من عباقرة الأدب، السهل الممتنع فى تشكيل الكلمات.. يوسف إدريس.

أكتب عنه، فى ذكرى رحيله الثالثة والثلاثين، بعد أن رحل أصدقاؤه الثلاثة، أحمد، وشريف، ونوال.

وينهمر البكاء الدافئ، المقهور، عديم الحيلة، يبلل جفاف الأيام. فقد كانوا كل ما أملك.

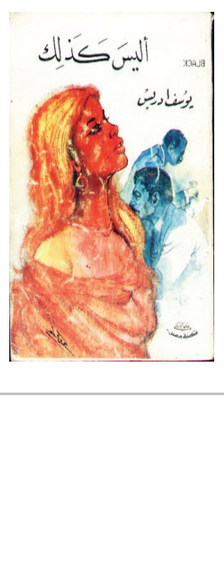

«السيرة والمذكرات» منطقتى المفضلة فى القراءة من صغرى، فيها وجدت سحر الحياة وسرها، جنونها وحكمتها، فرحها وغضبها، وأيضًا رضا الإنسان وتمرده، تجبره واستسلامه، توهجه وانطفاءه، وفى مساحات متباينة بين الواقع والخيال، الصدق والكذب، الزهو والتواضع، الحب والكره، الحلو والمر، قضيت الأيام والليالى وخاصة فى سنوات التكوين، فلم أجد سيرة ومذكرات المشاهير فى مختلف المجالات إلا قصص نجاح مُلهمة، بخلاف أنها جاءت دائمًا مدخلًا لقراءة دفتر أحوال البلد فى حياة صاحب السيرة أو المذكرات، كل هذا مَثل الدافع الأكبر نحو التخصص بالأساس فى هذا المجال وقتما أصبحت ناشرًا، وهنا فى «حرف» نفتح ملفًا نستعرض فيه بعضًا مما قرأت فى «السيرة والمذكرات».

حسين عثمان

الأيام

من عتمة الليل النهار راجع

أتذكر جيدًا شتاء ١٩٧٩، تحديدًا مطلع العام فى يناير، توقيت العرض الأول لمسلسل «الأيام» عن سيرة عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين، قام بدوره فى المسلسل أحمد زكى، وأخرجه يحيى العلمى، ولا يمكن الحديث عن بطولات المسلسل دون ذكر روائع الثلاثى الذهبى سيد حجاب وعمار الشريعى وعلى الحجار، تتر المسلسل وفواصله الغنائية، والتى كانت فتحًا فى مسيرة الدراما التليفزيونية، فإذا ما عدت إلى تلك الأيام، لا أنسى حرص والدى، رحمة الله عليه، على أن تجتمع الأسرة يوميًا لمشاهدة المسلسل، كنت صبيًا لا يتجاوز عمره ٨ سنوات، وكان الوالد من رجال التربية والتعليم، ويعلم جيدًا قدر طه حسين، كما يعلم ما يمكن أن يتركه المسلسل من أثر فى تكوين صبى فى مثل عمرى، خاصة أن المسلسل يبدأ بطفولة العميد، ولا بد أن يجذب طفل على شاشة التليفزيون انتباه نظيره الجالس يشاهده، فما بالك والطفل بطل المسلسل يعانى فقدان بصره، كان المسلسل وكواليسه الأسرية بداية اتصالى بعالم طه حسين الاستثنائى، أحد أفضال أبى العظيم صاحب الفضل كله، وبعدها بسنوات قليلة كانت «الأيام» ضمن اختياراتى لقراءة الإجازة الصيفية بعد حصولى على الشهادة الإعدادية، وكنت قد قرأت قبلها «أنبياء الله» للأطفال لـ«أحمد بهجت»، فوضعا معًا حجر الأساس لشغفى بقراءة السيرة والمذكرات، هكذا بدأ التكوين.

1 طبعة المكفوفين

صدرت «الأيام» لأول مرة عام ١٩٢٩، وكان عمر طه حسين وقتها ٤٠ عامًا، فهو من مواليد «مغاغة» بمحافظة المنيا عام ١٨٨٩، كتبها إذًا فى سن النضج المتعارف عليها، وإن كانت معايير السن والنضج مع العميد تختلف قطعًا عنها فى العموم، ثم صدرت «الأيام» بعد ذلك فى طبعات متعددة على مدار سنوات طويلة وعن دور نشر مختلفة فى مصر وخارجها، ومع شيوع حقوق مؤلفات طه حسين حال مرور ٥٠ عامًا على وفاته فى أكتوبر الماضى ٢٠٢٣، أصبحت «الأيام» ملكًا للجميع فى مصر وخارجها أيضًا، بضاعة طه حسين رائجة فى كل وقت، ليتنا ندرك قيمة مضمونها النفيس قدر ما ندرك قيمة تجارتها الرابحة.

من ضمن طبعات «الأيام» صدرت طبعة خاصة للمكفوفين بطريقة برايل، صدرها عميد الأدب العربى فى ١٥ ديسمبر ١٩٥٤ بمقدمة نقلتها لأول مرة من طبعة المكفوفين طبعة «الأيام» الكاملة بأجزائها الثلاثة الصادرة فى كتاب واحد عن مركز الأهرام للترجمة والنشر عام ٢٠٠٤، تعالوا نستمتع بقراءتها معًا:

«هذا حديث أمليته فى بعض أوقات الفراغ لم أكن أريد أن يصدر فى كتاب يقرأه الناس، ولعلى لم أكن أريد أن أعيد قراءته بعد إملائه وإنما أمليته لأتخلص بإملائه من بعض الهموم الثقال والخواطر المحزنة التى كثيرًا ما تعترى الناس بين الحين والحين.

وللناس مذاهبهم المختلفة فى التخفف من الهموم والتخلص من الأحزان، فمنهم من يتسلى عنها بالقراءة، ومنهم من يتسلى عنها بالرياضة، ومنهم من يتسلى عنها بالاستماع للموسيقى والغناء، ومنهم من يذهب غير هذه المذاهب كلها لينسى نفسه ويفر من حياته الحاضرة وما تثقله به من الأعباء. ولست أدرى لماذا رجعت ذات يوم إلى ذكريات الصبا، أتحدث بها إلى نفسى فيما بينى وبينها، وإنما تحدثت إليها حديثًا مسموعًا، فأمليت هذا الكلام على صاحبى فى رحلة من رحلات الصيف، ثم ألقيته جانبًا ونسيته أو كدت أنساه.

ثم طلبت إلى مجلة الهلال فى عهدها الماضى طائفة من الأحاديث وألحت فى الطلب حتى لم أجد بُدًا إلى إجابتها، ولم أكن أملك الوقت الذى يتيح لى أن أكتب إليها الأحاديث التى أرادتنى عليها. فعرضت هذا الكلام على صديق ليقرأه ويشير علىّ فيه، أيصلح للنشر أم لا يصلح، فقرأه الصديق وأشار علىّ بألا ألقى إليه بالًا. فاعتذرت إلى (الهلال) ولكنها أبت إلا الإلحاح، فدفعت إليها هذا الكلام على كُرهٍ منى، وقد نَشَرَته. فرضى عنه بعض الناس ثم جمعه بعض الأصدقاء فى سفرٍ واحد.

وكذلك وُجِد هذا الكتاب على غير إرادة منى لوجوده، وما أكثر ما تحدثت بهذا الحديث إلى الذين قرأوا هذا الكلام، فمنهم من صدقه ومنهم من أنكر.

وأنا مع ذلك لم أقل إلا الحق، ومهما يكن من شىء، فقد وُجِد كتاب الأيام، وأُضيف إليه جزء ثانٍ، كُتِب على نحو ما كُتِب الجزء الأول. وليس أحب إلى نفسى ولا أحسن موقعًا فى قلبى، من أن يُقَدم هذا الكتاب إلى زملائى وأصدقائى فى هذه المحنة، ولا أرى فيها قسوةً أو شيئًا يشبه القسوة. وإنما هى آفة من الآفات الكثيرة التى تعرض لبعض الناس فى حياتهم فتؤثر فيها تأثيرًا قويًا أو ضعيفًا.

والذين يقرأون هذا الحديث من المكفوفين، سيرون فيه حياة صديقٍ لهم فى أيام الصبا تأثر بمحنتهم هذه قليلًا حينَ عرفها، وهو لم يعرفها إلا شيئًا فشيئًا حين لاحظ ما بينه وبين أخوته من فرق فى تصور الأشياء وممارستها.

وقد تأثر بهذه المحنة تأثرًا عميقًا قاسيًا، لا لشىء إلا لأنه أحس من أهله رحمةً له وإشفاقًا عليه، وأحس من بعض الناس سخريةً منه وازدراءً له، ولو قد عرف أهله كيف يرعونه دون أن يُظهِروا له رحمةً أو إشفاقًا، ولو قد كان الناس من رُقى الحضارة وفهم الأشياء على حقائقها بحيث لا يسخرون من الذين تعتريهم بعض الآفات، لا يزْئون لهم ولا يُظهِرون لهم معاملة خاصة يتكلفونها تكلفًا، لو قد كان من هذا كله، لعرف ذلك الصبى وأمثاله محنتهم فى رفق، ولاستقامت حياتهم بريئة من التعقيد، كما تستقيم لكثير غيرهم من الناس.

والحمد لله على أن هذا الصبى لم يستسلم للحزن ولم تدفعه ظروفه إلى اليأس وإنما مضى فى طريقه كما استطاع أن يمضى، محاولًا الخير لنفسه وللناس ما أُتيح له أن يحاول من الخير. وما أكثر الذين قهروا هذه المحنة خيرًا مما قهرها، وانتصروا عليها خيرًا مما انتصر عليها، وقدموا لأنفسهم وللناس أكثر وأنفع وأبقى مما قدم، ولكن كل إنسان مُيَسر لما خُلِق له، لا يبذل من الجهد إلا ما تبلغه طاقته.

وأنا أتمنى أن يجد الأصدقاء المكفوفون فى قراءة هذا الحديث تسليةً لهم عن أثقال الحياة كما وجدت فى إملائه وأن يجدوا فيه بعد ذلك تشجيعًا لهم على أن يستقبلوا الحياة مبتسمين لها كما تبتسم لهم ولغيرهم من الناس، جادين فيها لينفعوا أنفسهم وينفعوا غيرهم، متغلبين على ما يعترضهم من المصاعب وما يقوم فى سبيلهم من العقبات بالصبر والجهد وحسن الاحتمال وبالأمل المتصل والرجاء الباسم.

فالحياة لم تُمنح لفريقٍ من الناس دون فريق، وحظوظها من اليسر والعسر ومن الشدة واللين ليست مقصورة على المكفوفين وأصحاب الآفات دون غيرهم من الناس، ولو قد عرف الإنسان ما يلقى غيره من المصاعب وما يشقى به غيره من مشكلات الحياة، لهانت عليه الخطوب التى تعترضه ولعرف أن حظه خير من حظوظ كثيرٍ من الناس وأنه فى عافية مما يُمتحن به غيره من الأشقياء والبائسين على ما أُتيح لهم من الصحة الموفورة ومن تمام الآلة واعتدال المزاج واستقامة الملكات.

والمهم هو أن يلقى الإنسان حياته باسمًا لها لا عابسًا، وجادًا فيها لا لاعبًا وأن يحمل نصيبه من أثقالها ويؤدى نصيبه من واجباتها، ويحب للناس مثلما يحب لنفسه ويؤْثِر الناس بما يؤْثِر به نفسه من الخير، ولا عليه بعد ذلك أن تثقل الحياة أو تخف وأن يرضى الناس أو يسخطوا، فنحن لم نُخلق عبثًا ولم نُترك سدى ولم نُكلف إرضاء الناس عنا، وإنما خُلِقنا لنؤدى واجباتنا وليس لنا بدٌ من تأديتها، فإن لم نفعل فنحن وحدنا الملومون وعلينا وحدنا تقع التبعات».

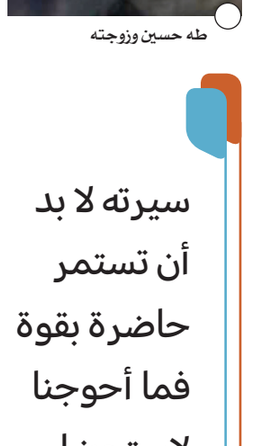

طه حسين وزوجته

> سيرته لا بد أن تستمر حاضرة بقوة فما أحوجنا لاستحضار بصيرته النافذة حتى نستعيد يومًا سطوة العقل وصوت الحكمة

2 دروس وعِبَر

يا الله!.. أهذا حديث للمكفوفين فقط؟!.. لا والله هو إلهام إنسانى لعموم الناس.. مُقَدمة أحسن مركز الأهرام للترجمة والنشر أن قرر تصدير طبعته لـ«الأيام» بها لأول مرة، فهى فى اعتقادى تُظهِر دوافع طه حسين فيما وراء كتابته لسيرته الذاتية الملهمة العابرة للأجيال، وكيف أن كتابته لها شكلت نوعًا من أنواع التجرد من العقدة فى سن النضج، وإلى حد وصفها بقوة بالأفة بثقة وفى أكثر من موضع، كما تعطى لقارئها دروسًا وعِبرًا فى كيفية مواجهة تحديات الحياة إنسانيًا ومهنيًا، وأيضًا تؤسس لثقافة التعامل مع اختلاف البشر، والذى احتجنا لعقود طويلة بعد طرح رؤية العميد هذه ليصبح عنوانًا هامًا لواحدة من أهم القضايا فى حياتنا، وإن كان مجتمعنا لا يزال فى معظمه على حال جهله فى التعاطى معها، ومع هذا كله نلمس فى مقدمة العميد للمكفوفين مرارةً لم تغادر أحاديثه على مدى عمره، خاصة حينما يتعلق الأمر بسؤال الجدوى فى حياته، وله كل الحق، فحتى الآن لا نستطيع أن نجزم بالاستفادة من منجزه، كما كان يتمنى ويطمح.

3 كتاب «الملاح» المدخل

مثل طه حسين من المفكرين أصحاب المشروعات الإنسانية والمهنية الثرية الملهمة، متعددة أوجه المعرفة والتنقيب والتجديد والإبداع، فى إطار أشكال أدبية وفكرية ونقدية عديدة ومتنوعة، طوال سبعة عقود أو يزيد من العطاء المتواصل والمستمر، مثل هؤلاء يحتاج القارئ فى الغالب إلى خارطة طريق ترشده فى سهولةٍ ويسر، وتضع يده بسلاسة على ملامح المشروع وأهم محطاته، وما أحاط به من أجواء وخلفيات ساهمت بشكلٍ أو بآخر فى تأسيسه والعمل عليه، ولعلك تلاحظ أن أسئلة القراءة حاليًا تدور بين جموع القراء حول.. من أين نبدأ؟.

فإذا ما أردت مدخلًا لقراءة «مشروع طه حسين» فعليك بكتاب الناقد والكاتب والباحث المتخصص فى التراث الثقافى إيهاب الملاح، وهو الصادر عن دار الرواق للنشر والتوزيع عام ٢٠٢١، الكتاب يأتى فى أربعة أبواب، يفسر أولها أهمية تجديد ذكرى العميد، قبل أن يطل بنا «الملاح» على سيرة العميد ومراحله التكوينية، ثم علاقة طه حسين بأساتذته فى الجامعة وعلاقته بتلاميذه بعدما صار أستاذًا جامعيًا، وينتهى بنا وقوفًا على صلته الوثيقة بناشره الأشهر «دار المعارف» والتى عرفته بأقدم قائمة لمنشوراتها عام ١٩٣١ هكذا: «الدكتور طه حسين، عميد كلية الآداب فى الجامعة المصرية، من دهاقين الأدب العربى وأساطينه، صاحب الصيت الذائع بمباحثه الرائعة فى مختلف فنون الآداب والعلم، أما مؤلفاته فهى من الطراز الأول فى غزارة المادة، وقوة البيان، يتهافت عليها قراء العربية فى جميع الأقطار والأصقاع، وتهافت الجياع على القصاع».

بينما يستعرض الباب الثانى «حول العميد.. طه حسين فى مرايا الأجيال» سيرة العميد طرف الآخرين، ومن بينهم صاحب نوبل نجيب محفوظ، زوجة العميد الفرنسية سوزان بريسو شريكة حياته طوال ٥٠ عامًا وكتابها «مَعَك» سامى الكيالى المثقف والأديب والشاعر السورى الكبير، تلميذته الأثيرة سهير القلماوى، الباحث عبدالرشيد الصادق المحمودى جامع تراث العميد بالفرنسية، ولويس عوض.

أما معارك طه حسين، والتى لا يزال صداها حاضرًا مهما غاب، فقد خصص لها إيهاب الملاح الباب الثالث من كتابه تحت عنوان «سجالات حول العميد.. قديمًا وحديثًا».. وكان لا بد وأن تكون معركة «فى الشعر الجاهلى» هى فاتحة هذا الباب، يقول «الملاح»: «لم يُثِر كتاب فى تاريخ الثقافة العربية الحديثة ما أثاره كتاب (فى الشعر الجاهلى) الذى أصدره طه حسين فى مارس من العام ١٩٢٦، قامت الدنيا ولم تقعد بسبب هذا الكتاب- وربما حتى اللحظة- حيث زُج بالدينى والسياسى فى التفسيرات التى قدمت له، واندلع طوفان من الهجوم الدعائى الجارف ضد طه حسين، وحملة غير مسبوقة على الكتاب وصاحبه، لم ينلهما كتاب مثله فى تاريخ الفكر العربى الحديث حتى يومنا هذا».

4 ميثاق شرف

ومن الباب الرابع «ملحق النصوص والصور» أقف بكم عند كلمة طه حسين فى الاحتفال باليوبيل الذهبى لناشره مؤسسة دار المعارف، والتى أعدها دستورًا حاكمًا وميثاق شرف لعلاقة الناشر بالمؤلف، ومنها نقرأ معًا:

«أما أنا فلم يُتح لى الاشتراك فى العيد الفضى لمطبعة المعارف ومكتبتها، ولستُ أدرى أكنت فى ذلك الوقت أدنى إلى الشباب من السادة الذين أحيوا هذا العيد، ولكن المحقق أنى كنت فى أوروبا أُتم دراستى فى باريس. كما أنى لم أُدع إلى الكلام فى إحياء هذا العيد الذهبى، ولكنى طلبت أن يُؤذن لى بالكلام، لأنى أحسست حاجةً قوية إلى أن أشارك فى تكريم مطبعة المعارف ومكتبتها، وإلى أن أعترف بفضلها فى تشجيع الإنتاج الأدبى، ودفع الأدباء إليه.

ولقد رجعت من أوروبا، وفى نفسى صورة ممتازة لما انتهت إليه الصلة بين الأدباء والناشرين فى هذا العصر الحديث، فهى صلة تقوم على التعاون ولا تقوم على الاستغلال، فالناشر ينظر إلى الأديب المُنتِج على أنه شريكه فى خدمة المعرفة والثقافة وتمكين العقل من أن يوصل ثمراته إلى أبعد مدى، وإلى أكثر عدد ممكن من القراء، والأديب ينظر إلى الناشر على هذا النحو نفسه، وقد انتهى ذلك العصر الذى كان نشر الثقافة فيه تجارة يسعد بها الناشر والطابع، ويشقى بها العالم والأديب.

رجعت من أوروبا، وفى نفسى هذه الصورة الرائعة، ولست أخفى عليكم أنى أنفقت وقتًا غير قصير ألتمس هذه الصورة فى مصر، فلم يُتح لى الاهتداء إليها إلا حين اتصلت بمطبعة المعارف ومكتبتها، هنالك لم أحس الارتياح إلى العلاقة بينى وبين الذين أخذوا ينشرون كتبى، وإنما أحسست شيئًا أكثر من ذلك وأقوى، أحسست تعاونًا يقوم على المودة والوفاء، وما لى لا أصارحكم ببعض الحق، وما طلبت الكلام إلا لأصارحكم ببعض الحق».. وأترك لكم هنا التعليق قياسًا على أحوال التأليف والنشر حاليًا.

سيرة عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين لا بد أن تستمر حاضرة بقوة، فما أحوجنا لاستحضار بصيرته النافذة حتى نستعيد يومًا سطوة العقل وصوت الحكمة.

طه حسين:

«ولست أخاف على المصلح عدوًا أكثر مما أخاف عليه الرأى العام، فإن للجمهور على النفوس سطوةً قاهرةً، قلما يقاومها إلا أشد الناس بأسًا وأصدقهم عزمًا، وأقواهم عارضة».

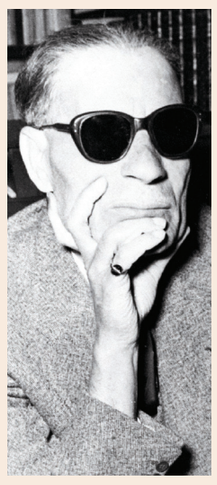

نجيب محفوظ:

«اعتبرنا جميعًا فى شبابنا أن ثورة طه حسين ضد المناهج القديمة هى انتفاضة عقلية موازية للثورة الحقيقية التى فجرها سعد زغلول على أرض الواقع».

لويس عوض:

«طه حسين خرج بالمثقفين من عزلتهم السياسية، وحطم ذلك الحاجز السميك الذى كان يفصل الفكر عن الحياة، والأدب عن المجتمع، والخاصة عن الجماهير».

50

لم يتعرض كاتب روائى، أو شاعر، أو مسرحى، أو قاص، مثلما تعرض الكاتب المسرحى الكبير توفيق الحكيم من هجوم يكاد يكون كاسحًا، ولم يترفق الناقدون من الكتّاب والصحفيين والمفكرين برجل له رصيد من الإبداع المسرحى والروائى والقصصى والفكرى على مدى أكثر من نصف قرن من ناحية، ومن ناحية أخرى كان الحكيم قد تجاوز الخامسة والسبعين من العمر المديد، إذ كانت الحملة التى اندلعت دون تنظيم أو تمهيد غير طبيعية، للدرجة التى جعلت الحكيم يتراجع، ويكشف عن أوراق وأحداث قديمة لم تكن الأجيال الجديدة تدركها، ولا تعرف عنها شيئًا.

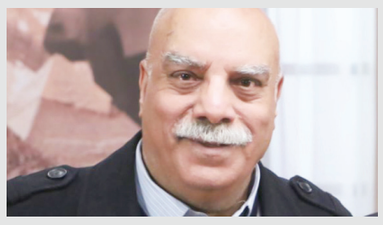

شعبان يوسف

عامًا على محاكمة توفيق الحكيم

هل كان الأمر سيكون مختلفًا لو حدث مع آخرين، مثل نجيب محفوظ، أو طه حسين، أو يحيى حقى، وهذا افتراض يكاد يكون سيرياليًا، لأن هؤلاء الثلاثة على وجه التحديد كانت سيرتهم معتدلة، ولا يوجد فيها أى خروج عن المألوف، ولم تتسم بالشطط فى أى يوم من الأيام، وهذه أمثلة عشوائية، لكننا اخترناها لأنها نماذج تعادل توفيق الحكيم فى القيمة، والتجربة، وربما بعض الأفكار، وحياة ما قبل ثورة يوليو، وفى اعتقادى أو ظنى أن طه حسين الذى كان قد بلغ من العمر سنوات تجعله بعيدًا عن الإدلاء بأى آراء سياسية، ويحيى حقى طوال مسيرته وهو معتدل، وكان يرفع شعار «ابعد عن السياسة، وغنّ لها»، لذلك لم يكن محل أى جدل سياسى فى حياته، أو بعد رحيله، رغم أنه عمل دبلوماسيًا فى مرحلة ما من حياته الأولى حتى عام ١٩٥٣، بعد ذلك تم تنصيبه فى عدد من المناصب الحكومية المهمة، مثل ترؤسه مصلحة الفنون، ثم جاء رئيسًا لتحرير مجلة «المجلة»، وكان يكتب مقالات بغزارة فى عدد من الصحف والمجلات، إلا أنه لم يحد، ولم يشتط، كذلك نجيب محفوظ الذى عمل موظفًا كبيرًا فى مجال السينما، ولكنه كان مثل يحيى حقى لا يشاكس فى كتاباته النثرية، ولكنه كان يقول كل ما يريد فى إبداعاته، ربما جاء تعبيره الإبداعى فى «ميرامار» أو «ثرثرة فوق النيل» أقوى بكثير جدًا مما كان سيعبر عنه نثرًا.

والإجابة عن رد الفعل الذى كان متوقعًا لو أن هؤلاء كتبوا مثلما كتب توفيق الحكيم، هل ستكون متشابهة أو متساوية، ونفترض جدلًا أن هؤلاء كتبوا مثلما كتب توفيق الحكيم، أعتقد أن الحملة كانت ستأتى أقل بكثير مما ووجه به توفيق الحكيم، لأن الحكيم كان شخصية جدلية طوال حياته، فضلًا عن الشائعات التى كانت تتناثر حوله، رغم خفة تلك الشائعات، مثل بخله، وعدائه للمرأة، وهكذا، لكنه بعيدًا عن تلك الأشياء الهامشية كان «الحكيم» طودًا ثقافيًا وأدبيًا وفكريًا وسياسيًا أيضًا، منذ روايته «عودة الروح» التى تأثر بها الرئيس جمال عبدالناصر شخصيًا، وصرّح بذلك كثيرًا، وكان طوال حياة جمال عبدالناصر معززًا مكرمًا مدللًا مكرسًا بشكل لم يحدث لذويه، فهو الملهم الأول للزعيم، لذلك كان الهجوم عليه غير سابق، باعتباره الكاتب الذى خان الأمانة، والذى نشر فى عهد الزعيم ما لم ينشره آخرون، وحصل على أجور ومكافآت لم يحصل عليها أحد من قبل، ولمح ببعض آراء له تناطح نظام الحكم، دون تصريحات واضحة، وكانت مسرحيته «السلطان الحائر»، ثم النص الذى أطلق عليه مصطلحًا غريبًا «مسرورواية»، وهو «بنك القلق»، والذى ناقش فيه كثيرًا من مجريات السياسة آنذاك، لكنه لم يتجاوز تلك الأمور، ولم يستطع أن يعبر الخطوط الحمراء التى كانت مرسومة للكتاب، مثله مثل كتاب كثيرين عاشوا تلك المرحلة.

1
البداية كانت مصطفى محمود:

لكن متى بدأ الكتّاب والمثقفون مهاجمة جمال عبدالناصر والفترة الناصرية، ووضع تجربة الـ١٨ عامًا منذ ١٩٥٢ حتى ١٩٧٠ فوق صفيح ساخن؟، ورغم أن كثيرًا من الكتاب والمفكرين والصحفيين هاجموا جمال عبدالناصر القائد والزعيم والرمز بأشكال ليست واضحة وضوحًا كبيرًا، إلا أن كل هؤلاء لم يكونوا فى أهمية ولا فى قامة أو قيمة توفيق الحكيم، لكن الأمر بدأ منذ أن أعطى الرئيس محمد أنور السادات إشارات لذلك، ففى ١٥ مايو ١٩٧١، أعلن الرئيس فى خطاب له عن إحباط عملية انقلاب كاملة، وبالتالى تم القبض على كل من لهم علاقة بتلك المؤامرة المزعومة، أو الحقيقية، وكل ما فى الأمر أن الرئيس السادات كان يريد التخلص من صقور الناصرية، وممثليها الأساسيين، فقبض على رموزها الكبار، مثل شعراوى جمعة، وعلى صبرى، وكل ممثلى الحقبة الناصرية ومهندسيها، وبالطبع أعلن أننا مقبلون على عصر جديد من الحريات، لا تلصص ولا رقابة ولا تسجيلات ولا قمع ولا سجون، وهكذا، والحدث بالطبع أصبح معروفًا للقاصى والدانى، وأطلقوا على ذلك «ثورة التصحيح»، ولا ننسى فى تلك الفترة أنه انطلقت كتابات إبداعية كثيرة حول عمليات التعذيب التى كانت شائعة فى الفترة الناصرية، فقرأ الناس على صفحات مجلة «الإذاعة والتليفزيون» سلسلة روايات للكاتب والأديب حسن محسب، الذى سجل رحلة التعذيب منذ ١٩٦٧ حتى الوقت الذى كتبت فيه الرواية.

والذى فجّر بشكل واسع وقوى سلسلة الهجوم، كان الدكتور مصطفى محمود فى مجلة «صباح الخير»، وكان مصطفى محمود نجمًا أدبيًا وصحفيًا ومسرحيًا فى ذلك الوقت، ولم يكن من محبى جمال عبدالناصر ولا عهده ولا مرحلته، وفى تلك الآونة الجديدة بدأت خيوط جديدة تنشأ بينه وبين العهد الجديد، ففى ٢٠ مايو ١٩٧١ نشرت مجلة «صباح الخير» على غلافها العنوان الذى صدر به دكتور مصطفى محمود مقاله الأول «شكرًا يا أنور السادات»، وكان هذا المقال الذى أتى من أحد رجال أو أبواق العهد الجديد بمثابة إشارة لما سيأتى بعد ذلك، وتكرر ذلك الأمر فى مطبوعات أخرى كثيرة، رغم أن شركات ومؤسسات كثيرة كانت تنشر إعلانات بصيغة شبه موحدة، وعلى سبيل المثال: «رئيس وأعضاء مجلس الإدارة والعاملون بشركة الإسكندرية للأدوية، يؤيدون الرئيس المناضل أنور السادات فى الإجراءات الثورية التى اتخذها للقضاء على مراكز القوى حماية لأمن الفرد وحرية الوطن والمواطن من أجل دعم الجبهة الداخلية، خلف قواتنا المسلحة الرابضة على خط النار لتحقيق النصر، وعلى طريق القائد الخالد: جمال عبدالناصر»، بالطبع تلك الإعلانات التى كانت تنشر فى كل المطبوعات، وترفع اسم جمال عبدالناصر، جاءت بمثابة أن الذى حدث هو امتداد لخطه، وبالطبع لم يكن ذلك صحيحًا، ففى أول مقال لمصطفى محمود فتح الباب على مصراعيه لمهاجمة جمال عبدالناصر وعهده، يبدأ مصطفى محمود مقاله: «شكرًا يا أخى وحبيبى وزعيمى، لقد عرفت الطريق إلى قلب مصر، وأعطيت للزعماء الدرس الأول فى الزعامة، فالزعامة ليست سلطة، ولا تسلطًا، وإنما قدوة وخلق، والزعيم الحق ليس هو الذى يجمع حوله الملايين بالخوف والملق، وإنما هو الذى يعقد لهم لواء الأمان، ويجمعهم بالحب والإخاء..»، وكرّس الدكتور مصطفى محمود سلسلة من الأوصاف المادحة للرئيس السادات، وفى المقال الثانى الذى نشرته «صباح الخير» فى ٢٧ مايو جاء عنوانه «عودة الروح»، ولم يكن ذلك العنوان محض صدفة من الدكتور مصطفى محمود، ولكنه يعبّر أو يلمّح إلى أن ما حدث ما هو إلا العودة الحقيقية للروح، وراح مصطفى محمود يصف مشاعره وهو يستمع إلى كلمات الرئيس مع بعض ذويه، وهم يلتفون حول راديو صغير، وكان المقال تتفتح فى سطوره مجموعة من الافتراءات، أو الكلمات التى كانت مكبوتة، حتى وصل المقال إلى حالة من التصريح الواضح: «.. كنت أسمع هذه الكلمات المضيئة، وأتذكر أيامًا مظلمة مضت كانت الأسوار الخفية مضروبة حولنا، والآذان تتسمع علينا، والعيون تعد علينا الأنفاس، وكنا جميعًا نحن الثلاثين مليونًا ملقى بنا فى قفص اتهام دائم، بدون ذنب، وبدون إثم، سوى أننا أحسنا النية، وصرفنا كل الفكر والهم إلى عدو واحد خارجى بطول خط الجبهة..» ثم يضيف: «.. كنا نسير إلى هلاكنا دون أن ندرى، سوس الداخل ينخر فى النخاع، كما ينخر سوس الخارج فى الجلد..»، واسترسل مصطفى محمود العزف على سيمفونيته الجديدة، بعد أن صمت طويلًا، فالمتابع لكتابات الدكتور مصطفى محمود على عقدى الخمسينيات والستينيات سيلاحظ أنها كتابات أدبية أو فنية، أو ثقافية، أو فكرية، حتى جاء عام ١٩٦٩ وانقلب انقلابًا كبيرًا، قفزة عالية فى الهواء، وضعته عندما سقط من أعلى على بساط البحث الدينى الفلسفى، وهو كتاب «التفسير العصرى للقرآن»، وقد بدأ به حياة جديدة استمرت معه حتى النهاية، ورافق ذلك المنحى الجديد، التحالف مع صديقه وزعيمه وقائده محمد أنور السادات، وبعد تلك البوابة التى فتحها مصطفى محمود، دخل باب هجاء عهد عبدالناصر، ومديح العهد الجديد، رهط لا يستهان به من كتاب وصحفيين ومبدعين كبار، حتى وصل الأمر إلى توفيق الحكيم.

2
عودة الوعى:

فى ذات يوم من شهر أغسطس عام ١٩٧٤، أى منذ خمسين عامًا بالتمام والكمال، استيقظ الناس صباحًا على لغط شديد يخص الكاتب العجوز توفيق الحكيم، هناك منتصرون له، يقولون: «والله الراجل بيقول الحق، وطول عمره بيقول كلمة الحق، ومقالاته فى الأهرام دايمًا جريئة، ويكتبها ولا يهمه أى حد»، وهناك ناقمون يقولون: «الراجل ده اتجنن، مفروض يمنعوه عن الكتابة، طب ليه ماقالش الكلام ده أيام عبدالناصر، طبعًا كان مستحيل»، وهكذا اختلط الحابل بالنابل، وانقسم الناس حول كتاب صغير للغاية اسمه «عودة الوعى» من تأليف الأستاذ توفيق الحكيم، وكتبت جريدة «الأهرام» خبرًا صغيرًا لا يوحى بأى شىء، لكن صاحب الخبر اقتباس صغير من غلاف الكتاب يقول: «هذا التحدى الذى كتب على أمتنا العربية، ولم يعد لها إزاءه بديل أو خيار.. وباختصار .. كيف كنا، وكيف يمكن أن نكون..»، وبقية الاقتباس يقول إن الكاتب الكبير توفيق الحكيم يكشف، بشجاعة عهدناها فيه، كل الأخطاء الجسيمة، لكى نستشرف مستقبلًا مشرقًا فى عهد جديد نأمل أن نتجاوز فيه كل المحن التى مررنا بها.

فقط علم الناس بأن الكتاب صدر عن دار الشروق، وتداول البعض بأن الكتاب نشر على غير رغبة الحكيم، ولكنه كان مجموعة ملاحظات كتبها الحكيم، وطلبها منه أحد الأصدقاء، ولكن ذلك الصديق أعطاها لصديق، وتسربت المخطوطة، ونشر الكتاب فى إحدى الصحف العربية دون إذن من مؤلفه، وهنا وجد الحكيم نفسه أنه لا بد من نشر الكتاب، فالموضوعات التى نشرتها الصحف هى موضوعات كتبها الحكيم فعلًا، ولو رفض نشرها فى كتاب، من الممكن أن يقال إن الحكيم تراجع عنها، أو إنه خائف من المنحازين للتجربة، وبالتالى سارع هو بنشر الكتاب فى دار الشروق. وأيًا كان توفيق الحكيم قد صدق أو راوغ، أو أخفى بعض الكواليس، إلا أن الرصاصة قد خرجت بالفعل، وأصبح الكتاب فى أيدى الناس، ليصبح ذريعة قوية لأعداء المرحلة الناصرية، بما فيهم جماعة الإخوان المسلمين، وبالتأكيد هذا لم يُرده توفيق الحكيم، ولكن آراء الكتاب وجدت هوى وقبولًا عند فرق كثيرة، من بينها بالطبع كبار حزب الوفد القدامى، وعلى رأسهم فؤاد سراج الدين باشا، الذى ظل يناصب ثورة يوليو العداء طيلة حياته حتى رحيله، وحتى بعد أن أنشأ منبرًا، ثم حزب الوفد الجديد فى عام ١٩٧٧، وأصدر كتابًا كان عنوانه «لماذا حزب الوفد الجديد»، كال فيه كل اللكمات التى كانت مؤجلة لجمال عبدالناصر، ولرجاله، ولكل رجال الثورة، والثورة نفسها.

والذى يقرأ كتاب توفيق الحكيم سيلاحظ أنه يطرح بعضًا من ذكرياته الخاصة فى مستهله، ذكريات تشى بأنه كان مع الذين فرحوا بقيام الثورة فى البداية، حيث إن عهد ما قبل الثورة كان قد أفلس تمامًا، وأصبحت المفاسد فيه غير معقولة، وكان لا بد من شىء يخلص الشعب من ذلك العبث المنتشر، حتى جاءت تلك الثورة، ووضعت ضابطًا برتبة لواء على رأسها، وهو اللواء محمد نجيب، وهو الشخص الوحيد الذى يعرفه توفيق الحكيم، واعتبر الحكيم أن ثمة تشابهًا بين تنصيب نجيب كقائد للثورة، وبين مسرحيته «بيجماليون»، إذ يقول إن الضباط هم الذين وضعوا محمد نجيب على رأس الحركة، وعندما بدأ نجيب يمارس مهامه، ويعلو شأنه، حاولوا التخلص منه، لأنهم هم الذين صنعوه، وهذا يشبه كثيرًا ما حدث فى مسرحيته «بيجماليون».

ويحكى الحكيم مجموعة حكايات صغيرة حدثت بينه وبين بعض الوفديين، وبعض السعديين، حكايات ليست ذات شأن، لكنها نوع من التوابل التى يحب الحكيم دائمًا أن يرشها على وش الكتابة، ويلاحظ القارئ للكتاب أن الكتابة لم تكن بقوة ما كان يكتبه منذ زمن بعيد، بعيدًا عن كتاباته الفنية الخاصة بالمسرح أو السرد، كانت كتاباته السياسية أيضًا جيدة، فى كتابه «تأملات فى السياسة»، و«شجرة الحكم»، و«التعادلية»، وغيرها من كتب كثيرة، لكن هذا الكتاب فيه لغة ركيكة للغاية، ولكن ما أثار احتجاج وثورة مهاجميه هو الضرب فى ثوابت ثورة يوليو، مثل قرارات التأميم، واعتبر أن حرب ١٩٥٦ لم تكن نصرًا، بل هزيمة منكرة، ولولا الأمريكان والروس، لكانت مصر راحت فى خبر كان، ونهاية الحرب لم تكن بإرادة المصريين، ولا بإرادة قياداتهم، لأن عبدالناصر كان عاطفيًا للغاية، ولم يكن قادرًا على ضبط الأمور سياسيًا، فهو لا يصلح للعمل السياسى، ولكنه كان يصلح ككاتب روائى، لذلك عندما عقد العزم قبيل ١٩٦٧ كان يضع فى بطنه بطيخة صيفى، أى لو حدثت أى توابع جسيمة، هناك الروس جاهزون لإيقاف أى حرب، وهذا حسب تصور عبدالناصر العاطفى، فتحققت الهزيمة الساحقة، التى هى امتداد لهزيمة ١٩٥٦، فعبدالناصر العاطفى عندما استعد لحرب ١٩٦٧ لم يكن حكيمًا على وجه الإطلاق، خاصة أن جيشه كان ضعيفًا بعد حرب اليمن الخاطئة، التى لم تعبر إلا عن حس «الزعامة» الذى جلب علينا كثيرًا من المآسى، فجرى ماجرى فى ١٩٦٧، ولم يستطع الإعلام أن يعترف بالهزيمة، فظل على مدى ثلاثة أيام يذيع الانتصار الوهمى لنا على جيوش العدو، وكان من المنتظر أن نكون فى مساء ٥ يونيو فى تل أبيب، وهكذا يسترسل توفيق الحكيم فى عرض مثالب وأخطاء وكوارث الثورة- من وجهة نظره- طيلة الكتاب، ومن بين الكوارث التى رصدها «السد العالى»، وحكى مجموعة حكايات أيضًا تفتقر إلى التوثيق العلمى، فما كتابته إلا كتابة أديب ومسرحى فى خريف العمر، عن مسائل معقدة للغاية، واعتبر الحكيم أنه كان غائبًا عن الوعى، وها هو يعلن عن بعض خطئه، ولا يبرئ نفسه، ولكن التاريخ سوف يحكم بقدر من الموضوعية.

هذا باختصار ما جاء فى كتاب الحكيم، وأهال عليه كمية من الاحتجاج والمناقشات التى صدرت فى كتب، مما سنعرض له لاحقًا إن شاء الله.

> اعتبر الحكيم أن ثمة تشابهًا بين تنصيب نجيب كقائد للثورة وبين مسرحيته «بيجماليون»

> فى أول مقال لمصطفى محمود فتح الباب على مصراعيه لمهاجمة جمال وعهده

حصة قراءة

فلسفة

الرغبة

ما هى الرغبة؟ هل هى إيجابية أم سلبية؟ كيف تتعامل عقولنا مع الرغبات؟ وهل يتعين علينا القضاء على الرغبة أم تنظيمها؟ كيف استغل الاقتصاديون وأباطرة التكنولوجيا رغباتنا واحتياجاتنا لضمان هيمنتهم ولتحقيق المزيد من الأرباح والنجاحات؟ هذه الأسئلة تقع فى قلب النقاش الذى يجريه الفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسى فريدريك لونوار من خلال كتابه «فلسفة الرغبة»، الصادر حديثًا بترجمة عربية أنجزها إسكندر حبش عن «دار الساقى».

حنان عقيل

كيف استغل أباطرة الاقتصاد والتكنولوجيا احتياجاتنا لفرض هيمنتهم؟

فريدريك لونوار

1 التقليد الفلسفى

يطوف لونوار على مختلف الفلسفات الغربية والشرقية ليوضح كيف اهتم الفلاسفة على مدار التاريخ بفحص مفهوم الرغبة والنظر فى أبعاده، وأوجه الاختلاف بينهم فى فهم الرغبة وفى رؤيتهم لسبل التعامل معها، ويخلص من ذلك إلى أن الرغبة كانت مركزية فى السؤال الفلسفى الذى انشغل طويلًا بآليات تنظيمها وتوجيهها بالطريقة الصحيحة.

يوضح لونوار أن الرغبة فى التقليد الفلسفى نُظر إليها من جانبين؛ فمن جهة عدها البعض تعبيرًا عن نقص مع التأكيد على طابعها السلبى، إذ رأى معظم الفلاسفة القدامى الرغبة من زاوية الافتقار واعتبروها مشكلة تؤدى إلى عدم الرضا الدائم. ومن جهة أخرى اعتبر فلاسفة آخرون الرغبة قوة ودافعًا رئيسيًا لوجودنا.

تعبر الرغبة عند أفلاطون على سبيل المثال عن شعور بالنقص، إذ يدرك الإنسان بها أن ثمة ما هو مفقود، وهو ما يدفعه إلى التطلع لعالم إلهى وكامل، فيما تدفع الرغبة، كما يراها أريستوفانيس، إلى السعى لتحقيق كينونتنا الأصلية، وفى كل الأحوال يطلعنا هذا الطواف الفلسفى على ما آمن به الفلاسفة من أن فهم الرغبات بما يقود إلى تنظيمها هو أساس التعليم والحضارة.

2 محركات الرغبة وحضارة «المزيد دائمًا»

من الفلسفة إلى علم وظائف الأعضاء ثم إلى علم الاجتماع، يرصد الفيلسوف الفرنسى محركات الرغبة البشرية، فعلى المستوى الفسيولوجى يبحث الدماغ البشرى عن المتع الآنية والفورية، عن الإشباع اللحظى للرغبات دون تأجيل. وعلى المستوى الاجتماعى، يمكن الحديث عن ثلاثة أبعاد للرغبة؛ فهناك رغبة المحاكاة، أى أن الإنسان يرغب فيما يرغب فيه الآخرون، والطمع أى يرغب فى ما يمتلكه الآخرون، وأخيرًا الحسد ويعنى أن الإنسان يقارن سعادته بسعادة من يحسدهم.

وفقًا لهذه المعطيات، يرصد لونوار كيف حفّز التحالف المعاصر للتكنولوجيا والليبرالية الاقتصادية أدمغتنا للمزيد من الرغبات والمطالبات، وكيف صار الإنسان أسيرًا لرغباته فبينما هو يظن أن رغباته التى يسعى إليها نتاج وعيه الخالص، فإن الحقيقة أن أصحاب المصالح الاقتصادية والتكنولوجية يتلاعبون بتلك الرغبات لتحقيق أهدافهم وتطلعاتهم الخاصة.

يبحث الإنسان عن المتعة التى قد تحققها له نزعة استهلاكية لا يكف تدفقها، فينساق وراء أشكال من التسوق القهرى، والإدمان على الجنس، والألعاب الإلكترونية، والإدمان على الشبكات الاجتماعية بما تخلقه من حاجة متزايدة للاعتراف الاجتماعى، فتتحول الرغبات الصغيرة تلك إلى سبب لاستعباد الإنسان وإبقائه فى دائرة من النهم والتعطش الدائمين بدون بلوغ غاية الارتواء أو الشبع.

> ينتج المجتمع الاستهلاكى تبددًا متزايدًا للشخصية يدعو للقلق

إسكندر حبش

يصف لونوار هذا العصر الاستهلاكى الراهن بحضارة «المزيد دائمًا»، تلك الحضارة التى تطالب الإنسان بمزيد من الاستهلاك، ما قاد إلى الكوارث البيئية التى لا يتوقف الإنسان عن تعظيمها، وهو ما يعلق عليه الكاتب بقوله: لدينا ميل مجنون إلى بعثرة الراحة فى أنماط حياتنا الحالية على حساب الأجيال القادمة.

3 النزعة الاستهلاكية والتلاعب بالرغبة

يبين المؤلف أن النظام الاقتصادى العالمى الراهن يدفع الإنسان نحو مزيد من الاستهلاك، انطلاقًا من تعزيز محركات الرغبة المختلفة عنده، ولكن فى مقابل المزيد من الاستهلاك لا يصل الإنسان بالضرورة إلى السعادة، فعملية التسويق تخلق رغبات جديدة وتجعلنا نظهر بأننا لا نستطيع الاستغناء عن تلك الأشياء التى تمكنت البشرية من الاستغناء عنها عبر آلاف السنين.

يوضح ذلك بقوله: ينتج المجتمع الاستهلاكى تبددًا متزايدًا للشخصية يدعو للقلق، من الواضح أنه يحاول إخفاءها بخطاب مضلل حول حرية الاختيار وتحقيق الذات، لكنه فى الواقع يحيل الأفراد إلى حالة من المستهلكين الأغبياء والعبيد لنبضات دماغهم البدائية.. تعدنا الأيديولوجية النيوليبرالية التى تحمل النظام الاستهلاكى بالحرية والسعادة بينما يشكل هذا النظام مصدر الخنوع والإحباط، نحن خاضعون ومتلاعب برغباتنا وغير راضين على الدوام.

يستعيد لونوار حديث الخبير الاقتصادى الأمريكى جيريمى ريفكين عن الأساليب التى اتبعتها الشركات الأمريكية الكبرى منذ عشرينيات القرن الماضى للحفاظ على أرباحها وزيادتها، والتى تضمنت السعى لإقناع غالبية الأسر بشراء المنتجات التى لم يكونوا بحاجة إليها، عبر استغلال حافز المقارنة الاجتماعية، فعملت الإعلانات على ربط العلامة التجارية بعلامة النجاح وتحسين الوضع الاجتماعى.

بناءً على ذلك، ينوه لونوار بأن مهمة الاقتصاد الرئيسية تمثلت فى خلق الاحتياجات التى يسعى الجمهور إلى إشباعها وتحفيز المستهلك على المزيد من الاستهلاك عبر وسائل تلعب على اللاوعى والمقارنة الاجتماعية والحاجة إلى الاعتراف، إلى أن صار منطق السلعة حاكمًا ليس فقط للاقتصاد وإنما للثقافة بأكملها.

4 وسائل التواصل والسيطرة على المراهقين

يتعرض الكتاب إلى الأساليب التى يتبعها عمالقة الإنترنت لجذب أكبر قدر ممكن من انتباه المراهقين على الشبكات الاجتماعية عبر استغلال رغباتهم، فباستخدام حاجة المراهقين إلى الاعتراف الاجتماعى، يُنشئ أباطرة التكنولوجيا نظامًا من الخوارزميات يتيح معرفة أذواق المستخدمين ومراكز اهتمامهم وإرسال الإشعارات والإعلانات المستهدفة إليهم، لتحقيق أهدافهم التجارية والربحية.

وعلى الرغم من مجانية الخدمات التى تتيحها وسائل التواصل المختلفة، فإنها تبرمج بكفاءة للعمل ضد الإنسان، يبرهن لونوار على ذلك برصد عدد من الدراسات التى أبانت عن ضرر الإدمان على الشبكات الاجتماعية، مثل اضطرابات الانتباه والنوم المرتبطة بفرط نشاط الدماغ أو مشاكل احترام الذات، وزيادة منسوب القلق والمخاوف بين «جيل زد»، وشيوع أمراض وآثار سلبية مثل متلازمة القلق، والحاجة القهرية لعرض أصغر تفاصيل حياة المرء على الشبكات الاجتماعية، واضطرابات الشخصية مثل الفصام، وارتباك الأفكار الناتج عن الوصول الوحيد إلى معلومات غير هرمية ومحددة، وحبس الأفراد فى فقاعات اليقين الخاصة بهم.

5 ما العمل؟

قد يقود السعى لتحقيق الرغبات إلى المتعة، ولكن يمكن لها أيضًا أن تؤدى إلى الإحباط والاكتئاب والتعاسة. تلك الحقيقة كانت سببًا فى عناية كل التقاليد الدينية وفلاسفة اليونان والهند القديمة بمحاولات تنظيم الرغبة البشرية وتقييدها وتأطيرها، ففى الوقت الذى دافعت فيه بعض التقاليد عن اعتدال الرغبة من دون التشكيك فيها أو فى المتعة التى تولدها، انبرى آخرون للحث على القضاء عليها.

يخلص لونوار إلى أن الرغبة فى حد ذاتها ليست جيدة ولا سيئة، يمكن أن تقودنا إلى الحزن أو الفرح أو السعادة أو التعاسة اعتمادًا على الأشخاص أو الأشياء التى توجهها. ويستعين فى رؤيته للمخرج من الحالة الراهنة بحديث سبينوزا عن الرغبة التى ينبغى إخضاعها لتمييز العقل والحدس، وبحديث المحلل النفسى وعالم الاجتماع إريك فروم عن الوجود الإنسانى المعتمد على أحد الخيارين؛ التملك أو الكينونة. ففى عالم يهيمن عليه بصورة متزايدة الشغف بالامتلاك والتركيز على الاستحواذ والقوة المادية والعدوانية، ينبغى على الإنسان أن يتبنى نمط الكينونة المؤسس على الحب والوفاء الروحى ومتعة المشاركة فى الأنشطة الهادفة والمثمرة، لا سيما وأن الرغبة البشرية لا نهائية، وإذا وضع الإنسان رغبته فى مجال الامتلاك سيظل غير راضٍ إلى الأبد وسيبقى أسيرًا لها.

يمكن القول إن الكتاب يتيح معرفة بانورامية بالاختلاف الفلسفى فى التعاطى مع مفهوم الرغبة، والرؤى الدينية وكذلك الفلسفية إزاء التعامل الصحيح مع الرغبات كى لا تقود حياة البشر نحو شقاء لا مفر منه، لكنه فى الآن ذاته يجمع الطرح الفلسفى بالنقد الاجتماعى حين ينظر فى الرغبات البشرية التى أطلقتها قبضة المصالح الاقتصادية والتكنولوجية بما يهدد ليس فقط بعواقب وخيمة على البيئة صار الجميع يدركها اليوم، وإنما أيضًا بدمار نفسى واجتماعى يُدفع نحوه البشر، فيما هم يظنون أنهم يحيون فى عالم يوتوبى من صنع وعيهم وإرادتهم الحرة.

> تعبر الرغبة عند أفلاطون عن شعور بالنقص إذ يدرك الإنسان بها أن ثمة ما هو مفقود

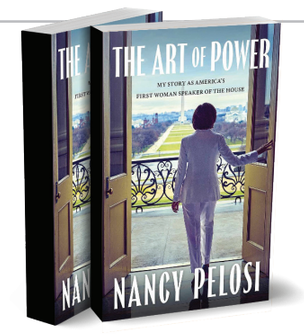

صدر كتاب «فن القوة: قصتى كأول رئيسة لمجلس النواب الأمريكى»، الأسبوع الماضى، لمؤلفته نانسى بيلوسى، الرئيس السابق لمجلس النواب الأمريكى، التى يصفها البعض بأنها «أقوى امرأة فى التاريخ السياسى للولايات المتحدة».

الكتاب الجديد صدر عن دار نشر «سيمون آند شوستر»، وسرعان ما وصل إلى المركز الأول فى قائمة «أفضل المبيعات للسير الذاتية النسائية» على منصة «أمازون»، خاصة أنه يعتبر المذكرات الشخصية للمثيرة للجدل دائمًا نانسى بيلوسى.

وتروى «بيلوسى» فى الكتاب المكون من 352 صفحة، قصة تحولها من ربة منزل وأم لـ5 أطفال وجدة لـ10 أحفاد، إلى أول امرأة تترأس مجلس النواب الأمريكى، لتصبح شريكة رئيسية للقادة الأمريكيين، وزعيمة المعارضة الأكثر قوة أمام الرئيس الأسبق دونالد ترامب.

وحسب ما جاء فى الكتاب، رغبت نانسى بيلوسى فى الترشح لـ«الكونجرس»، فسألت ابنتها الصغرى «ألكسندرا» عن رأيها فى هذه الخطوة، فأجابتها على الفور: «أمى، احصلى على حياة!»، فكيف تحقق لها ذلك من واقع ما ذكرته فى الكتاب؟

هالة أمين

سيدة واشنطن القوية

مذكرات نانسى بيلوسى: أطباء أخبرونى بأن ترامب «مجنون»

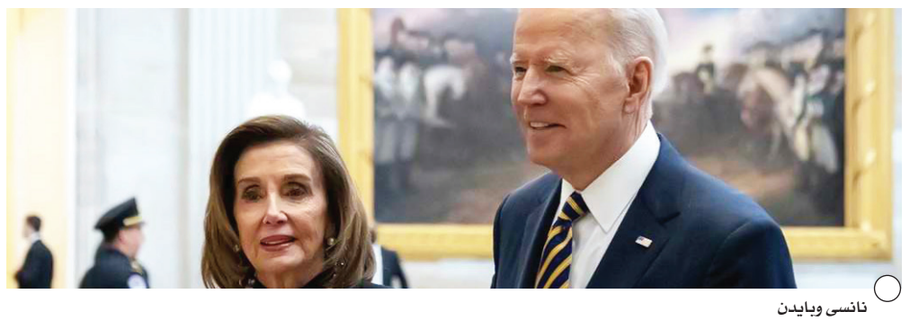
نانسى وبايدن

.. ومع أوباما

1 هجوم بالمطرقة

قبل أن نعرج على تفاصيله، ينبغى الإشارة إلى أهمية الموعد الذى اختارته نانسى بيلوسى لإصدار الكتاب، الذى يأتى قبيل ٣ أشهر على الانتخابات الرئاسية الأمريكية، التى يتنافس فيها الرئيس السابق دونالد ترامب، عن الحزب الجمهورى، ضد كامالا هاريس، نائبة الرئيس الحالى جو بايدن، عن الحزب الديمقراطى، بعد انسحاب «بايدن».

ويُعتقد على نطاق واسع فى الأوساط السياسية الأمريكية أن «بيلوسى» كانت المحرك الرئيسى لقرار جو بايدن بالانسحاب من الانتخابات الرئاسية، مع الدفع بتيم والز، حاكم ولاية مينيسوتا، كمرشح لمنصب نائب الرئيس.

ووفقًا لوسائل إعلام عالمية، كتبت نانسى بيلوسى كتاب «فن القوة» قبل وقت من انسحاب «بايدن»، لذا يبدو الكتاب، فى بعض النواحى، متأخرًا وغير مناسب. لكن رغم ذلك، فإن الرئيس السابق لمجلس النواب «تُلقى بضع قنابل يدوية» فى اتجاه الانتخابات الرئاسية، تستهدف منع «ترامب» من الوصول إلى البيت الأبيض مجددًا.

وحمّلت «بيلوسى» دونالد ترامب ومساعديه المسئولية عن الهجوم على زوجها «بول» فى عام ٢٠٢٢، حين اقتحم يمينى متطرف يدعى «ديفيد دى بابى» منزلهما فى سان فرانسيسكو، قائلًا: «أين نانسى»، والتى كانت هدفه فى الأساس، قبل أن يضرب زوجها ٣ ضربات بمطرقة على رأسه بقوة، لدرجة أن الزوج أعرب لاحقًا عن دهشته من نجاته، قبل أن يُحكم على المتهم بالسجن لمدة ٣٠ عامًا، فى مايو الماضى.

وعبرت عن التأثير العميق الذى خلفه الهجوم عليها وعلى أسرتها، وكيف لا يزال أفراد الأسرة يتجنبون الدخول إلى أجزاء من المنزل حدثت فيها الواقعة، وكيف لم يتحدث «بول» أبدًا عما حدث مع أسرته، و«الضريبة الجسدية» التى لا يزال يدفعها، مؤكدة أن «بول لم يكن هو الهدف المقصود فى هذه الليلة، لكنه دفع الثمن ولا يزال يدفعه جسديًا، وعائلتنا بأكملها تدفع الثمن عاطفيًا، ولا تزال تعانى صدمة نفسية».

وأضافت فى الكتاب: «خلال السنوات الأخيرة، أنفق الجمهوريون ملايين الدولارات على إعلانات تهاجمنى شخصيًا»، مشيرة إلى أن ابن «ترامب»، بعد الهجوم على زوجها، نشر صورة لمطرقة على وسائل التواصل الاجتماعى الخاصة به، معلقًا عليها بقوله: «هل جهزت يا بول بيلوسى زى الهالوين؟».

وأفادت بأنه «فى غضون ٤ سنوات فقط، بين عامى ٢٠١٧ و٢٠٢١، تضاعف عدد التهديدات والتصريحات المثيرة للقلق ضد جميع أعضاء الكونجرس، إلى ما يقرب من عشرة آلاف، وفى العام الذى أعقب السادس من يناير، أفادت شرطة الكابيتول بأن التهديدات ضد المشرعين زادت بنسبة ١٠٧٪»، مضيفة: «يجب أن يتوقف مناخ التهديدات والهجمات الحالى».

2 أنت غبى!

تصف نانسى بيلوسى دونالد ترامب بأنه «خطير وغير مستقر»، مشيرة إلى أنها نشأت لتكون راهبة من قبل والدتها، لذا تبحث عن «شرارة الألوهية» فى كل إنسان تقابله، لكن فى حالة «ترامب»، فإن «شعلة النور السماوى» لديه انطفأت منذ زمن بعيد.

وأضافت: «التوقعات بشأن ما يمكن أن يفعله ترامب فى أى موقف لا يمكن أن تكون منخفضة بما فيه الكفاية، ففى المرة الأولى التى التقيت به، بعد انتخابه رئيسًا، قدم لحم الخنزير فى البطانيات إلى السيناتور تشاك شومر».

وكانت «بيلوسى» تعارض «ترامب» طوال فترة وجوده فى منصبه، وكان يعلم ذلك، ويميل إلى الاستماع «سرًا» إلى الاجتماعات التى عقدتها مع موظفيه، وإذا كان حاضرًا فيها بشخصه، غالبًا ما كان يغادر غاضبًا.

وروت رئيسة مجلس النواب السابقة أيضًا أنه «فى جنازة طبيب مرموق من معارفى، أخبرنى العديد من الأطباء، بأنهم قلقون للغاية من تدهور صحة ترامب العقلية والنفسية. وبعد ذلك بوقت طويل، فى ٨ يناير ٢٠٢١، أى بعد يومين من اقتحام الكونجرس، وجدت نفسى قلقة للغاية بشأن سلوك ترامب غير المستقر، وقررت عزله».

وواصلت: «قلقى وصل إلى درجة اتصالى برئيس هيئة الأركان المشتركة، الجنرال مارك ميلى، سعيًا على ما يبدو للاطمئنان إلى أن الجيش، إذا أمره الرئيس بتنفيذ ضربة فى الخارج، بما فى ذلك ضربة نووية، لن يفعل أى شىء غير قانونى أو مجنون»، متابعة: «لقد أجريت الكثير من المحادثات مع هذا الرجل، وفى نهاية كل هذه المحادثات تقريبًا، فكرت: إما أنك غبى، أو أنك تعتقد أن بقيتنا أغبياء».

وشرحت «بيلوسى» سبب تمزيقها النسخة المطبوعة من خطاب «حالة الاتحاد»، على الهواء مباشرة أمام الكاميرا، والذى ألقاه «ترامب» فى عام ٢٠٢٠، قائلة: «كان التصرف المهذب بالنظر إلى البدائل الأخرى. لقد مزقته. كنت أحاول العثور على صفحة واحدة بها الحقيقة. لم أتمكن من ذلك».

وأشارت كذلك إلى افتقار «ترامب» المفترض للذكاء، مبينة أنه قبل إعلان الديمقراطيين فى مجلس النواب إطلاق تحقيق لعزل «ترامب»، بسبب مكالمته الهاتفية مع الرئيس الأوكرانى، اتصل بها هاتفيًا، وتحدث معها لمدة ٢٠ دقيقة، أصر فيها على أنه أجرى «مكالمة مثالية» مع الرئيس الأوكرانى، فولوديمير زيلينسكى، بشأن التعاملات التجارية لعائلة «بايدن» مع البلاد.

وأضافت: «خلال المكالمة، اشتكى ترامب من كيفية حدوث هذا الإعلان من قبل الديمقراطيين، فى اليوم الذى كان يتحدث فيه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة»، واصفة إياه بأنه «غبى».

وفى النهاية، شرع «الديمقراطيون» فى محاولة عزل «ترامب»، بتهمة «الضغط على قوة أجنبية للتحقيق مع خصم سياسى»، وهو «بايدن»، الذى كان من أبرز المرشحين للفوز بترشيح الحزب الديمقراطى للرئاسة لعام ٢٠٢٠. لكن لم تتم إدانة «ترامب» فى النهاية.

> دونالد «خطير وغير مستقر» وأطباء أكدوا «تدهور صحته العقلية»

3 غزو العراق

لم يقتصر حديث نانسى بيلوسى على معركتها المثيرة مع «ترامب»، بل كشفت كواليس وأسرار العديد من الأحداث المحورية فى فترة رئاستها مجلس النواب، وتحديدًا ٤ معارك تشريعية كبرى، بدءًا من تمرير «خطة الإنقاذ المالى» فى ٢٠٠٨، وقانون الرعاية الصحية الميسرة فى ٢٠١٠، بجانب معارضة حرب العراق، وتشكيل السياسة الأمريكية تجاه الصين.

وتحدثت «بيلوسى» عن السباق لإنقاذ الاقتصاد الأمريكى خلال الأزمة المالية فى عام ٢٠٠٨، من خلال تشريع «برنامج إغاثة الأصول المتعثرة»، ملقية اللوم على «الجمهوريين»، لفشلهم فى توفير الأصوات المطلوبة لجعل البرنامج يحظى بتأييد الحزبين الديمقراطى والجمهورى.

واعتبرت أن «إغاثة الأصول المتعثرة»، وليس قانون الرعاية الصحية الميسرة، هو الذى كلف «الديمقراطيين» مجلس النواب، فى انتخابات التجديد النصفى لعام ٢٠١٠، مضيفة: «أدت ردود الأفعال على البرنامج إلى نشوء حركات مثل (احتلوا وول ستريت)، و(حزب الشاى)، ما أدى إلى هزيمة نكراء للديمقراطيين».

وبينت كيف هزمت جهود «الجمهوريين» لإلغاء قانون الرعاية الصحية الميسرة التاريخى، عندما استقال السيناتور الجمهورى جون ماكين من منصبه، مشيدة بالرئيس السابق باراك أوباما، على رؤيته وقيادته فيما يتصل بهذا القانون.

وأكدت أنها ومسئولى التخصصات ورؤساء اللجان فى مجلس النواب، وإلى حد ما هارى ريد، زعيم الأغلبية فى مجلس الشيوخ آنذاك- تولوا التعامل مع التفاصيل ومخاوف الأعضاء.

وتطرقت كذلك إلى معارضتها غزو العراق، بفضل معرفتها الواسعة بأمور الاستخبارات خلال خدمتها فى مجلس النواب، قائلة: «أدركت منذ البداية أن الاستخبارات لا تدعم التهديد المتمثل فى أسلحة الدمار الشامل».

وأضافت: «فى نهاية المطاف، أعتقد أن الإخفاقات التى أدت إلى أحداث الحادى عشر من سبتمبر كانت تنظيمية وغير مقصودة. لكن الإخفاقات الاستخباراتية التى أدت إلى غزو العراق كانت بيروقراطية ومتعمدة».

وواصلت: «وفى حين أن الفشل فى ربط النقاط ترك الولايات المتحدة عُرضة لهجمات الحادى عشر من سبتمبر، فى حالة العراق، كانت هناك جهود متضافرة لتجاهل وحتى حجب التحليلات غير الملائمة، وتضخيم أو رفع مستوى الاستخبارات التى دعمت الغزو بشكل مصطنع». ومع ذلك، رفضت التصويت لصالح قطع التمويل عن الحرب، معتبرة ذلك «فشلًا فى دعم القوات».

ووصفت «بيلوسى» غزو العراق فى كتابها بأنه «الخطأ الأكثر زعزعة للاستقرار فى التاريخ الأمريكى الحديث»، مضيفة: «لا يزال هناك العديد من الأسئلة التى لم تتم الإجابة عنها حول هذا الغزو، خاصة عندما يتعلق الأمر بأمور الاستخبارات».

وشددت على أنها خلال حياتها المهنية كانت على استعداد لمواجهة الرؤساء، وإيصال رسائل قاسية إليهم، بمن فيهم الديمقراطيان بيل كلينتون وباراك أوباما، إلى جانب الرئيس الحالى جو بايدن، وكذلك الجمهوريين جورج دبليو بوش ودونالد ترامب.

.. ومع هيلارى

4 انسحاب بايدن

لا يفسر كتاب نانسى بيلوسى، ولو قليلًا، كيف تواصل امرأة تبلغ من العمر ٨٤ عامًا، ممارسة مثل هذا النفوذ على الحزب الديمقراطى، والذى كان آخر مشاهده الضغط لتنحية جو بايدن عن السباق الرئاسى المقبل.

وذكرت صحيفة «واشنطن بوست» أن نانسى بيلوسى تدخلت فى هذه المسألة، وحثت الرئيس جو بايدن علنًا على اتخاذ قرار بشأن السباق الرئاسى، بعد أدائه السيئ فى مناظرته أمام دونالد ترامب، فى يونيو الماضى، بالتزامن مع تلقيها مكالمات من أعضاء بالحزب الديمقراطى قلقين بشأن انتخابات نوفمبر.

ورغم أنه فى الأسابيع التى تلت تنازل «بايدن» عن الترشيح لصالح نائبته كامالا هاريس، كانت «بيلوسى» حريصة على عدم أخذ الفضل المباشر فى هذا القرار، قالت فى لقاءات تليفزيونية متعددة للترويج لكتابها، إنها لم تكن تثق فى قدرة «بايدن» على الفوز فى نوفمبر، منتقدة مستشار حملته، مايك دونيلون.

ورغم إشادة «بيلوسى» بـ«بايدن»، ووصفها إياه بأنه «رئيس رائع حقًا للولايات المتحدة»، اعتبرت أن حملته لم تكن تأخذ فى الاعتبار الحالة الحقيقية للسباق، مضيفة: «لم أكن معجبة أبدًا بعمله السياسى، وكان يجب على الرئيس اتخاذ القرار».

وأكدت رئيس مجلس النواب السابقة أنها لم تجر أى مكالمات لـ«تسريع» انسحاب جو بايدن، لكنها تلقت مكالمات من آخرين فى حزبها. وخلال الحملة الإعلامية، بدت «بيلوسى» وكأنها تفكر فى علاقتها الشخصية الطويلة مع «بايدن»، والتى امتدت لعقود، طوال فترة وجودهما فى السياسة الديمقراطية و«الكونجرس».

وفى جلسة مع مجموعة صغيرة من الصحفيين فى واشنطن، حول إطلاق مذكراتها، رفضت نانسى بيلوسى مناقشة ما قالته للرئيس «بايدن» حول الخروج من سباق ٢٠٢٤، وما إذا كانت تحدثت إليه شخصيًا، أو حتى عدد المرات التى تحدثت معه، نافية بشكل قاطع التقارير التى تفيد بأنها أرادت تحدى معلومات استطلاعات الرأى التى قدمها مستشار الحملة، مايك دونيلون.

وأقرت «بيلوسى» بأنها طلبت من الأعضاء الاحتفاظ بالتعليقات بشأن «بايدن»، بعد مناظرته الكارثية، فى ٢٧ يونيو، حتى انتهاء قمة حلف شمال الأطلسى فى أوائل يوليو. ومع ذلك، أصرت على أنها لم تطلب من الأعضاء أبدًا أن يعلنوا مخاوفهم علنًا، على الرغم من أنها أخبرتهم بالتحدث مباشرة إلى «بايدن».

وأنكرت نانسى بيلوسى أن تكون مقابلتها الشهيرة على قناة «MSNBC» ، فى ١٠ يوليو، التى قالت فيها: «الأمر متروك للرئيس ليقرر ما إذا كان سيترشح»، كانت محاولة متعمدة لإعادة فتح المناقشة حول انسحاب «بايدن» من السباق.

> شاهدت الرئيس السابق يقدم لحم خنزير فى بطانية للسيناتور تشاك شومر

فى أثناء رحلتى إلى طهران، فى مرحلة التبادل الثقافى فى إطار المؤسسات الجامعية التى تمت بين مصر وإيران، كشكل من أشكال الانفتاح السياسى التى كانت على وشك التحسن فى عهد الرئيس الراحل محمد حسنى مبارك، والرئيس الإيرانى الإصلاحى الأسبق محمد خاتمى، اضطررت وبطلب من أحد الأصدقاء فى القاهرة، أن أذهب إلى إحدى الهيئات التابعة للحرس الثورى الإيرانى، بهدف الحصول على مطبوعات أدبية تتعلق بأدب الحرب، خاصة أنى لم أجد لها حضورًا فى أسواق بيع الكتب المنتشرة فى ميدان «انقلاب»، «ميدان الثورة»، أو فى سوق الكتب القديمة فى منطقة «التوبخانة».

ووسط دهشة القائمين على البعثة، آنذاك، توجهت بشكل شبه رسمى إلى هيئة مختصة بطباعة أدب الحرب خاصة مرحلة الحرب العراقية الإيرانية، أو حرب الدفاع المقدس كما ترد فى الأدبيات السياسية الإيرانية، والتى يقودها مجموعة من العسكريين رفيعى المستوى، يقومون بالإشراف على انتقاء النصوص الشعرية والقصصية الجديرة بالتعبير عن مرحلة حرب الثمانى سنوات «1980 ـ1988م»، بشرط الاتساق مع التوجه الأيديولوجى للنظام الإيرانى، وأتذكر جيدًا كم الحذر الذى تمت معاملتى به، بالإضافة إلى الانتقال من مكتب يشغله قائد عسكرى إلى آخر، لتكرار نفس الأسئلة عن هدفى من اقتناء تلك المطبوعات، وكأنها وثائق سرية، وليست مجرد كتابات أدبية من المفترض أن تكون متداولة شعبيًا.

د. أحمد لاشين

الموت باسم الرب في

كيف نقل الإيرانيون الحرب إلى ساحات الأدب؟

1 أغسطس 2000

مصطلح «أدب الحرب» أو «أدبيات الدفاع المقدس» لم يظهر بقوة على الساحة الأدبية إلا بعد مرحلة الحرب العراقية الإيرانية، خاصة بعد تدخل الدولة بقوة فى توجيه هذا النوع من الكتابة، لغرض الاحتواء أو السيطرة على وجهات النظر المعارضة لفكرة الحرب أو لتوجهات النظام آنذاك، فى محاولة لتقديم صورة مؤدلجة عن فترة الحرب الطويلة التى خاضتها إيران ضد العراق، وصبغتها بصبغة مقدسة تتسق مع توجهات النظام الإيرانى.

ورغم أن الأدب هو انعكاس لطبيعة المجتمع فى لحظة تاريخية معينة، لكن أدب الحروب فى إيران أخذ شكلين واضحين فى تلك المرحلة وإلى الآن. الأول: هو الأدب المؤدلج التابع للدولة وتحت إشراف الهيئات العسكرية على رأسها الحرس الثورى، مما أثر على تطور الحياة الأدبية وجودتها فى إيران. والشكل الثانى: هو الأدب الحر الذى حاول تقديم رؤية متوازنة لمشهد الحرب وتأثيرة الاجتماعى والسياسى، ورغم محاولات الدولة فى مرحلة تالية احتواء الأدب غير المؤدلج، بتقديم مجموعة من الجوائز المؤسسية للكتاب وفتح مزيد من الآفاق لحرية الكتابة والتعبير خاصة عن تلك المرحلة الحرجة من التاريخ الإيرانى- لكن ظل هذا النوع من الأدب خارج سيطرة الدولة إلى حد بعيد.

طبيعة تعامل الشخصية الإيرانية مع الحروب تعكس عمق التكوين التاريخى والاجتماعى لإيران بشكل عام، وليس فقط توجهات النظام السياسى، فدائمًا ما يتم المزج بين مفهومى الحرب والاستشهاد المذهبى الذى يشكل جزءًا أصيلًا من العقلية العسكرية والاجتماعية فى إيران، وكذلك استحضار العديد من النماذج البطولية والملحمية التى ما زالت حاضرة فى الوعى الشعبى بقوة، خاصة حينما يتعرض المجتمع لتهديد خارجى، فمفهوم الحرب فى إيران هو امتزاج بين المذهبى والقومى والأسطورى، بشكل واضح، وهذا ما سنحاول رصده على مختلف التوجهات الأدبية فى التعامل الإيرانى مع فكرة الحرب:

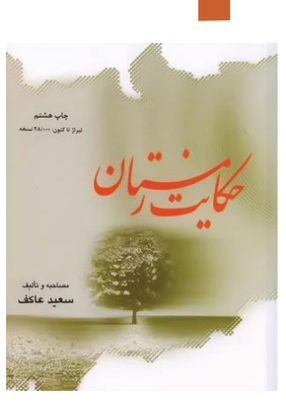

سعيد عاكف

2 رواية «الأرض المحروقة»

رواية الأرض المحروقة «زمين سوخته».. للكاتب الإيرانى المرموق «أحمد محمود»، صاحب الاتجاه الواقعى فى الأدب الإيرانى المعاصر، من حيث اللغة والموضوعات المطروحة فى أعماله، وله العديد من الأعمال التى صنفت نقديًا من أهم الكتابات الأدبية منذ بدايات السبعينيات وإلى الآن. وجاءت روايته «الأرض المحروقة» لتعرض مأساة متكاملة الأركان فى الشهور الأولى للحرب العراقية، فقد قرر كتابتها بعد استشهاد أخيه الأصغر على الحدود الجنوبية فى إقليم خوزستان إيران، فقد كان هذا الإقليم هو أكثر الأقاليم تضررًا فى بدايات الحرب، قبل أن تصل صواريخ النظام العراقى إلى عمق طهران العاصمة.

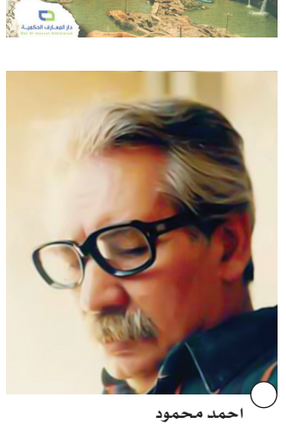

احمد محمود

فلدى علم «أحمد محمود» باستشهاد أخيه من الصحف، قرر أن يسافر من طهران إلى عمق الجبهة الإيرانية فى خوزستان، حتى يتسلم جثمان أخيه، فأغلب الجثامين فى ذلك الوقت كانت تدفن فى أرض المعركة، ولا تُسلم لذويهم، وفى رحلته الصعبة رأى أهوال الحرب ومآسيها، وتأثيرها السلبى على الحياة الاجتماعية فى الإقليم الجنوبى، مع الوضع فى الاعتبار أن إقليم خوزستان بالذات يعانى لسنوات طوال تهميش النظام الإيرانى حتى منذ عهد الشاة، بوصفه تسكنه الأقلية العربية.

جاءت رواية «الأرض المحروقة»، لتحكى تفاصيل رحلة «أحمد محمود» بمنتهى الدقة والواقعية، ورصد من خلالها معاناة المجتمع، وتقصير النظام، والأزمات العسكرية والفشل فى قيادة المعركة فى بدايتها، وتدمير المجتمع. ولدى طباعتها فى ذلك التوقيت لاقت رواجًا عظيمًا، وبيع منها ما يزيد على ١٠ آلاف نسخة فى طبعتها الأولى فقط.

وأثارت الرواية ردود أفعال متباينة، كان أهمها هو موقف «على خامنئى» المرشد الحالى للثورة، ورئيس الجمهورية إبان الحرب، والتى اعتبرها بشكل مباشر لا تعبر عن أدب المقاومة أو أدب الحرب، ولكنها رواية ضد حرب الدفاع المقدس، وأصدر قراره بمنع تداولها، رغم أن هذا القرار لم يكن له تأثير كبير فى حجم توزيع الرواية، التى تمت ترجمتها إلى العديد من اللغات وحظيت باهتمام نقدى كبير.

فرواية «الأرض المحروقة» هى الأقرب لمفهوم أدب الحرب بمعناه الشامل، فرغم أن بطل الرواية هو الأخ الشهيد الذى يبحث الجميع عن جثمانه، ورغم استخدام أحمد محمود تيمة الاستشهاد كفكرة أصيلة فى وجدان النظام الإيرانى الحاكم، لكنه لم يستخدمها بشكل مذهبى، يؤسس للنظام الدينى القائم، بل أتت فكرة الاستشهاد بوجهها الأكثر ألمًا وتأثيرًا، فالمجتمع بأكمله فى حالة استشهاد لصالح قضية لا تعود عليه بمصالح مباشرة. تلك المصداقية هى السبب المباشر فى إغضاب النظام آنذاك.

3 رواية «الظلام» «محاق».. البحث عن البطل الغائب

إن كانت رواية «الأرض المحروقة» قد تناولت أزمة الأقليات الذى تم تقديمها ككبش فداء فى المعركة، فإن رواية «محاق» أو «الظلام»، ترصد أزمة طهران وهى تحت القصف المباشر من قبل القوات العراقية، الرواية للكاتب الإيرانى «منصور كوشان» المتوفى فى منفاة الاختيارى «النرويج» بعد أن قرر أن يترك إيران عام ١٩٩٨، بعد مرحلة اغتيالات المثقفين التى تمت رغمًا عن رئيس الجمهورية آنذاك «محمد خاتمى» بواسطة بعض القطاعات الخاصة داخل الأجهزة الأمنية، كما اتضح بعد ذلك من التحقيقات، ونتيجة لموقفه المعارض من النظام الإيرانى قرر أن يغادر إيران ويمارس دوره الثقافى من الخارج.

رواية «محاق» نشرت عام ١٩٩٠م، لتقدم الواقع الإيرانى المتردى فى العاصمة طهران، إبان الحرب العراقية الإيرانية، تدور أحداثها عن بطل الرواية الذى يبحث عن صديقة الذى اختفى تحت القصف العراقى لطهران، فى بدايات الحرب، ولم يتمكن من العثور عليه، واضطر أن يترك طهران ليذهب إلى أقليم تركمانستان، حيث أقام هناك مع أسرته، ثم يقرر أن يُرسل زوجته وأولاده إلى ألمانيا، ليعود هو ثانية إلى طهران، حتى يُكمل رحلة البحث عن صديقه، الذى لم يتمكن من العثور عليه حتى نهاية الرواية. فالأحداث لم تُقدم لنا إجابة شافية عن مصير البطل الغائب، فهل انتحر كما ورد على لسان أخته، أم تم القبض عليه، أم مات تحت أنقاض القصف؟، نهاية مفتوحة تليق بمأساة.

الرواية تعكس الواقع الاجتماعى والثقافى المأساوى بطبيعة الحال فى إيران وقت الحرب وما تلاها من اضطهادات واسعة للتيار المعارض للحرب، ولسياسة الدولة الإيرانية فى تلك المرحلة، الصورة القاتمة التى قدمتها الرواية من أنقاض فى كل مكان، والقمامة المتراكمة فى الشوارع الرئيسية، وملامح الناس المظلمة، وحالات السرقة والعشوائية التى تحكم المدينة، وحالات القبض العشوائى للمثقفين والكتاب، بالإضافة إلى محاولة الكاتب تقديم الهجرة كحل أخير ووحيد فى ظل حالة الفشل التى تشمل كل القطاعات، كل تلك التفاصيل وضعت رواية «محاق» فى مصاف الروايات الأولى لأدب الحرب فى إيران، خاصة مع استخدامه فكرة الغيبة والعودة، التى تسيطر على الفكر الشيعى، والوجدان الشعبى بشكل عام. فكأن الرواية قررت هدم فكرة الغيبة أو البحث عن الخلاص فى عودة الغائب، فالحرب كشفت عورات المجتمع وفشل النظام.

4 مجموعة «النيران المفتوحة».. الحرب سبيل الخلاص

المجموعة القصصية «النيران المفتوحة» للكاتب الإيرانى «كورش أسدى»، الحائز على جائزة النقاد لعام ٢٠٠٣، تجسد فكرة الأدب المؤدلج إلى حد ما، فالمجموعة تحتوى على ٧ قصص قصيرة، ترصد تأثير الحرب على المجتمع الإيرانى، ولكن من منظور أكثر إيجابية، فمن ضمن المجموعة نجد القصة القصيرة «الخنجر» التى تحكى عن ثلاثة أصدقاء شاركوا فى الحرب العراقية الإيرانية، وأُصيب أحدهم بحالة نفسية سيئة، وأورثته خوفًا مرضيًا، يجعله يحمل خنجره بشكل دائم فى انتظار العدو، ولا يكاد يبرح مكانه فى منزلة خشية هجوم الجيش العراقى، واختار الصديق الثانى أن يترك البلاد إلى غير رجعة، أما الثالث وبعد رحلة مضنية فى محاولة شفاء صديقة، يصل إلى نتيجة مفادها، أن الحرب كانت هى البداية الجديدة لمن يتمكن أن يراها من منظور مختلف، فهى أخرجت روح الاستشهاد والقوة من داخل الروح الإيرانية الحقيقية، فقد قرر الكاتب أن ينتصر لفكرة الدولة على أزمة المجتمع التى عانى منها لعقود طويلة وما زال جيل الحرب العراقية قائمًا يعانى ويلات الحرب على المستويين النفسى والاجتماعى، فالقصة فضلت مصير الصديق الثالث ضد الصديق المريض والآخر المهاجر.

5 «رواية حكاية الشتاء».. الحرب المقدسة وآل البيت

هذه الرواية لكاتب يُدعى سعيد عاكف، وهو ليس من الأسماء ذات الحضور الأدبى المهم فى إيران، ولكن كل كتاباته تدور فى إطار الحرب العراقية الإيرانية، وكل أعماله من نشر هيئة «الدفاع المقدس» أو الدور التى تتبعها، وتُعد نموذجًا حيًا لفكرة الأدب المقصود أو الكتابة التى تتم تحت رعاية الدولة، فالدفاع المقدس يقوم بنشر العديد من الأعمال الأدبية والفكرية فى خدمة أيديولوجية الحرب كما تبناها النظام الإيرانى مباشرة.

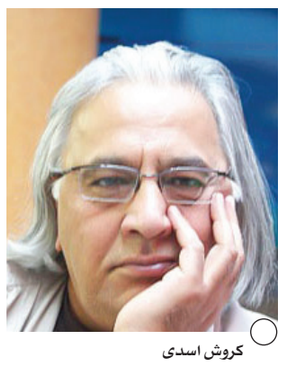

کوروش اسدى

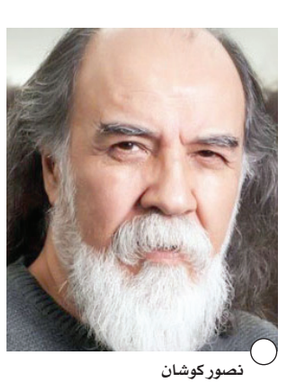

نصور كوشان

تدور الرواية عن قصة مجند إيرانى شارك فى الحرب العراقية الإيرانية، وتم أسره بعد ما أظهر من البطولات الملحمية الكثير، فيتعرض لكل أدوات التعذيب داخل السجون البعثية العراقية، لينتهى به الحال داخل إحدى المقابر الجماعية، التى كان الجيش العراقى يلقى فيها الجنود الإيرانيين أحياء أحيانًا «كما تزعم الأدبيات الإيرانية»، ولكن ونتيجة لإيمانه الشديد بآل البيت وتضرعه الدائم بالأئمة، يخرج من المقبرة الجماعية حيًا بعد رؤية يرى فيها الإمام المهدى وهو يأخذ بيده، ليقص علينا قصته بهذا الشكل.. الكاتب يشير إلى أن تلك القصة واقعية من ملفات الحرس الثورى إبان الحرب، ليُضفى على القصة مزيدًا من الإثارة الدينية والعسكرية.

هذا النوع من الكتابة يلقى رواجًا كبيرًا بين صفوف الحرس والحوزة الدينية، ويسيطر على قطاع كبير من المجتمع ذوى الميول البسيطة فكريًا. خاصة أن قصص الشهداء فى المعركة ومعجزات عودتهم من عالم الموت، ومزج تاريخهم برضا الأئمة الشيعية، كانت تروى على المنابر وأمام شاشات التلفاز فى تلك المرحلة، وكذلك يُروج لها كتابة عن طريق الأدب المدفوع مقدمًا بتوجهات الدولة.

6 الخلاصة:

شكلت الحرب العراقية الإيرانية، مساحة أدبية واسعة، سواء المناصرون لتوجه الدولة، أو المعارضون لها، لكن برصد تلك التوجهات وبتحليل لبنية النصوص الأدبية المقدمة، نستطيع الوصول إلى طريقة التفكير الإيرانية فى فكرة الحرب بشكل عام، فالشخصية الإيرانية أميل دائمًا لفكرة خوض المعارك المباشرة، أو على الأقل الترويج لذلك بأشكال مختلفة، فالحرب جزء أصيل من تكوين الوعى الإيرانى، سواء الأسطورى أو المذهبى، وانعكس ذلك سياسيًا واجتماعيًا، فرغم معاناة المجتمع من ويلات حرب الثمانى سنوات، لكن تظل لدية الرغبة الدائمة فى تمجيد المعارك والتغنى بها.

أتذكر جيدًا المشرف على بعثتنا إلى إيران، الذى أصابه حزن شديد حينما تحدثت معه عن رغبتى فى الحصول على الكتابات الخاصة بأدب الحرب، فقص على استشهاد صديقيه المقربين، وكيف نجا من الموت بمعجزة، قبل انضمامه إلى الحرس الثورى بشكل مؤسسى، وسبب إدمانه للمخدرات والأفيون تحديدًا فى فترة طويلة من حياته، وعجزه عن الزواج بسبب إصابته فى المعركة، وهو ابن العشرين من عمره، ولكن ورغم المأساة، ما زال يضع مسدسه تحت وسادته فى انتظار معركة قادمة.

جاءت رواية «الأرض المحروقة» لتحكى تفاصيل رحلة «أحمد محمود» بمنتهى الدقة والواقعية وهى الأقرب لمفهوم أدب الحرب بمعناه الشامل

رواية «محاق» نشرت عام 1990م لتقدم الواقع الإيرانى المتردى فى العاصمة طهران إبان الحرب العراقية الإيرانية

الأدب فى الغربية.. خصوبة الأرض وهدير الإبداع

محافظة الغربية قلب الدلتا النابض دومًا بالثقافة والفكر والأدب، والإبداع بمختلف فنونه، تضرب بجذورها فى أعماق التاريخ؛ فنجد آثارًا فرعونية فى بهبيت الحجارة، وصالحجر، وسمنود التى كانت المحطة الخامسة فى مسار العائلة المقدسة بعد ذلك؛ لتشهد حضور هذه العائلة وبركاتها سبعة عشر يومًا؛ لتؤكد هذه الزيارة أن مصر مباركة، ومحط أنظار العالم، بالأمن والأمان، بالخير والعطاء، آمنت بالتوحيد قبل أن يعرفه الآخرون.

وفى محافظة الغربية رائحة الصحابة العطرة الذين جاءوا مع عمرو بن العاص لفتح مصر سنة ٢٠ هجرية؛ حيث يضم ثرى قرية صفط تراب التابعة للمحلة الكبرى جثمان الصحابى عبدالله بن الحارث، وفى طنطا عاصمة المحافظة العارف بالله السيد أحمد البدوى الذى اختارها مستقرًا له فى حياته ومماته، ويُقام له احتفال المولد كل عام من شهر أكتوبر، ويأتى له الأحباب من كل مكان.

محافظة الغربية شعبها من الأبطال البواسل، حيث قاوم المستعمر الفرنسى ودحره فى السابع من أكتوبر ١٧٩٨م، وأصبح ذلك اليوم العيد القومى للمحافظة التى تتميز أرضها بالخصوبة العالية التى تساعد الفلاح على الزراعة لكثير من المحاصيل المهمة التى تعيشه وأسرته، ويتكسب منها. ويبدو أن هذه الخصوبة قد امتدت لعقول الكثير من أبناء المحافظة ليتألقوا فى مجالات متنوعة: «دينية، سياسية، فكرية، ثقافية، فنية، رياضية، أدبية وإبداعية».

من ناحية الحياة الأدبية فالغربية نهر متدفق لا ينضب أبدًا، سواء أكان النشاط فرديًا أو تجمعات. وكانت الحركة الأدبية فى المحافظة فردية؛ أى أن من يعرف نفسه موهوبًا وخاصة فى الشعر- لأنه كان الغالب بتأثير الدراسة فى الأزهر أو المدرسة مع ظروف مساعدة- يُنمى موهبته بنفسه إن كان من المُصِرّين أولى العزم؛ مثلما حدث مع مصطفى صادق الرافعى الذى حصل فقط على الابتدائية نظرًا لظروفه الصحية، وتولى والده رعايته تعليمًا وثقافة فى البيت، وقد حقق شهرة كبيرة، ومكانة مصرية وعربية.

الإبداع بشكل عام يبدأ كحالة فردية، وكى يتشكل كحالة جماعية أو «حركة أدبية» يحتاج لما هو أكبر من النشاط الفردى، وقد بدأت الحالة الإبداعية فى محافظة الغربية فردية، لكن ما ساعد على تعظيم الجهود الفردية هو ظهور قصور الثقافة وبيوتها ومكتباتها؛ فالنشاط الثقافى الرسمى- كما هو متعارف عليه- بدأ فى أقاليم مصر عام ١٩٤٥ تحت مسمى «الجامعة الشعبية» أو «إدارة الثقافة الشعبية» وتتبع وزارة الإرشاد القومى، ثم تغير الاسم فى عام ١٩٦٥ إلى جهاز «الثقافة الجماهيرية»، ومع تنامى دورها تم فصل وزارة الثقافة عن الإرشاد القومى فى ١٩٦٦، وفى العام ١٩٨٩ صدر القرار رقم ٦٣ لتتحول إلى هيئة عامة ذات طبيعة خاصة تتبع وزارة الثقافة، وأصبح اسمها «الهيئة العامة لقصور الثقافة»، وبعد ظهور بيوت الثقافة وقصورها ومكتباتها كان للغربية نصيب منها فى المدن وبعض القرى، ما أسهم فى وجود حركة أدبية ثقافية إبداعية؛ ففى المحلة الكبرى قصران عريقان للثقافة «قصر ثقافة المحلة الكبرى»، و«قصر ثقافة الغزل»؛ التابع لشركة مصر للغزل والنسيج، إلى جانب المكتبة العامة. وفى منتصف الستينيات من القرن الماضى جمع قصر ثقافة المحلة الكبرى «شلة المحلة»؛ وأبرزهم «د. جابر عصفور، د. نصر حامد أبوزيد، جار النبى الحلو، محمد فريد أبوسعدة، سعيد الكفراوى، محمد المنسى قنديل، محمد صالح». وتعد تلك المجموعة الموجة الأولى التى أسست للأدب فى المحلة الكبرى، وانطلقت إلى آفاق بعيدة فى مصر، والعالم العربى بعد ذلك.

وفى طنطا كان هناك الشاعر عبدالله السيد شرف، ورغم أنه التزم بيته منذ عام ١٩٧٤، فإنه صنع فى قريته «صناديد» حالة تشبه الصالون الأدبى الدائم الذى يأتيه الأدباء والشعراء من كل فج عميق، وقد كوَّن فى عام ١٩٨٠ جماعة «أصوات أدبية» مع شعراء من الزقازيق، وبالاشتراك مع د. حسين على محمد، ود. صابر عبدالدايم، ومحمد سعد بيومى، وأصدرت الجماعة أكثر من ٣٠ عددًا من مجلة «أصوات»، وكانت هناك أسماء أخرى لمعت بشكل فردى فى الغالب وإن تواجدوا بقصر الثقافة أحيانًا، ومنهم «على عبيد، فاروق خلف، صالح الصياد، سعد الدين حسن، ومحمود حنفى كساب».. وآخرون.

جاءت حقبة الثمانينيات بموجتها الأدبية العالية؛ وهى الموجة الثانية فى المحلة الكبرى بقصريها والمكتبة، بل امتد الأمر لمقرات بعض الأحزاب مثل «العمل، والوطنى، والناصرى»، ووصل إلى بعض القرى مثل «مُجُول، وسامول، والقيصرية»، فضلًا عن النشاط الفردى ويبرز فيه ما قدمه مختار عيسى؛ إذ تمكن من إصدار مجلة «الساحة» بطريقة الماستر، وقد أدت دورًا مهمًا فى الحراك الثقافى والأدبى فى ذاك الوقت، كما أسس صالون «ملتقى مرايا، ودار نشر مصغرة».

كما تبرز أسماء «ربيع عقب الباب، محمد أبو قمر، محمد نشأت الشريف، محمد أمين، سامى عبدالوهاب بطة، محمد حمزة العزونى، أحمد عزت سليم، مجدى الحمزاوى، عبدالجواد الحمزاوى»، وقد لحق بهذه المجموعة وغيرها فى الثمانينيات مجموعة مجلة «دلتا» وقد صدرت المجلة بطريقة الماستر أيضًا، وكان أعضاء المجموعة هم «فراج مطاوع، إيهاب الوردانى، محمد عبدالحافظ ناصف، وعلى خليل».. وفى تلك الفترة أيضًا كان هناك حضور بارز لعدد من الأدباء والمبدعين، منهم «جابر سركيس، محمد عبدالستار الدش، فريد معوض، جمال عساكر، لطفى مطاوع، ميرفت العزونى، هناء جودة، محمد عبدالظاهر المطارقى، مجدى الفقى، المتولى الشافعى، عماد الشافعى».. وتبع هذه الموجة بعد ذلك كل من «أحمد عيد، ومحمد عبدالحميد رجب، والمرسى البدوى» والأخيران ينتميان لجيل السبعينيات، ولكنهما ابتعدا لظروف خاصة ثم عادا. أما نجوى سالم فكانت تحضر فى قصر الثقافة ولكنها سافرت للعمل بالخارج، ثم عادت.

وامتدادًا لتجربة «دلتا» جاءت بعد ذلك جماعة «رؤى الأدبية» التى أسسها إيهاب الوردانى ومحمد عبدالحافظ ناصف وأحمد الجنايني وجمال عساكر ومحمد عبدالستار الدش، وكانت لها لقاءاتها الفكرية والأدبية وأصدرت من الكتب لأعضائها وآخرين حوالى ٢٥ عنوانًا. ولعبت مجلة «الرافعى» التى تصدرها مديرية الشباب والرياضة بطنطا برئاسة الشاعر فاروق خلف دورًا مهمًا فى الحراك الثقافى والأدبى بالمحافظة، وامتد تأثيرها لكل محافظات مصر بل والوطن العربى؛ حيث تناولت ملفات وقضايا مهمة فى الأدب والثقافة والفكر إلى جانب نشر الأعمال الإبداعية فى الثمانينيات والتسعينيات، وأصدرت عددًا من الكتب.

وفى نفس فترة الثمانينيات ظهرت أسماء مهمة فى طنطا، حيث قصر الثقافة وبعض المواقع الأخرى، وبعض هذه الأسماء من مدن أو قرى أخرى، ومنهم «عباس منصور، فوزى شلبى، محمد عبدالباسط زيدان، هانم الفضالى، محمد عبدالسميع نوح، السيد الليثى، سوزان عبدالعال، عادل عصمت، محمد السبع، عزت عبدالله، وعزت عبدالعال».. ولحق بهؤلاء «مصطفى منصور، محمد درة، طارق عمار، طارق بركة».. وآخرون. وفى كفر الزيات نشطت حركة الأدب فى بيت الثقافة وخارجه، وتبلورت الصورة مع أسماء تشق طريقها بقوة، ومنهم: «فتحى السيد، الحسينى عبدالعاطى، صبرى قنديل، ماهر نصر، إبراهيم خطاب، ممدوح عبدالستار، محمد أمين صالح، محمد نصر، محمد عزيز، برهان غنيم، وعلى الفقى».. ومعظم هذه الأسماء أصبح معروفًا مصريًا وعربيًا. ومعهم أيضًا مبدعون لهم شهرتهم الأدبية فى مصر والوطن العربى، منهم محمود عرفات؛ وله صالون ثقافى باسمه، والأمير كمال فرج، وأحمد منصور، وعلى حسن، وأحمد البحيرى، وأحمد زايد.. وآخرون.

ثم تأتى حقبة التسعينيات لتكشر عن أنيابها فى التحولات التى ضربت الإبداع والفن عمومًا. ونشطت قصيدة النثر بقوة. ففى المحلة الكبرى ينشط كل من «صالح الغازى، إيهاب خليفة، وليد طلعت، محمد طلبة، محمد داود، عمرو النوسانى، فتحى بكر، ياسر أبو شوالى، ياسين عبده». وفى المحلة ظهرت مجلة «غزْل» التابعة لقصر ثقافة غزل المحلة، و«المحلة الأدبية» التابعة لقصر ثقافة المحلة الكبرى، بل طبع القصران بعض الكتب لبعض الأعضاء. وظهر بعد هؤلاء الأدباء وسام جار النبى الحلو، وتيام الشافعى، وعبدالمنعم الحريرى، وحسن مأمون؛ المشغول كثيرًا لظروفه الخاصة.. وآخرون.

وقد اهتمت ثقافة الغربية بطنطا بإصدار مجلة «كتابات»، ومن بعدها مجلة «أقلام» لتكونا صوت أدباء ومبدعى الغربية. وفى طنطا لمعت أسماء منهم «محمود شرف، هانى عويد، أحمد محى الدين، البيومى عوض، محمد عبدالله الخولى، وحيد زايد، عيد حميدة»، وقد أسس محمود شرف لاحقًا «جمعية شعر» التى أقامت «مهرجان طنطا الدولى للشعر» لثمانى دورات، وقد ألغت أمانة المهرجان الدورة التاسعة عام ٢٠٢٣م؛ تضامنًا مع شعب غزة بسبب العدوان الوحشى الصهيونى عليها.

وإذا نظرنا للمشهد فى الوقت الحالى نجد الحركة الأدبية فى الغربية ثرية تتمثل فى تعدد المواقع، وتنوع النشاط؛ نشاط نادى الأدب بقصر ثقافة المحلة الكبرى برئاسة سامى الرفاعى، ومسرح ٢٣ يوليو بعروضه الفنية المتنوعة، وصالونه الثقافى برئاسة جابر سركيس، وبعض المكتبات العامة، والصالون الثقافى التابع للجمعية الخيرية بقرية مُجُول بأمسياته الثقافية المتنوعة التى تصنع حوارًا مجتمعيًا فى شتى المجالات بإشراف الشاعر محمد الدش. ولمعت أسماء محمد الشهاوى وريم أحمد؛ ولهما صالون ثقافى له نشاطه يسمى «صالون الحضرة»، وحمزة العزونى، ومصطفى تيسير، وسام دراز، وأحمد العزونى.. وآخرون. وفى طنطا نجد قصر ثقافة طنطا ونشاط نادى الأدب برئاسة عمر فتحى، والمركز الثقافى ونشاطه المتنوع برئاسة عزة عادل. ولمعت أسماء محمد سامى، سماح مصطفى، زهرة علام، هانى أبو سنة، كمال إبراهيم، هبة موسى.. وآخرون. وللنقابة الفرعية لاتحاد كتاب وسط الدلتا بطنطا برئاسة د. أسامة البحيرى حضور متميز فى أمسياته المتنوعة، ومؤتمره السنوى بالتعاون مع كلية الآداب جامعة طنطا.

> فى السبعينيات صنع «شاعر صناديد» صالونًا أدبيًا فريدًا فى طنطا

محمد عبدالستار الدش

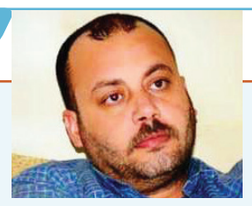

عبدالمنعم الحريرى

الطريق

يا طريق يا أبووش أسفلت
لو نزلت دمعة عينى عليك كنت اتشققت
لو تعرف إيه واخد منى
أنا كنت صعبت عليك دلوقت
انت اللى غويت القلب الخام
وفتحت لى سكة على الأحلام
خلتنى مشيت
ورمتنى فريسة للأيام من يوم ما بدأت
حواديتك كانت ليل ونهار
بتهون على قلبى المشوار
وتنور لى فى ليالى الصمت
دلوقتى خلاص
أنوار عمدانك بتسرى
وانت اللى معاك حلمى وسرى
ورابطنى بالحبل السرى
لفيت فى بلاد الغربة سنين
وأدينى رجعت.. مشتاق للزرع
وريحة الطين وقناية بتملى القلب حنين
والضحكة فى وش البنى آدمين
بتطمن كل خلايا الروح
أهلك حوالينك فين ماتروح
بتقولك إن الدنيا بخير
وقلوب بتجود من تفكير من غير تكليف
تحت الجميزة فى عز الصيف
لو حتة نعمة فى نص رغيف
ولا تعرف مين صاحب المطرح
ولا مين الضيف
جميز متختن ربانى أطعم م الشهد الحيانى
بتنز حلاوته على لسانى
لو بس لمحته خيال أو طيف
قوللى الجميزة دى راحت فين
طب ليه اتخليت عنها وفرطت
ليه فرطت.. مغلوب على أمرك زى الناس
بتوصل فيهم وتعليهم.. وبتنداس
من كتر ما غدرم بيك
اندفنت فيك كل خلايا الإحساس
كل اللى زرعت الورد عشانهم غشوك
قطفوه.. وسابولك حبة شوك
من خيرك لحم أكتافهم
وأول ما أسنانهم شقت.. نهشوك.

هناء جودة

عيون زجاجية

أنهت زيارتها لإحدى محافظات الصعيد بالمرور على محلات بيع التذكارات الأثرية، لتحمل معها بعض الهدايا للأصدقاء، من بين أرفف المحل اختارت تمثالًا لقط فرعونى أسود ذى عيون زجاجية؛ أعجبها، استحوذ على تفكيرها، حكى لها صاحب البازار عن بعض أسرار تلك القطعة الفرعونية، احتفظت لنفسها به فيما قدمت باقى الهدايا للأهل والأصدقاء.

لعيون القط وميض غريب، يدعوها للتأمل والتفكير مليًا فيما قاله البائع، تضعه على المنضدة الصغيرة بجانب السرير، تبتسم له قبل النوم ساخرة من كل الخرافات التى سمعتها عنه وعن سحره، تهمس فى سرها: بائع محترف.

لم يمر على عودتها سوى أيام حتى تصدمها سيارة فى حادث مروع، ترك بصمته على جسدها، أصابها بكثير من الكسور والتشوهات والجروح بما يكفيها لتحيا عاجزة لبقية العمر، تهمس صديقتها الجالسة على أطراف سريرها؛ تعودها فى مرضها: «يا لها من نظرة مرعبة لهذا التمثال الأسود، أراه ينظر بتحدٍ غريب كأنه يتوعدنى بشر».

تقولها وتدير ظهرها له وتضحك، تسترسل مرة أخرى بعبارات تدعوها للتخلص منه لأنه فأل سيئ، وأن الحادث الذى كاد يقتلها لم يحدث إلا بوجوده هنا، تبتسم لصديقتها هامسة: «مجنونة».

تمر الأيام ولم تتوقف الأخبار السيئة، تنتابها حالة من الاكتئاب، ينصحها الأطباء بالتنزه وتغيير المناخ المحيط بها، يصطحبها الزوج إلى سكن خاص بمدينة ساحلية، لعل منظر البحر والأمواج والقمر على رمال الشاطئ يستفز قلمها مرة أخرى لتكتب أشعارها وقصصها المحببة؛ ولتستعيدها الحياة مرة أخرى.

تحمل معها الأوراق والأقلام تضعها على المنضدة بجوار قطها الأسود، اصطحبته معها بعيدًا عن عينى زوجها، ينقطع التيار الكهربى لدقائق، ويعود وقد اختفت الأوراق والأقلام، تبحث فى ذهول، تنظر إليه، لتجده يبتسم، تصرخ فى وجهه، تومض عيناه، تنادى زوجها، تحكى ما حدث، ينظر الزوج ليجد الأوراق والأقلام والأدوية على المنضدة كما وضعها، ويفاجأ بالتمثال حيث وضعته هى، تقسم أن ما قالته حق، يقبّلها زوجها، يقدم لها كوبًا من الماء وبعض الأقراص المهدئة، تصرخ، تلقيها من النافذة، تعاود محاولة الكتابة للمرة الألف وتعاود الفشل أيضًا..

تعتريها حالة من الضيق والضجر، صوت عبدالباسط يراود روحها بالسكينة، تسمع أنينًا يشبه البكاء، فرغت بطارية الهاتف فيصمت عبدالباسط، يتحول الأنين شيئًا فشيئًا إلى ضحكات عالية ساخرة، تنتبه إلى مصدر الصوت، تتراءى لها عينا القط وكأنهما تومضان ببريق مخيف، تخشى أن تنادى زوجها ثانية، تتناول عكازيها، تتحرك ناحية المطبخ، تعود ومعها شاكوش حديدى ثقيل، تهوى به على رأس القط ليتحول إلى شظايا من رخام أسود، وتنسحب الأصوات عنها أنينًا يخفت.. يخفت... يصمت، حين أمعنت النظر وجدت دموعًا دامية تنزل من العيون الزجاجية، بينما راح زوجها يضمد جرحًا فى يدها.

هانى عويد

قصيدتان

بخورُ قَدَرى

أدوِّنُ..
لأحفظَ بقايا ذاكرتى من العبث،
ومن مطبات صناعية
مُسترسلة فى عَين الماضى،
وفى كفِّ الغد المفرود..
كشحَاذ عابر
وأبحثُ عنِّى..
كلما يَمَّمتُ لمحةً فى أى اتجاه.
رُبمَا كنتُ السائقَ الذى نسيتُه
فالتفَّ عليه الطريق.. ولم يصل،
أو الشجرةَ التى أحمِّلُها عبءَ أحلامى،
وأشياء كثيرة عن وطن
لا يلوى على شىء.
وحبيبة تَوَّه فى يديها ملامحى..
كأوراق الخريف
فلا أدرى أيُّهما فصل يُجدِّدُ وَصْلِى؛
فاستبقيه.
لا يكفى الموت نسيانى..
كى أمرَّ بحبى من الشوارع التى آنَسْناها؛
لتُزهر طفولتى.
أنَا العاشق الأبدى.. أفكُّكُ صمتى
إذ يمرُّ،
وأترك للقصيدة بخورَ قدَرى.

اتركوا للمكان وترًا
الأرصفةُ كرسى معلَّق للغياب،
واستراحةٌ لليل..
تأتى بخدِّ القمرِ البضِّ،
وَمَنْ ضَاقَتْ عَليه وحدته..
فَفَرَّ من سطوة الجدران.
لا تَشبع فُضولًا مع الفَصُولِ التى
تَزورُ خواطرها،
ولا تَنهض بإشارة ضدَّ الحَفر
أو غَزو الأكشاكِ الَّتى ذَهبتْ بها
للتجارة.
مَنْ يظُنُّونَ أنَّ هذا عَدمٌ لا بدَّ من استثماره،
كطفلٍ تَركَ وصيته العبثية
على أبواب المراحيض العمومية
والأسوار.
ضِقنَا أكثرَ بهامشِنَا
وَكَبُرنَا بحَاجز الصوت!
لا تكتبوا هنا.. «للذكرى الخالدة»،
ولا تنقلوا القبح بذخيرته الحية.
فقط.. اتركُوا للمكان وترًا
يتذكر به رائحتنا.

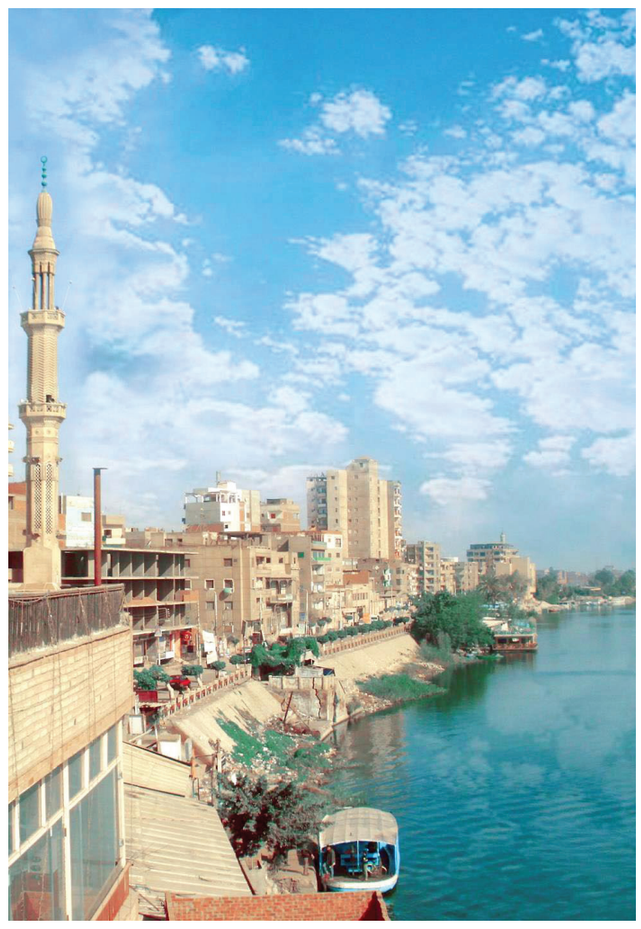

محمد أمين صالح

أفتح النافذة علّ عصفورًا يقاسمنى الوجع

أيها العصفور الحزين مثلى
من الذى دلك على هذه النافذة؟
من أخبرك بأن ها هنا ينامُ حزينٌ يُحصى الراحلين،
ويتفقدُ صورَهم على جدار قلبه،
ويرتلُ كتاب الوجع
يُطالع المرارة صفحة صفحة
ويتلو الوحدة سطرًا سطرًا.
من علمك الحزنَ أيها الجميل؟
من شال الزقزقة من لسانك؟
الحزن بوابة الوحيدين
ومن تقطعتْ بهم السُّبلُ
ومن عرفوا آخر الحكاية
كان يا ما كان.
كان لى حبيبة تشرق كل صباح
بحكايات جديدة مطرزة بالوصل
وأحلام تدسها سرًا فى جيبى
ذهبنا معًا إلى الحانة، والملهى والبحر، والسرير
قشرنا الحزن عن أجسادنا كثيرًا،
زرعنا البهجة فى جنبات بيتنا الصغير،
مشينا على أطراف أصابعنا حتى لا نفزّع الأحلام. حبيبتى مضت سريعًا.
مضت كما تمضى كل الأشياء الجميلة.
أحبائى مضوا خفافًا ووحيدين مضوا
لأنهم مضوا قبل ذلك أمام المتجر، والمخبز والمشفى.
الآن أنا وحيدٌ وحزين
أشبه تمامًا ساقية مهجورة عند آخر الحقول
وجميزة عجوزًا تنخرها الريح.
من أين ينبع الحزن أيها الصغير
وطريقك
مُعبَّدة بالقمح والماء القراح؟!
وأنا أشتهى جناحين لأحلق بعيدًا كما يليق بحزين.
الذين جربوا الحزن يعرفونه من رائحة البكاء،
ومن طعم الصمت وأشجار الحنين،
من القطع التى تسقط من أجسادهم
كل يوم دون وداع يليق
كل الذين جربوا الحزن صاروا شجرًا يابسًا
بلا أعشاش أو عصافير،
صاروا أرغفة قديدة
مُزنًا قاتمة وشموسًا ذابلة.
الآن صرت أخشى المشى، حاملًا أحزانى
أحزانى التى تتناثر من حولى كلما مشيت
وعلمنى الروماتويد انتقاء الطرق ذات المقاعد
وعلمنى السكرىّ ارتياد مقاهٍ بدورات مياه
وعلمنى الحزن أن أخبئ أحبتى
فى ثنايا القلب، وأن أفتح النافذة
علّ عصفورًا يقاسمنى الوجع.

وسام دراز

ندبةٌ زَرقاء

ألا نتمشَّى على البحر؟..
قالَ، سيَخضرُّ قلبُكَ..
ردَّ أبوهُ: أليسَ سماءَ هوَتْ ذلكَ البَحر؟
كان سماءً.. وتلك بحار ستسقُطُ عمّا قريب
سيَخضَرُّ قلبُكَ
– حقًا؟
– وهل يَشربُ البرعمُ الماءَ إلَّا ليَخضرَّ؟
– يَشربُهُ مالحًا؟
– مالحًا يا بُنىَّ.. ألا تطلبُ الملحَ فوقَ الإدامْ
– وقد يجرحُ الملحُ عينيَّ
حينَ أصدِّقُ أنَّ أبى نورسٌ لا ينامْ
أنهُ يعشقُ البحرَ لكنَّهُ لا يسيرُ إليه!
أنا خائفٌ يا أبى.. هل نسيرُ إلى البحرِ؟
– لا تَختبرنى بهِ يا بُنىَّ..
لقدْ خُضتُهُ كلَّهُ لا المراكبُ تَجهلُنى..
لا المرافئُ يَعرفُنى فيه غَرقاهُ..
والقاعُ كمْ قالَ لاسْمى: انتَشلْنى.
إلى الآنَ يَعرفُنى البحرُ لكنَّنى
لستُ أعرفُنى
قُربَهُ لا تفكِّرْ بهِ يا بنىَّ.. سيَزرقُّ قلبُكَ
– ما زُرقةُ القلبِ؟
– عِشقُ البحارِ/ وشقَّ القميصَ/ تَرى!
هذهِ النَّدبةُ الآنَ.. كم حَجمُها
لم تكُنْ لَكْمةً فى الصِّبا..
لم تكنْ طعنةً منْ عدوٍ قديمْ
ولا حجَرًا أخطأتْهُ يدٌ..
إنَّهُ قلبىَ المُتعلِّقُ بالبحرِ:
يَنكُزنى فى ضلوعىَ كلَّ مَساء.

جابر سركيس

قصص قصيرة جدًا

لفافات بيضاء

فوق الأرواح الخضراء بنى بيته، لم تقاوم، ولم تقاوم الأرض أسياخ الحديد، وهى ترشق فيها بكل قوة وثبات مدعومة بوابل من الأسمنت والزلط والرمل، وقف فوق الدور الأول نظر إلى صاحبه فى الجهة الأخرى يقف فوق سطح الدور الثانى من بيته، صمم على تجاوزه، ظل يصاعد، يصاعد حتى تجاوزه بدور، من تحت نظر إلى أعلى، لم يتمكن من رؤية ملامح ابنه، حاول الصعود، حاول، خذلته قدمه اليمنى، حاول، خذلته يداه، من «حفرة» حاول النداء على ابنه، زوجته، شقيقه، حاول وهو مكبل بلفافات بيضاء، لم يصل صوته لأحد.

كوب ماء بارد

حين أخبَرَها بأنى قادم، تجهم وجهها، سألت: ألم يقل لك سبب قدومه؟

– لا

سارت فى «الطُرقة» الممتدة تحدث نفسها حتى وصلت إليهن، أخبرتهن بأنه قادم لأمر ما، تجهمن، ظلت الأسئلة والتخمينات تدور بينهن..

حين وصل إلى باب الغرفة سألته بقلق: خير؟! بينما انشغلت الأخريات فى النظر إلى هواتفهن. قال: خير، هل تنتظرين غير ذلك؟

قالت وهى تحاول إخفاء توترها بابتسامة خفيفة: لا.

سلمها مظروفًا كان بيده، فتحته، قرأت ما به، سألته وهى تبتسم ابتسامة مطمئنة وهى تهم من مقعدها: تشرب شاى؟

– لا، كوب ماء بارد فقط.

تناول الماء على عدة رشفات، تجول عيناه أرجاء الغرفة، جهاز التكييف، النوافذ المغلقة المشدودة ستائرها، المصابيح المطفأة، وهو خارج من الغرفة، كادت يده تمتد إلى مصباح الإضاءة، سحبها وانصرف.

فقد

تجلس على مقهى بمنطقة إقامتك القديمة، تستمع لحوارات الناس الصاخبة المتداخلة، فى الخلفية صوت تلاوة قرآنية لا تتبين منها كلمة واحدة، تتابع حركة سير المواطنين والسيارات، تبحث عن وجه تعرفه تدعوه للجلوس معك، تسأله عن أخبار الجيران والبيوت وصاحب محل البقالة، وبنات شارعنا اللاتى أصبحن أمهات أو جدات الآن. لا يجىء أحد.. على مهل تشرب شاى ثقيلًا مرًا، وعلى مهل تحمل جسدك وتمضى.

«عفن

١- حين فتح لى باب البيت القديم وكان يتصبب عرقا، كانت زوجة السائق السمينة تهرول من غرفته إلى غرفتها بالدور الأعلى.

٢- دخلتُ غرفته لم أجد مكانا للجلوس عليه غير حافة السرير الملقى عليه ملابس تخرج منها رائحة عطنة.

٣- شكوت له كأخ أكبر أنى أرى البنت الصغيرة التى تشبه سعاد حسنى كل يوم مع شخص مختلف، وانى أشفق على أمها التى تشبه فردوس محمد؛ كان يستمع إلى وعيناه لا تفارق كل بنت صغيرة تمر من أمامه.

٤- حين خرجت سريعًا لانتظاره بالخارج كانت البنت الصغيرة التى تشبه سعاد حسنى آتية إليه، تتداخل ملامحه فى ملامحها حتى صارا وجهًا واحدًا نحيلًا ممصوصًا تملأه التجاعيد والأتربة وتفوح منه رائحة عفنة.

حمزة العزونى

ليسَ علىّ سوى أنْ أكونَ أنا

أنا جالسٌ ها هنا الآنَ
ليسَ علىَ سوى أنْ أكونَ أنا
وأنا ليسَ من واجباتى إذا انهمرَ الليلُ
أن أنقذَ الشمسَ غارقةً فى بحارِ الظلام
فأركبَ غواصةَ الفَجرِ كى تبقرَ الليلَ
تنتشلَ الشمسَ من جوفِه دُرَّةً
وتُعلِّقَهَا شامةً فوقَ خدِّ النهارْ
ولا أنْ أكُفَّ عنِ الناسِ كَفَّ الزمانِ بأسْورةِ الحبِّ..
أستبدلَ الوردَ بالصخرِ فى بَشْرةِ الصحَراءِ..
وأخبزَ دمعَ المساكينِ فى فرنِ قلبى فطائرَ..
أوْ أنْ أشُدَّ الحقيقةَ للناسِ من شعرِهَا..
لستُ إلا أنا لستُ أحْملُ فلسفةً ورؤى
لستُ نصفَ نبى ولا فارسًا لأمزِّقَ هذا البوارْ
أمزِّقُ قلبى فقطْ
وأنا جالسٌ ها هنا الآنَ
روحى مُفَتَّتَةٌ يأكلُ التيهُ منها
وعينى مُمَسْمَرَةٌ فى نخيلٍ شرودى
وكفِّى تَمْسَحُ دمعَ الجدارْ
وليسَ علَى سوى أنْ أكونَ أنا..
وأنا لستُ أفعلُ شيئًا
سوى أننى أتنفسُ معشوقتى برئاتِ الحنينِ..
أنادى على طيفِهَا المتراقصِ فى هودجِ البالِ..
مرتعِشًا أتَدَثَّرُ دِفْءَ مناجاتِهَا..
أتهجَّى اسمَهَا قمرًا قمرًا..
نجمةَ نجمةٍ فوقَ سبُّورةِ الذكرياتِ..
وأنثر فى أذنِ الريحِ أغنيةً من غبارْ
وليس علىَ سوى أن أكونَ أنا..
ها أنا أتعرَّى
أُجرِّحُ نفسى حتى يُطهِّرَنى ألَمِى
أُعلِّقُنى فوقَ مِشْجَبِ تلك القصيدةِ
مضبوطةِ الوزنِ مكسورةِ الروحِ..
هذا أنا..
هذه أمنِيَاتى غارقةٌ فى دِماها..
وهذى حياتى مشنوقةٌ فى مَداها
مُعلَّقةٌ فى حبالِ التجاربِ..
هذا أنا مَيِّتًا مَيِّتًا
كَفَّنَتْ جِيفَتِى السنواتُ بأقمشةِ الانتحارْ
وهذا أنا جالسًا ها هنا الآنَ
منتظرًا أن تُطلَّ الحبيبةُ
أو تَتَقَمَّصَ موتى القصيدة..
أعلمُ أنهما شَبَحٌ لن يجىءَ
وأسطورةٌ زَرَعَتْهَا البراءةُ والوهمُ فى أعينِ السُّذَّجِ الحالمينَ
ولكنَنى الآنَ ليسَ علىَّ سوى أن أكونَ أنا
وأنا ساذجٌ
سأظلُّ أشيلُ على ظهرى المنحنى جبلَ الانتظار.

مصطفى منصور

عصفور كناريا وحيد

الطفل اللى بيحبى فى عينى
مش عايز يكبر خالص
عمال يلعب ويلخبط ورقى
البنت حبيبتى المولودة فى نفس البرج
بتهمش كل التواريخ..
واصحى من النوم
ألاقينى مكسر كل عقارب ساعتى
ومكسر كل إزاز بيدارى النور عن عينى
والخوف شبابيك مقفولة
لو يوم اتفتحت هارتاح
النخلة الطالعة ف أرض الروح
بتسلم كل البلح اللى رميته
بحجارتى للنتاش
والنجم اللى اتعودت عليه
ألقاه متبعتر على سقف البيت
كان متشرد تشريدة روح
زهقت م التوابيت
مليت م الحواديت النعسانة
تحت لحاف الليل الخوف
والشوف اتبعتر
على ترابيزة عمرك فاظة ورد
وكاس مايل احتج
مش شايف إنك خرفت
طب راهن عشك على غشك
يا حمار عصفورك طار.. محتار
لسه ماتعودشى على الحرية
لسه ف دمه غباوة قفصه
إحساسه بيأسه
فضها سيرة واخرج من حالتك دى
شيل النضارة السودا وغنى وارقص
رقصة طلوعك من بيبان الشرنقة
عللى صوت التريقة ع الهمووم.

على حسن

الخنافس السوداء

كالمعتاد.. فى تمام الخامسة عصرًا انصرف موظفو شركتى، جاءنى مدير الحسابات، سلّمته شيكات تستحق الدفع غدًا، وقّعتُ له على كشوف مرتبات العمال والموظفين، لم يبق غير الساعى، الذى أعدَّ عصير الليمون فى موعده، قبل توجهى إلى صالة «الجيم».

تجرَّعتُ العصير المُرَّ دفعة واحدة؛ تحت الكأس الفارغ تركت للساعى مبلغًا من المال، يعينه على علاج زوجته المصابة بالسرطان. داخل حجرة الاستراحة الملحقة بمكتبى، بدّلت ملابسى؛ تركت جميع متعلقاتى الشخصية، حتى مفتاح سيارتى، لست فى حاجة إليه؛ رياضة المشى تغمرنى بالسعادة.

نصف ساعة بين شركتى وصالة «الجيم»، النوافذ الزجاجية التى تحيط بالصالة تتيح أثناء التمرين رؤية شاطئ «محطة الرمل».

فى السابعة خرجت من الصالة بعد دشٍّ بارد، لم أُرد العبور إلى الكورنيش تفاديًا للزحام. يلهو الأطفال عراة، يمسكون أمهاتهم بالمناشف، يخرق أذنيك سبابٌ قبيح، ودعوات على شياطينهنَّ مؤلمة!

طريق العودة إلى البيت رائق، خالٍ من السيارات، عَبْرَ هذا الهدوء رنَّ «الموبايل». زوجتى تسألنى: هل سآخذ حمام بخار ومساج؟ لم تسمع إجابتى!

مَرَّ «توكتوك» كالبرق؛ برزت منه يدٌ خفية انتزعتْ هاتفى! لحظات انقضت، استوعبت خلالها حجم الصدمة، أفقتُ على يد خاوية! ركضت كالريح خلف التوكتوك، تعلّقت به. لكمات عنيفة سددها الجنىّ بيده الغليظة، حاول فكَّ قبضتى، أحكمتُ قبضتىَّ، تشبثتُ، ثَبتُ التوكتوك، ضاعف السائق من سرعته. تعثرت قدماى، اختل توازنى، كدت ألمس الإسفلت، لم أعد قادرًا على ملاحقة التوكتوك، تمزق حذائى الرياضى، الإسفلت جمر ملتهب، تهلهلَ البنطلون «الأديداس» الأبيض!

متحصنًا داخل التوكتوك، استبدل اللصّ مطواته بقبضته، مزّق يدىَّ وساعدىَّ، ضربات عشوائية كادت إحداها تطيح برقبتى. شىء دافئ يسيل على عينى، ربما رأسى أو جبهتى تنزف، لمحت الدم يقطر على سترتى البيضاء!

فجأة مال النشّال بجزعه خارج التوكتوك، جذبَ سترتى بعنف، أفلتَ يدَه مع رفسة قوية!

هويت على الإسفلت، ارتطم رأسى بالرصيف، أحسست أن جمجمتى تهشَّمت، ألم أذهلنى عمّا أصاب مرفقَىَّ وركبتَىَّ! خلو الطريق من المارة- ليس كما على الجانب الآخر الموازى لشاطئ البحر- اختزل الكثير من حجم المعاناة والمهانة! أحد أصحاب المحلات الخاوية جاء يمدُّ يده. تجاهلته، نهضتُ معتمدًا على كفىَّ، عدم اتّزان تلاشى تدريجيًا، صرت قادرًا على الانحناء، أنفضُ التراب العالق بـ«التريننج سوت» المهلهل.

اجتزت الطريق إلى البحر منفردًا، شارع الكورنيش واسع رحب، سرب متصل من السيارات المسرعة، رفعت يدى ملوّحًا، هدَّأ بعض السائقين سرعتهم، بينما لم يلتفت إلىَّ كثيرون، أفزعنى زعيق أبواق سياراتهم، زادنى اضطرابًا!

أدركتُ الكورنيش منهكًا، جلستُ على سوره العريض، كلُّ جسدى يؤلمنى، تأملت البشر، السيارات، لعنتُ الخنافس السوداء، التى خرجت علينا من البلاّعات دون رادع!

رجلٌ على يسارى يجلسُ القرفصاء، تنبعث منه رائحة نتنة، أغلب الظن أنه يقضى حاجته! فوق جسده عشرات من السترات القذرة، ألوانها كالحة تميل جميعًا إلى اللون الرمادى. دون أن يقف، زحزح جسده النحيف ناحيتى، وافترش الأرض فى خمول.

بينى وبين حذائه المتهرئ نصف متر. فى ملل وضجر وضعتُ ساقى اليمنى فوق الأخرى، أتفحّص ما بها من جروح مؤلمة. التفتُ إليه فجأة، وجدته عاقدًا ساعديه تحت رأسه، مصوّبًا نحوى نظرات حقد عجيب وغضب مخيف. وضع ساقًا على ساق؛ قال فى استعلاء واشمئزاز: «دى منطقتى.. غُور بعيد عن هنا».

خطٌّ ماء طويل ينبُع من تحته، يسير نحوى بطيئًا ملتويًا، كأنه ثعبان!

حرف

الدستور الثقافى

إصدار إلكترونى يصدر عن مؤسسة «الدستور» للطباعة والنشر

المحرر العام: محمد الباز

الأربعاء
14 أغسطس 2024
9 صفر 1446
8 مسرى 1740

كشف أدبى

زهرة الأقصر

الأقصر هذه المدينة العريقة ذات التاريخ الفريد والماضى المجيد لم تخلُ قط من عظماء ومبدعين فى شتى مناحى الحياة، على مرِّ العصور. وقد شهدت المدينة حركةً أدبيةً وثقافيةً رائجة فى القرن التاسع عشر. ولعل من أبرز مظاهر هذه الحركة وأحد وجوهها المشرقة آنذاك «صالون الزهرة الأدبى» أو ما عرف باسم «المعقل الأشب».

هذا الصالون أقامته الأديبة والباحثة والمترجمة أوليفيا عبدالشهيد، التى أطلقت على نفسها اسم «الزهرة»، وكان معقلها الأشب مزار المثقفين ومقصد المبدعين وطلاب العلم والبحث من بقاع شتى.

والدها القس عبدالشهيد من أوائل من تخرجوا فى كلية «الأمريكان» فى أسيوط؛ كان عَلَمًا من أعلام مصر فى العلوم اللاهوتية، أتقنَ الإنجليزيةَ كما لو كان أحدَ أبنائها، وترجم كتبًا دينية من الإنجليزيةِ إلى العربية، دونَ أن يَضَعَ اسمَه عليها، إمعانًا منه فى إنكار الذّات. كان الوالد رجلًا تقدميًا، لذا أرسل ابنتَه لتتلقَّى تعليمها مع أشقائها الفتيان، فى زمن كانت التقاليد تُحرِّمُ فيه تعليمَ البناتِ وتُخفيهن خلفَ أسوار البيوت.

أمَّا والدتُها فهى السيدةُ لوسيا تاوضروس بولس، وكان والدُها وكيلًا للقنصليةِ الألمانية فى الأقصر، وظلّت هذه الوكالةُ فى أولادِهِ حتى تَمَّ إلغاءُ الامتيازاتِ الأجنبية.

الحسين خضيرى

أوليفيا عبدالشهيد.. حكاية صاحبة أول صالون ثقافى فى الصعيد

1 أقصرية خريجة كلية البنات الأمريكية.. وكتبت فى كل جرائد المحروسة

ولدت «أوليفيا» التى أطلقَت على نفسها اسمَ «الزهرة» فى مدينة الأقصر عام ١٨٨٢، وتلقّت تعليمَها فى كلية البناتِ الأمريكية وتخرَّجَت فيها. وكانت مدة الدراسة لنيل هذه الشهادة هى ٨ سنوات، وأقيم حفلُ تخرُّج كبير لهذه المناسبة، ألقت فيه «أوليفيا» خطبة باللغة الإنجليزية التى تتقنها تمامًا، بعنوان «يومُ البداية».

اتجَهَت «أوليفيا» إلى الدرس والبَحث، واتَّسَعَت دائرةُ اطّلاعها فَراحَت تنَهَلُ من آداب اللغتَين العربيةِ والإنجليزية، والتاريخ والآثار، وغيرها من نواحى المعرفة، وراسلت الصُّحُف والمَجَلّات وكبارَ الكتّاب آنذاك، وكَتَبَت الشِّعرَ ولها ديوانٌ مطبوع، يحوى شعرَها الذى كَتَبَته وبعضَ الأشعارِ المُترجمة.

من الصُّحُفِ والمَجَلّات التى راسَلَتها وكَتَبَت فيها مقالاتِها وترجماتِها وأشعارها: «المقتطف- الجنس اللطيف- فتاة الشرق- الإخاء- فتاة النيل- السيدات المسلمات- المرأة العربية- منيرفا- الرسالة- الثقافة- الأسرة المسلمة- المعلم الأول- رسالة السلام- الهدى- الشرق والغرب- شمس البر- الصحيفة- اليقظة- مار مرقس- الفراعنة- الصعيد- الصلاح- الرجاء»، وغيرها من المجلات الشَّهرية والأسبوعية آنذاك.

تَعَرَّفَت إلى شخصياتٍ مصريةٍ وأجنبية بارزة، وراسَلَت العديدَ منهم، من بينهم الأديبُ الأستاذ أحمد أمين، والأديبُ الشيخُ مصطفى عبدالرازق، والشيخُ الزيَّات، والأستاذ أحمد لطفى السيد، والآنسة مى، وكتّابٌ غربيون أيضًا. ابتاع لها والدُها «المعقل الأشب»، بعدما أدرَكَ رَغبَتَها فى تعليم النَّاس وتثقيفِهم. وظلَّت تَفتَحُ أبوابَ مَعقلِها لهم طيلةَ ٣ سنوات، المعقل الذى ظلَّ قبلة المثقفين والأدباء آنذاك، ومن بينهم الأستاذ مراد عبدالجليل العبودى، ولقبه سمير العبودى، الذى كان أحد رواد معقلها الأشب، وقابلته وجالسته كثيرًا، وكان له الفضل فى إمدادى بالمعلومات والوثائق والصور المُلحقة عن «زهرة الأقصر» ومآثرها الأدبية التى لا تُحصى، قبل رحيله فى مايو من العام الماضى.

2 ألقت خطبة فى «مولد أبوالحجاج»

كان لـ«أوليفيا» العديد من المؤلفات، منها: «العائلةُ المصرية»، و«ابتسامةُ طفل ورسالةُ فتاة»، و«مَلَكُ المَحَبَّة» بالاشتراك مع الآنسة بدوك، و«أمان»، و«الصديق» وهى مجموعة خطب بلغة العرب أُلقيَت فى مؤتمر جمعية الاعتدال للسيدات المصريات وتُرجِمَت إلى اللغة الإنجليزية وتمَّ طبعُها فى كتاب، و«ومضاتٌ من سِيَرِ نِسَاءِ العَهدِ القَديم»، و«فَنُّ سَردِ القصَص»، و«صديقُنا»، و«عجائبُ الدنيا السبعُ»، و«ثمانى عجائب من عجائب الكتاب المُقَدَّس».

ولها فى مجال الترجمة الكثير من الكُتُب منها: «الاجتماعيات» و«المرأة الجديدة»، و«رسائل إلى الفتيات»، و«ملكةُ الممرضات»، و«جفاءُ الشجون»، و«توضيحُ الكتاب»، و«التدخين»، و«الصحةُ والحياة»، و«الأمُّ وطفلُها»، و«حكومةُ النفس»، و«ملاكُ العيد»، و«قصةُ الفداء»، و«سوانحُ فى السلام» من تأليف فريدريك لي، و«الجزء الأول من كتاب المرشد الصحى الحديث»، و«التفاؤل»، و«سفن الليل»، و«أعظمهن المحبة»، و«سعادة المحبة»، و«آثار أقدام».

لم يَقِفْ نبوغُ «أوليفيا» عند هذا الحد، بل إنَّها أخرجت بعض المسرحيات للجمعيات والمدارس، من بينها «جان دارك»، و«جينيفيا»، و«إبراهيم وهاجر»، و«علبة المجوهرات»، و«حور محب»، و«كوفارس».

وكان لها نشاط اجتماعى واسع، فقد عَمِلَت على توجيه الشباب من الجنسين توجيهًا رُوحيًا وثقافيًا، وتولَّت رئاسةَ جمعية «منع المُسكرات بالأقصر»، وناصَرَت وحاضَرَت فى العديد من الجمعيات.

لم تكُ عنصرية قط، وانفتَحَت على كُلِّ التيارات الفكرية والاجتماعية والدينية، وحَرِصَت على مشاركة أشقائها المسلمين فى اهتماماتِهم واحتفالاتهم الدينية، حتى إنَّها حَضَرت الاحتفال بمولد سيدى أبى الحجاج الأقصرى، وألقت خطبة قصيرة فى هذا المَحفَل الدينى العريق.

زارت العديد من البلدان العربية، والتَقَت فيها بأدباء ذلك الزمان، ومن بينها فلسطين ولبنان وسورية، واستمرت رحلتها فى الحياة حتى صعدَت روحُها التوّاقةُ للمعرفة إلى بارئها، فى صيف ١٩٦٤، بعدما ظلت إلى آخر لحظاتها تؤمنُ بأن المحبةَ هى الغايةُ والسبيلُ لهذه الحياة.

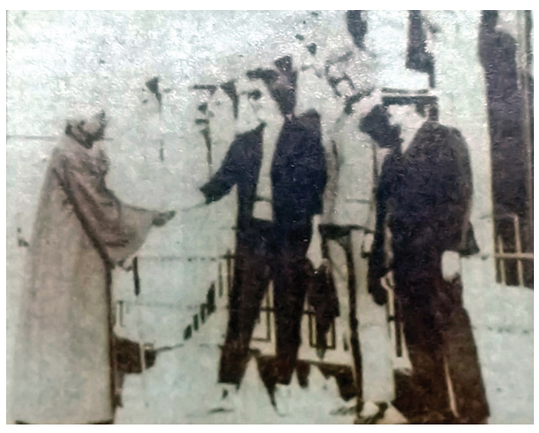

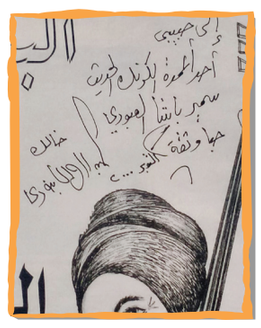

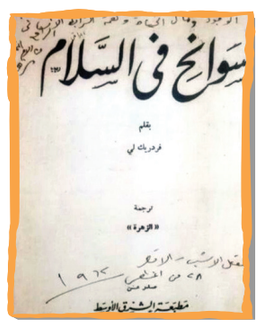

3 سوانح فى السلام

من ترجماتها نقتطف مقطع «عند مورد الراحة»، من كتاب «سوانح فى السلام»، تأليف الكاتب الإنجليزى فردريك لى، والذى صدر فى بيروت فترة الخمسينيات:

كتب هنرى دراموند مرة ما معناه: «يا للينبوع النقى الذى يتفجر من قمم الحياة الهادئة الوادعة ويروى ظمأ النفس المحمومة، بخير المباهج العذبة وببرد غلة روعها بنقيع النشاط والدعة»، وذلك كله كان قبل أن تكون السيارة قد ابتدعت، وعُرِفَ المذياع.

لأن ما تجيشُ به المدنية الحاضرةَ وحياتنا الحديثةُ من عجيج الضجة واللجب والضوضاء والصخب لا يُفسحُ مكانًا للهدوء والراحة، والنغمة السائدة اليوم لا ترجع سوى معنى واحد، هو الحركة الدائمة التى لا تستقر ولا تسكن، حتى ليخيل أن التوقف لحظة أثناء الكدح اليومى فيه عبثٌ كبير بالوقتِ الثمين، بل إن الواحد من أولئك الكادحين لينضب معينُ صبره ويمل، إن قضى ساعة كاملة فى انتظار حلول موعد معين.

ويتوهم أن الساعات التى يقضيها فى الانكباب المستمر على عمله هى التى يتوقف عليها نجاح حياته وازدهار مستقبله وما أقلَّ الناس الذين تعلموا أن يغتنموا فراغهم قبل شغلهم، وينتقموا باستغلال سوانح هذا الفراغ.

ومن أجل هذا تطفح دنيانا بالناس الذين أفلحوا فى ادّخار مقتنيات كثيرةٍ من ماديات هذا الوجود، ولكنهم خسروا القدرةَ على الاستمتاع بالحياة فى أسمى مراتبها، وفاتهم أن السعى وراء مكاسب الدنيا دون العمل على تهذيب النفس وبنيان الخلق فيه الحرمان كله، مهما يبلغ النجاح فى جمع الأموال، ومهما يتكدس المخزون من البضائع، ويتجمد من الرصيد والسندات والأسهم والقراطيس المالية.

ابتهالات أوليفيا

اللهم علِّمنى أن الحياة تسع مزايا أعظم من البحث عن الصفقات الرابحة، والأزياء البارعة والمشتريات الممتازة من المتاجر الكبيرة. أعِنى لكى أعرف أن البيت أكبر من مسكن آوى إليه، أو مطعم أنشد فيه لقمتى وقيلولتى.

ساعدنى لكى أُوقن أن الحب يجاوز تخوم العاطفة المشبوبة التى تلتمس الاغتباط والاستجمام فى المجتمعات العالمية الساهرة والحفلات المرحة الحاشدة التى تولِّد فى كثير من الأحيان المودة المدخولة والمجاملات المنافقة والمخالبات الكاذبة.

ساعدنى لكى أؤمن بأن الحب الكامل الصحيح يبرز ويتفوق فى أشرف مواقف القلب النسوي، ضمن تلك الدائرة العجيبة التى أقيمها لنفسى- اختبارًا مشتركًا بين اللائق والواجب- كى تتسابق فى ميادينها وحدات الميول النبيلة والنزعات العالية والرغبات الشريفة والأشواق المقدسة والمدركات الروحية، كما تتبارى فى رحابها قوات الأخلاق الكريمة والأحاسيس الدقيقة الرقيقة، والانفعالات الرضية، وفورات المودة والرحمة، وهزَّات العطف والإخلاص والإباء والإيثار والتفانى فى الوفاء والغيرية، وحنان الأمومة الروحية إن عزَّت وامتنعت الأمومة الجسدية.

اجعلنى أُدركُ أن جمال الخَلق تابعٌ فى كل وقتٍ وآنٍ لجمال الخُلُق، وأن ثانيهما باقٍ لا يعرف الفناء؛ أمَّا أولهما فعَرَضٌ زائلٌ يُسلِمُ أنفاسَه الأخيرةَ للذبول والذواء، ويترك رواءَه ونضارتَه وروعتَه فى ذمَّةِ الرمس والبلى.